كتاب
الاذاعة والتليفزيون
١١

ممنوع من التداول

محمود عوض

• الطبعة الثانية •

كتاب
الإذاعة والتليفزيون

سلسلة كتب شهرية تصدر عن مجلة

الاذاعة والتليفزيون

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
سعيد عثمان

الغلاف والرسوم الداخلية
بريشة الفنان :
مصطفى حسين



محمود عوض

ممنوع من التداول

محتويات الكتاب

مقدمة

بقلم

الدكتور محمد عبد القادر حاتم

منذ ثلاث سنوات ، ظهر « موشى دايان » وزير الدفاع الاسرائيلى على شاشة التليفزيون البريطانى ، ووقتها ساله المذيع : ان الخطة التى اتبعتها فى حرب ١٩٦٧ هى الخطة نفسها التى ذكرتها فى كتابك « مذكرات حملة سيناء ـ ١٩٥٦ » ٠٠ الم تكن تخشى أن العرب قد يعرفون من كتابك خطتك المستقبلة التى ستتبعها فى حرب ١٩٦٧ ، فيستعدون مقدما لمواجهتها ؟ ٠

ورد موشى دايان قائلا : لا ٠٠ لأن العرب لا يقرأون !

ولم يكن هذا الرد غريبا من موشى دايان ٠٠

ففى صباح الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ ، كان أعلى الشعارات صوتا فى حياتنا العامة ، شعار « اعرف عدوك » ٠ وفى الوقت نفسه كان اقل الشعارات تطبيقا فى جهازنا الاعلامى هو شعار « اعرف عدوك » ٠

ولم تكن صدمة الساعات الأولى من القتال ٠٠ كافية لكى تسد بسرعة تلك الفجوة الواسعة بين الشعار المعلن ، وعدم تنفيذه ٠٠ على العكس ، مع تطور القتال فى ساحة المعركة ٠٠ كانت الفجوة تتسع وتتسع بين الشعار والتطبيق ٠ لهذا كنا نرى أننا نحن ، وليست اسرائيل ، الذين احسسنا بخيبة الأمل فى جهازنا الاعلامى ٠ وهى خيبة امل تطورت بعد ذلك الى ازمة ثقة فى الجهاز الاعلامى ، فتحت الطريق واسعا أمام العدو الاسرائيلى لكى يخوض ضدنا حربا نفسية عنيفة وشرسة وضارية ٠

ان الحرب النفسية ليست جديدة علينا فى مصر ٠٠

لقدتعرضنا لها ، وعشنا فيها ، قبل ذلك بسنوات طويلة •• بل ومنذ اليوم الأول لثورة ١٩٥٢ • وفى وقت من الأوقات كانت هناك ١١ محطة اذاعة سرية تعمل ضدنا فى وقت واحد ، وفشلت كلها فى وقت واحد •

ان ما جعل ١١ محطة تفشل فى الحرب النفسية ضدنا بسنة ١٩٥٦ ، هو نفسه ما جعل النجاح المؤقت من نصيب محطة اسرائيلية واحدة تعمل ضدنا فى سنة ١٩٦٧ • هو سبب واحد فى الحالتين ، ولكنه سبب ذو وجهين :

اننا فى الحالة الأولى (حالة حرب ١٩٥٦) اعتمدنا على الصدق فى مخاطبة الجماهير • الصـــدق والواقع والحقيقة ، التى كانت تبدو مؤلمة احيانا ، ولـكنها كانت فى النهـاية تمثل تحصيننا للشعب ضـــد الحـرب النفسية الضارية •

وفى المرحلة الثانية •• كان اعتمادنا على المبالغـة والتهويل وتجاهل الحقيقة ، بل وتجاهل العدو نفسه •• هو الذى أدى الى هزيمتنا الاعلامية سنة ١٩٦٧ •

وعندما قام الرئيس أنور السادات ، بعملية التصحيح الكبرى فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، كان جزءا من التصحيح هو اعادة الأساس العلمى للعمل الاعلامى • ان أمامنا عدوا شرسا •• ومتشعبا •• ومتلونا ، وعلينا فى جميع الأحوال أن نحاربه •

وفى حربنا ضد اسرائيل ، فان أول سلاح نعتمد عليه •• لابد أن يكون هو معرفتنا بهـذا العدو •• معرفتنا بأساليبه وخططه وأفكاره ، وتصوره لنفسه ، وتصوره للرأى العام العالمى ، وتصور الرأى العام العالمى له • ان هذه المعرفة هى التى ستمكننا بعد ذلك من مواجهته فى المكان الصحيح ، وبالأسلوب الصحيح ، وبالسلاح الصحيح •

لهذا كان لابد أن تعتمد الســياسة الاعلامية الجديدة على تحـويل شـعار « اعرف عدوك » من مجرد شـعار ، الى تطبيق حى يمارسه كل مواطن • لقد اتخذنا فى هذا الصدد خطوات عديدة ، كان من أهمها رفع الحظـر عن الكتب الاسرائيلية التى ظلت لســـنوات طويلة ممنـوعة من التداول ، ثم اتاحتها أمام المعلقين والدارسين والباحثين فى بلادنا ، بغير نقص أو تحريف •

وقد تبدو الأفكار التي تتضمنها هذه الكتب المنوعة ، مثيرة للمرارة ٠٠ أو مجافية للحقيقة ٠٠ ولكن ، هل نحن نتوقع من عدونا غير ذلك ؟!

ان المهم ٠٠ ليس هو أن نناقش نسبة الحقيقة الى الأكاذيب في مثل تلك الحالات ، لأن العدو يستخدم كثيرا من الأكاذيب ، وحتى حينما يستخدم جزءا من الحقيقة ٠٠ فانه يفعل ذلك من زاوية تحقق مصلحته هو ٠

ليس هذا اذن هو المهم ٠٠ ولكن المهم أن نتصرف طبقا للقول المأثور : من تعلم لغة قوم ٠٠ أمن مكرهم ٠

ونحن حينما ننشر عشرات الكتب التى صدرت عن الصهيونية واسرائيل ٠٠ انما نبين بذلك لهذا الجيل والأجيال القادمة ٠٠ كيف يخطط العدو لنا ؟ كيف يبنى جيشه ؟ كيف يحاول تضليل الرأى العام العالمى ؟ كيف يضاعف ـ بالحرب النفسية ـ حجم انتصاراته مائة مرة ؟ ٠٠ الخ ٠٠

ان هذا هو الأسلوب الصحيح ٠٠ الذى يجعلنا نرسم خططنا المستقبلة ، على أساس دراسة علمية حقيقية ٠٠ لكل شئون اسرائيل والصهيونية ، فقد خططت الصهيونية منذ مؤتمر « بال » الصهيونى سنة ١٨٩٧ ٠٠ ونفذت كل خططها بعد ذلك حتى قامت دولة اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ ، وما زالت هناك خطط اخرى ، تريد اسرائيل أن تحقق بها لنفسها امبراطورية ، تمتد من النيل الى الفرات ٠

لذلك ، فان سماحنا بتداول الكتب التى تبحث فى شئون اسرائيل وهذا الكتاب ـ يقدم اهمها ـ قد اصبح ضرورة استراتيجية من اجل الدفاع عن حياتنا ، ومقاومة هذا المخطط العدوانى ضد بلادنا ٠ لقد أصبح من الضرورى٠٠ان نضع افكار عدونا تحت ميكروسكوب دائم٠٠نفحصها دائما ، ونراجعها دائما ، وندرسها دائما لكى ننتصر على عدونا فى النهاية ٠٠ دائما ٠

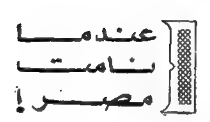
محمد عبد القادر حاتم



الجزء الأول



البداية



بقلم : محمود عوض

نامت مصر فى تلك الليلة مبكرا !

نامت مصر ، مع اننا مازلنـــا فى الصيف . فى الواقع نحن فى الشهر الأخير منه . وما زلنا فى وقت مبكر ـ الساعة التاسعة مساء .

ونحن فى يوم ٢٩ اغسطس سنة ١٨٩٧ ..

وفى هذا اليوم .. كانت قد مضت خمسة اشهر على وفاة جمال الدين الافغانى ، وسبعة اشهر على تعيين احمد لطفى السيد وكيلا للنيابة ، وعشرة اشهر على وفاة عبد الله النديم ، وثمانى سنوات على مولد طه حسين وتوفيق الحكيم ، و ١٣ سنة على نفى احمد عرابى الى جـزيرة سـيلان !

ولكننا فى ٢٩ اغسطس سـنة ١٨٩٧ ، وعبـاس حلمى هو خديو مصر ، واللورد كرومر هو المندوب السامى البريطانى ، وبالتـالى فهـو الحاكم الفعلى فى مصر .

هذا عن مصر ..

ولو ابتعدنا قليلا ـ فى اليوم نفســه ـ سـنجد الاحتلال الفرنسى فى الجزائر منذ ٦٧ سنة ، وفى تونس منذ ١٦ سنة ، وسنجد بريطانيا موجودة فى عدن منذ ٥٨ سنة . وسنجد ان الشام ـ وتضم سوريا ولبنان وفلسطين ـ تابعة للخلافة التركية هى والعراق .

مرة اخرى : نحن مازلنا فى ٢٩ اغسطس سنة ١٨٩٧ . الجـو حار ، وان كان هادئا . وتلك مصر على الحال التى رايناها فيه ، الى ان نامت مبكرة فى تلك الليلة ..

ولكن ..

وهذه اكبر « لكن » .. فى التاريخ العربى المعاصر .

لكن .. على بعد ١٧٠٠ كيلو متر تقريبـا من القاهرة ، كانت تدور

قصة أخرى فى مدينة « بازل » السويسرية ، ان « بازل » فى ذلك اليوم ـ لم تكن تزيد فى مساحتها ، ولا فى عدد سكانها ـ عن نصف مدينة المنصورة .

فى مدينة (بازل) هذه .. يوجد مكان عادى للموسيقى والرقص اسمه Stadt Casino مجاور لمبنى المتحف التاريخى فى بازل .

لكن هذا المرقص فى هذا المساء .. مساء ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ـ لم يكن فيه موسيقى ولا رقص . ان فى مدخل صالة الرقص راية معلقة شمالا ويمينا فيها شريطان أزرقان . وفوق المدخل رسمت نجمة داود السداسية .

وفى هذا المساء .. دخل الى صالة الرقص ١٩٧ وفدا من ١٥ دولة مختلفة هى : روسيا . المانيا . النمسا . المجر . رومانيا . بلغاريا . هولندا . بلجيكا . فرنسا . سويسرا . السويد . انجلترا . الولايات المتحدة . الجزائر . فلسطين .

وهم لا يعرف بعضهم بعضا قبل هذه الليلة ، ولأول وهلة لا يبدو ان هناك شيئا يربط بينهم . فمنهم الاشتراكى .. والرأسمالى .. والليبرالى، ومنهم المتزمت .. والمتحرر ، ومنهم المتدين .. والملحد .

شيء واحد يجمع بينهم: انهم يهود . شيء ثان : انهم صهيونيون . لقد جاءوا الليلة يحضرون أول مؤتمر صهيونى ، انهم جميعا يمثلون جمعيات (حب صهيون) وهى حركة يهودية سياسية بدأ تأسيسها قبل ١٥ سنة من الاجتماع . وهدف هذه الجماعات .. هو هجرة اليهود الى فلسطين ، واعادة احياء اللغة العبرية ـ التى ماتت منذ الفى سنة .. وكان رئيس هذه الجمعية رجلا اسمه « ليون بنسكر » ولقد سبق له ان وضع كتابا فى سنة ١٨٨١ بعنوان (التحرير الذاتى) يتناول فيه مشكلة اليهود فى أوربا ، وقال فيه :

ان اليهودى شخص مكروه فى كل مكان يذهب اليه . ولذلك فعلى اليهود ، أن يحرروا أنفسهم من هذه الكراهية .. بأن يقيموا لأنفسهم دولة خاصة بهم ، ولا يهم مكان هذه الدولة .

ولكن تلك الحركة فشلت وخمدت .. لأن عددا كبيرا من اليهود أنفسهم حاربوها .

ومع ذلك ، فان الشخص الذى أعاد تلك الحركة الى الوجود مرة أخرى ، هو نفسه الذى دعا الى هذا الاجتماع فى (بازل) وهو الذى سيصبح فيما بعد (نبى) الحركة الصهيونية الحديثة .. انه يهودى اسمه (تيودور هرتزل) ولد فى مدينة بودابست (عاصمة المجر الآن) سنة ١٨٦٠ ـ انه يعمل صحفيا ومراسلا فى باريس لصحيفة تصدر فى فينا :

وقد اصدر هرتزل كتيبا فى ١٤ فبراير سنة ١٨٩٦ بعنوان (الدولة اليهودية) ، طالب فيه بانشاء دولة لليهود فى فلسطين أو الارجنتين • وقال أيضا : ان موجة التحرر والمساواة ، التى بدأت فى أوربا بعد الثورة الفلسطينية ، هى سبب وجود المشكلة اليهودية •• وفى الوقت نفسه ستكون هى أكبر عقبة فى سبيل اقامة دولة يهودية •• لان تحقيق المساواة سيغرى اليهود بالاندماج والذوبان فى مجتمعات الدول التى يعيشون فيها •

ثم قال : (ان المشكلة اليهودية يجب معالجتها كمسالة سياسية الظروف ، قد أدى الى تكوين طبقة متوسطة يهودية •• هى فى منافسة مباشرة مع الطبقة المتوسطة المسيحية) •

ثم قال : (ان المشكلة اليهودية يجب معالجتها كمسالة سياسية يتم تناولها مع احدى الدول الكبرى) •

ولو توقفنا الآن لحظة واحدة •• فاننا سنضع أيدينا على الحقائق التالية :

● **أولا :** ان الحركة الصهيونية لانشاء وطن قومى لليهود — من اللحظة التى بدأها هرتزل الى الآن — هى حركة سياسية بحتة لا علاقة لها بالدين اليهودي • وهذا على عكس الدعاية الصهيونية الحديثة تماما •

● **ثانيا :** ان هذه الحركة ، كانت هى الرد على موجة معاداة السامية التي كانت قائمة فى أوروبا ، وانها بالتالى لم تجد لها أساسا فى المجتمعات التى اختفت منها نزعة معاداة السامية ••

● **ثالثا :** ان الفكرة الدينية اليهودية القديمة ، عن العودة الى فلسطين ، قد أدخلت فى مرحلة تالية على الفكرة الصهيونية لمجرد استغلالها لدى اليهود لكى ينضموا الى الحركة ، على أن هذه الحقائق — وكثير غيرها — ستتضح تماما كلما تقدمنا أكثر فى دراسة تطور الحركة الصهيونية •• وسنجد أن مؤسسى الحركة الصهيونية انفسهم يعترفون بهذه الحقائق — صراحة أو ضمنا — حسب الأحوال •

ولعل هذه لحظة مناسبة لكى نرجع الى الوراء قليلا • الى (يوميات هرتزل) التى كتبها بنفسه قبل وبعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى (بازل) سنة ١٨٩٧ • مع ملاحظة ان هذه (اليوميات) هى مذكرات خاصة كتبها هرتزل ولم تنشر الا بعد وفاته بوقت طويل ، وعندما نشرت فان أول طبعة كاملة لها صدرت سنة ١٩٦٠ ، وانا هنا أعتمد على الطبعة التى اصدرتها المنظمة الصهيونية العالمية نفسها •

لقد بدأ هرتزل ، منذ أيام تخيله الأولى للدولة اليهودية ، ومن قبل ان يقرر فلسطين موقعا لهذه الدولة •• بدأ يعبر فى يومياته عن

ضرورة الاتصال بالدول الكبرى وعن الدور الذى لابد ان تلعبه . لقد كتب فى ٧ يونيو سنة ١٨٩٥ يقول :(حالما يتم الاتفاق على الأراضى ، وتوضع اتفاقية اولى مع الحاكم الموجود ، سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع الدول الكبرى) وبالفعل بدأ هرتزل يبذل مساعيه لدى المانيا أولا ، ثم لدى بريطانيا ، وتركيا (كانت تركيا هى دولة الخلافة العثمانية التى تتبعها فلسطين) .

ثم ناخذ الآن عينات حرفية من يوميات هرتزل :

● **فى صفحة ٣ كتب هرتزل سنة ١٨٩٥ يقول :** (أن البارون موريس دى هيرش هو ـ مثل عائلة روتشيلد ـ واحد من أكبر أصحاب الملايين اليهود فى القرن التاسع عشر . لقد ابدى اهتماما انسانيا عميقا بجمعية الاستعمار اليهودى ـ وهى جمعية يهودية تأسست سنة ١٨٩١ ـ لقد خصص لها نهائيا مبلغ ٤٠ مليون دولار لتوطين المهاجرين اليهود فى الأرجنتين ، ولكن فى سنة ١٨٩٥ لم تكن الأمور على ما يرام فى المستعمرات التى تم انشاؤها هناك) .

● ان هرتزل يشرح كيفية الاستيلاء على الأراضى من جانب الحركة الصهيونية ، فيقول فى ١٢ يونيو سنة ١٨٩٥ : (عندما نحتل البلاد ، سنعمل سريعا على افادة الدولة التى ستأخذنا ويجب ان نستخلص ملكية الأرض التى ستعطى لنا ، ولكن باللطف والتدريج سنحاول أن نشجع فقراء السكان على النزوح الى البلدان المجاورة ، وذلك بتأمين أعمال لهم هناك ، ورفض اعطائهم أى عمل فى بلدنا . أما أصحاب الأملاك فسيكونون بجانبنا ، على اننا يجب أن نقوم بكلتا العمليتين ـ استخلاص الأرض وابعاد الفقراء ـ بتعقل وحذر . يجب أن نعمل على ايهام أصحاب الأملاك غير المنقولة .. بأنهم يخدعوننا ببيعهم بأكثر مما تساوى) .

● فى ٢٧ فبراير ١٨٩٦ يكتب هرتزل تساؤلا : **هل نقدم للخليفة التركى مليونى جنيه ثمنا لفلسطين ؟ هذا المشروع درسته مع عدد من أثرياء اليهود فى اوربا) .**

● فى ٤ مارس من السنة نفسها : (الدكتور بيرن) (صديق له) يريد أن يكون الزعيم الاشتراكى فى الدولة اليهودية . نحن لم نحصل عليها بعد ، وها هم يريدون تمزيقها مقدما) !

● ٢٢ ابريل ـ من السنة نفسها (**نحن نريد أن نحصل على مساعدة قيصر المانيا . انه سيساعدنا لانه يتمنى اخراجنا من بلده . حسنا . ولكنه سيساعدنا) !**

● ١٥ يوليو ـ من السنة نفسها : نحن مستعدون لأن ندفع عشرين مليون جنيه للسلطان التركى ثمنا لفلسطين ، وبذلك نحسن ميزانيته) .

● **الشهر نفسه ، والسنة نفسها : (قال السلطان عبد الحميد**

لصـــديقه الذى تفاوض معه : اذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صـديقى ، فانصحه بالا يسير أبدا فى هذا الامر ٠٠ لا أستطيع أن أبيع ولو قدما واحدة من البلاد ، لانها ليست لى بل لشعبى ، لقد حصل شعبى على هــذه الأمبراطورية باراقة دمائهم ، وقـد غذوها فيما بعـد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا ، قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منـا ٠ لقـد حاربت كتيبتان من جيشنا فى ســوريا وفى فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر فى « بلفنة » لان أحدا منهم لم يرض بالتسليم ، وفضلوا أن يموتوا في ساحه القتال ٠ ان الامبراطورية التركية ليست لى دائما ٠٠ بل للشعب التركي ولا استطيع ابدا أن أعطى احدا أى جزء منها ٠ فليحتفظ اليهود بملايينهم ٠٠ فاذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهـود على فلسطين بغير مقابل ٠ وانما لن تقســم الا جثثنا ، ولن أقبل بتشريحنا لاى غرض كان) ٠

● بعدها بأيام كتب هرتزل : (نصحنى صـديق بأن يشـترى اليهود أى مقاطعة أخرى ويقدموها لتركيا كبديل لفلسطين مع مزيد من المال ٠ ففكرت راسا فى قبرص) ٠

● وفى أول ديسمبر سنة ١٨٩٦ ، كتب هرتزل في يومياته يصارح نفسه : « صديق لى أخبرني بأن هناك اشاعة منتشرة الآن في بودابست (المدينة التى ولد فيها هرتزل) ٠ وهى أن اليهود هناك يقولون اننى تسلمت مبلغا ضخما من المال من شركة أراض بريطانية تريد أن تبيع أملاكا لها فى فلسطين ، وذلك فى مقابل طبع كتابى عن الدولة اليهودية. هكذا نحن اليهود دائما لا نؤمن بأن أى شخص يمكن أن يتصرف أبدا الا بسبب المال » !

● فى اليوم نفســه كتب يعرض خدماته على قوة اســتعمارية جديدة هي بريطانيا ، فيقول : « **هذا عامل يجدر بالسـياسة الانجليزية فى الشرق أن تقدره حق قدره ، عامل جديد بكل تاكيد ٠٠ ان تقسـيم تركيا فى الوضع العالى الحاضر ٠٠ لابد أن يكون خســارة بالنسبة لانجلترا ٠ ولذلك فعليهـا أن تســعى نحو التوازن الدولى الذى لا تتم المحافظة عليه الا اذا تم تصحيح مالية تركيا ٠٠ ان هذا يتم بانشـاء دولة يهودية فى فلسطين لها استقلال ذاتى مثل مصر ــ تحت سـيادة السلطان ٠٠ والأمر ممكن اذا توافر لنا دعم دولة كبرى** » ٠

ومثلما كان هرتزل يحاول الاتصال بكل الدول الكبرى ، لكى يقنع واحـدة منها بتبنى مشروع الدولة اليهودية ٠٠ كذلك فانه حاول استغلال بعض السياسيين من الشرق ، ومن الذين حاول هرتزل أن يكسب ودهم أولا ٠٠ أغا خان الزعيم الاســماعيلى المعروف ، والزعيم مصطفى كامل ٠

عن مصطفى كامل كتب هرتزل يوم ٢٤ مارس سنة ١٨٩٧ يقول :

« الوفد المصرى ، مصطفى كامل ، الذى كان قد زارنى من قبل .. زارنى مرة أخرى . انه فى رحلة أخرى لجمع المشاعر المؤيدة لقضية الشعب المصرى الذى يسعى للخلاص من السيطرة البريطانية . ان هذا الشاب الشرقى يعطى انطباعا ممتازا ، وهو مثقف وراق وبليغ ، وقد دونته فى ذاكرتى لأنه قد يلعب يوما ما دورا فى سياسة الشرق ، حيث قد نلتقى ثانية . ان سليل مضطهدينا فى مصر القديمة يتنهد اليوم من عذاب الرق ، وتقوده طريقه الى ـ أنا اليهودى ـ طالبا مساعدتى الصحفية .. اننى أشعر ـ مع أننى لم أجزم بذلك ـ بأنه لما يفيد قضيتنا أن يضطر الانجليز الى مغادرة مصر . انهم سيضطرون آنذاك الى أن يبحثوا عن طريق آخر الى الهند بدل قناة السويس التى ستضيع منهم ، أو على الأقل تصبح غير مأمونة . آنذاك تصبح فلسطين اليهودية الحديثة مناسبة لهم ـ الطريق من يافا الى الخليج الفارسى » .

* * *

عودة الى المؤتمر الصهيونى ..

ان هذا هو المؤتمر الأول ، وهذا هو تفكير الرجل الذى عمل مهندسا للمؤتمر الأول ، ومهندسا للحركة الصهيونية كلها فيما بعد . ان المحاضرين فى المؤتمر لا تجمع بينهم ـ حتى ـ لغة مشتركة . لهذا فانهم يقررون استخدام اللغة الألمانية كلغة رسمية للمؤتمر ..

ان هرتزل بدأ كلامه فى المؤتمر بقوله :

« اننا هنا لنضع حجر الأساس فى بناء البيت الذى سوف يؤوى الأمة اليهودية » .

وقد قدم هرتزل للمؤتمر عدة اقتراحات معينة :

أولا : انشاء منظمة تسمى « المنظمة الصهيونية العالمية » لمحاولة ضم صفوف اليهود وتجميعهم خلف القضية الفلسطينية .

ثانيا : الحصول على اعتراف دولى من احدى الدول العظمى بمشروع توطين اليهود فى فلسطين .

ثالثا : تنظيم هجرة يهودية واسعة النطاق الى فلسطين ـ أو أى مكان آخر يستطيع اليهود الحصول عليه . وتنظم هذه الهجرة بوسيلتين : أولا ، بواسطة انشاء المنظمة الصهيونية نفسها .. وتضم كل اليهود الذين يوافقون على فكرة « الدولة اليهودية » وثانيا ، بانشاء شركة يهودية للأراضى .. تكون هى الاداة الاقتصادية لتحقيق أهداف المنظمة الصهيونية .

وبعد هذه الخطوات ، خرج هرتزل بالقرارات فى جيبه ، وبقرار تعيينه أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية ، وبسطور كتبها فى يومياته . كتب هرتزل فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ يقول :

« لو طلب منى تلخيص مؤتمر بازل فى كلمة ـ وعلى ان أحرص على عدم تلفظها بصوت عال ـ لكانت هى : فى بازل أسست الدولة الصهيونية . لو قلت ذاك بصوت عال لضحك الجميع منى . لكن ربما فى خمس سنوات ـ وبالتأكيد فى خمسين سنة ـ سيعلم كل واحد بالأمر . ان تأسيس دولة لا يكمن فى ارادة شعب بانشاء دولة بل يكمن أيضا فى ارادة فرد قوى قوة كافية .. ان الارض هى فقط الأساس المادى . والدولة ، حينما تملك الأرض ، هى دائما شىء معنوى .. فى بازل اذن ، انشأت هذا الكيان المعنوى الذى تراه أغلبية الناس الساحقة . انشأته بوسائل قليلة جدا وبالتدريج وضعت الناس فى جو مناسب للدولة ، وجعلتهم يشعرون بانهم هيئة وطنية » .

هكذا اذن انتهت جلسات المؤتمر الأول للحركة الصهيونية فى ٣١ اغسطس ١٨٩٧ .

لقد كان لا بد أن يبدأ الطريق أمام المنظمة الجديدة بمحاولة كسب تأييد احدى الدول العظمى . على أن تلك المهمة لم تكن هى وحدها المهمة العاجلة ، فلقد كانت هناك مهمة أخرى أكثر الحاحا .. وهى التغلب على المعارضة التى بدت تواجه المنظمة الجديدة داخل اليهود أنفسهم .

فلقد انقسم اليهود الى اتجاهين : **الاتجاه الأول** كان يرى أن «ذوبان» اليهودى فى المجتمع الذى يعيش فيه هو العلاج الحقيقى والدائم لمعاداة السامية ، وان كراهية اليهود أنفسهم ترجع الى عدم ولائهم للمجتمعات التى يعيشون فيها . ولكن ، لو أقتنع اليهود بأن تقدم الحضارة ،وانتشار المساواة السياسية ، ووجود دليل من اليهود على ولائهم للمجتمع الذى يعيشون فيه وتعلقهم به .. كل هذا سيؤدى فى النهاية الى استئصال المشاعر المتبقية ضدهم .

أما الاتجاه الثانى فقد أصحابه الأمل فى أن اليهود يستطيعون الذوبان فى أى مجتمع أو الاندماج فيه .. وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين منهم هرتزل .

ولذلك .. فان فى السنة نفسها التى تأسست فيها المنظمة الصهيونية ـ أى فى سنة ١٨٩٧ ـ تأسست فى روسيا وشرق أوربا جمعيات من اليهود أنفسهم لمعارضة الحركة الصهيونية . جمعيات كانت تسمى نفسها « البوندز » Bunds اى « المنظمة العامة للعمال اليهود فى روسيا وبولندا » . وكانت هذه المنظمة ترى أن الحركة الصهيونية تدفع اعضاءها الى أحلام مدمرة لليهود انفسهم .. لان الحركة الصهيونية تقوم فى جوهرها على أساس عدم قدرة اليهودى على الذوبان فى المجتمع

الذى يعيش فيه .. وهذا يؤدى الى اثارة الشك والريبة فى اخلاص وولاء اليهودى للمجتمع الذى يحمل جنسيته .

ومع أن تلك المعارضة بدأت من شرق أوربا ، وامتدت الى غرب أوربا والولايات المتحدة ، الا أن مؤيدى الحركة الصهيونية أيضا كانوا اساسا من شرق أوربا .

المهم .. انه من اللحظة الأولى تمثل الحركة الصهيونية .. حركة سياسية بحتة . ولقد رأينا من قبل ذلك أن المؤتمر الأول قد ناقش ايجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين .. أو فى الأرجنتين .

وخلال الفترة التالية للمؤتمر الصهيونى الأول ، أنشىء فعلا صندوق استثمار يهودى ليقوم بمهمة تنظيم الهجرة اليهودية وتدبير الأراضى — وبصفة عامة — لكى يكون هو الأداة الاقتصادية لتنفيذ أهداف الحركة الصهيونية .

وفى الوقت نفسه بدأت المنظمة الصهيونية فى اجراء اتصالات مع عدد من الدول الكبرى لكسب اعترافها بأهدافها . وقد بدأت المحاولة أولا مع المانيا .. وكان هرتزل — الذى أصبح الآن أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية — قد لجأ الى القيصر غليوم الثانى فى سنة ١٨٩٦ ووالى اتصالاته معه بعد ذلك . وحينما استطاع أن يقابله فى أول مرة قال له : اننا نحتاج الى محمية يهودية فى فلسطين ، لأن اليهود يرحبون بحماية المانيا بالذات أكثر من أى دولة أخرى . واقترح عليه هرتزل انشاء شركة لشراء واستثمار الأراضى فى فلسطين ، تكون تحت حماية المانيا .. بعد أن يحصل على موافقة السلطان العثمانى .

ووعده القيصر بالتفكير فى الموضوع .. ولكن هرتزل عندما عاد الى مقابلته — أثناء زيارة القيصر للقدس فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٨ — كتب فى يومياته يقول : « ان مرافق القيصر (أثناء المقابلة) قال لى بلباقة : كما تفضل به جلالة القيصر ، فان الماء (فى فلسطين) هو أهم شىء » ..

ولحظتها رددت عليه : اننا سنؤمن الماء للبلاد ، وسوف يكلفنا هذا ملايين ولكنه سيعود علينا بالبلايين .

قال القيصر لى : ان المال متوافر لكم بكثرة ، عندكم مال أكثر مما عند أحد منا ..

ورد المرافق متمتما لى : « نعم ، المال الذى هو مشكلتنا .. عندكم منه الكثير » !

هكذا تلقى هرتزل كلمات طيبة من قيصر المانيا ، ولكنه لم يتلق أكثر من ذلك .. فقد تأكد أن القيصر ليس مستعدا أن يفعل شيئا . لقد خرج هرتزل بهذا الانطبـــاع فى مقابلته مع القيصر يوم ٢ نوفمبر

سنة ١٨٩٨ . وكان على الحركة الصهيونية أن تنتظر تسعة عشر عاما بالضبط ، الى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، قبل أن تفعل مع بريطانيا ما فشلت في أن تفعله مع ألمانيا : تقنعها بتبني الأهداف الصهيونية لحسابها الخاص ، وتصدر وعد بلفور .

المهم .. ان هرتزل بدا بعد ذلك يبحث الاتصال المباشر بالسلطان العثماني . وكان يعلم أن السلطان قد رفض قبل ذلك بيع فلسطين لليهود ، حينما أجريت أول محاولة معه سنة ١٨٩٦ .

ولكن هرتزل ، كان يعلم ايضا ان الخزانة التركية قد أصبحت في حالة أكثر سوءا . فلقد كان الدين التركي قد وصل الى ١٠٦ ملايين جنيه استرليني ، وأصبحت موارد الخزانة التركية تحت رقابة مجلس الدائنين .. ومن ثم فان الفرصة قد تكون الآن أكثر اغراء للسلطان العثماني ، ولابد للسلطان من ان يؤمن أخيرا بأن المال هو كل شيء .

لقد اتفق هرتزل مع زميلين يهوديين له ، هما السير صمويل ، والكولونيل جولد شميث في لندن .. واستطاعوا جمع عشرة ملايين جنيه استرليني من جمعية الاستعمار اليهودى لدفعها فورا الى السلطان كدفعة أولى في حالة موافقته .

ولكن السلطان رفض ايضا للمرة الثانية .

وبذلك فشلت نهائيا محاولات المنظمة الصهيونية مع اثنتين من الدول الكبرى : ألمانيا وتركيا ، بقيت محاولة أخرى مع بريطانيا هذه المرة .

* * *

زار هرتزل لندن في سنة ١٩٠٢ حتى تصبح هي المقر الرئيسي لنشاط المنظمة الصهيونية . وكانت لديه ثلاثة أسباب لذلك :

أولا : ان لندن هي المركز المالي للعالم ، وبالتالي فسوف تفهم لغة المصالح الاقتصادية أكثر من غيرها .

ثانيا : ان بريطانيا لها امبراطورية استعمارية واسعة .. وبالتالي فان لها أحلاما توسعية في أوروبا ، وهذا سوف يجعل بريطانيا « تفهمنا وتفهم اهتماماتنا » بتعبير هرتزل .

ثالثا : انه لو اقتنعت بريطانيا بان لها مصلحة في مشروع الوطن القومي اليهودى ، فانها ستعمل لتحقيقه .

ويكفي الآن ان نتذكر ان هذا الارتباط ، في المصالح ، الذى أشار اليه هرتزل في يومياته ، سوف يتكرر كثيرا في علاقة بريطانيا بالحركة الصهيونية .

لقد رأينا قبل الآن ان الحركة الصهيونية فكرت في الارجنتين كبديل ثم في قبرص كبديل أساسي لفلسطين بالنسبة للدولة اليهودية .. ولكن تلك لم تكن هي البدائل الوحيدة .

ففي سنة ١٩٠٢ بدات المباحثات الجدية بين المنظمة الصهيونية والحكومة البريطانية ، والتي كان يرأسها في ذلك الوقت آرثر جيمس بلفور . وكانت بريطانيا تحتل مصر منذ سنة ١٨٨٢ .

وقد سارت المفاوضات مع الحكومة البريطانية أولا على أساس أن تعطى سيناء لليهود .. ثم تطورت المفاوضات لتصبح منطقة **العريش** هي المكان المطلوب .

لقد كان هرتزل يرى أنه ((**.. ماديام الباب الامامي لفلسطين سيكون مغلقا امامنا ، فلابد ان نجيء من ابواب خلفية أخرى**)) .

وفي يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٢ كتب هرتزل في مذكراته يقول : « اجتمعت اليوم مع المستر تشمبرلين (وزير المستعمرات بالحكومة البريطانية حينئذ) . تحدثت معه أولا عن مشروع قبرص . ولكنه قال لي : ان الحكومة البريطانية لا توافق على هذا المشروع بسبب رد الفعل الذي يمكن أن يحدث .

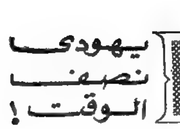
((ولكنني رددت على المستر تشمبرلين قائلا : ليس كل شيء في السياسة يتم كشفه للناس . ان النتائج فقط ، أو الأشياء المفيدة فقط .. هي التي تظهر . لقد كشفت لك خطتي الخاصة بقبرص . انها تعتمد على جو ملائم في قبرص لهجرة اليهود . يجب أن نتلقى الدعوة للذهاب الى هناك . انني سوف أمهد لذلك عن طريق ستة مبعوثين سارسلهم الى قبرص . وحينما ننشيء الشركة الشرقية اليهودية ـ براسمال خمسة ملايين جنيه ـ للاستيطان في سيناء ، أو في العريش ، فان اهالي قبرص انفسهم سيكونون متلهفين على تحويل جزء من هذا المطر الذهبي الى جزيرتهم ، وهذا سيكون قصدنا الحقيقي . وحين يتحقق ذلك .. سنحصل على الأراضي ، واهل الجزيرة بعضهم مسلمون ، والبعض الآخر يونانيون ، المسلمون سوف يرحلون . اما اليونانيون فسوف يسعدهم أن يبيعوا لنا أراضيهم بسعر مرتفع ، ثم يهاجروا الى أثينا أو الى كريت)) .

ثم كتب هرتزل بعد ذلك في مذكراته يقول : ((اننا لو حصلنا من الحكومة البريطانية على قبرص .. فان هذا سوف يضعنا في مركز أفضل للمساومة مع السلطان العثماني .. وكذلك لو حصلنا على سيناء أو منطقة العريش .. وكل منطقة من المناطق الثلاث سوف تكون هي نصف الطريق الى فلسطين .. لان كلا منها يصلح مركزا لتجميع اليهود يقفزون منه مباشرة الى فلسطين)) .

على أن المشروعات الثـــلاثة فشـــلت جميعا .. أما قبرص فقـــد رفضتها الحكومة البريطانية ، لأنها ستدخلها فى منازعات دولية عديدة . أما العريش وسيناء فقد كتبت الحكومة المصرية فى ردها الى الحكومة البريطانية : « أن لدينا من المشـاكل ما لا يحتاج الى مشكلة جديدة » .

* * *

ويومها .. لم تكن مصر تعلم ، أنه سيأتى الوقت الذى تصبح فيه المشكلة الصهيونية ، على الضفة الشرقية لقناة السويس !





بقلم : محمود عوض

كل شيء ساخن في مصر خلال تلك السنة ــ ١٩٤٢ .

الجيش الانجليزى ساخن فى القاهرة .. بعد أن حاصر القصر الملكى فى حادث ٤ فبراير المشهور .

الجيش الالمانى ساخن فى السلوم .. بعد زحف سريع قاده روميل من شمال افريقيا .

والملك فاروق ساخن فى قصر عابدين .. بعد الانذار الذى تلقاه من المستر مايلز لامبسون ، السفير البريطانى فى القاهرة .

واليهود أيضا .. كانوا ساخنين فى مصر . عددهم خمسون الفا .. لكن نفوذهم مضروب فى هذا الرقم مائة مرة ، ففى أيديهم مفاتيح كثيرة الى عقل مصر وجيبها .

انهم موجودون مثلا فى صحافة مصر .. يمسكونها من رقبتها عن طريق احتكار تجارة ورق الصحف . ويمسكونها من قدميها عن طريق شركة الاعلانات الشرقية . وفى كل صحيفة لابد أن تجد أحد اليهود فى منصب هام ، له نفوذ قبل أن يكون له بريق .

وفى أيديهم تجارة مصر .. محال داود عدس وبنزايون مثلا .

وموجــودون فى ريف مصر .. من خــلال بنوك الرهونات وشركة سوارس مثلا ..

وفى المجالس النيابية .. كانوا موجودين وممثلين بحكم التقاليد المصرية السمحة ، التى قضت بتعيين اليهود فى مجلس الشيوخ .

أكرر : نحن فى سنة ١٩٤٢

انها السنة نفسها التى نشرت فيها مجلة (لايف) الأمريكية تحقيقا مصورا فى ست صفحات عن القصر الملكى فى مصر .. وقالت فيه : « ان ملك مصر .. يملك أضخم وأفخم مطعم فى العالم » .

وهى أيضا الفترة نفسها التى أصدر عنها طه حسين كتاب (المعذبون فى الأرض) وقال فى مقدمته : « الى الذين يجدون مالا ينفقون ٠٠ والى الذين لا يجدون ما ينفقون ٠٠ يساق هذا الحديث » !

* * *

اننا فى سنة ١٩٤٢ ٠ بالذات فى شهر مايو ٠ ففى هذا الشهر عقدت المنظمة الصهيونية بالولايات المتحدة مؤتمرا بفندق بلتيمور بمدينة نيويورك ٠ وكان من قادة المؤتمر : حاييم وايزمان ، ودافيد بن جوريون ، وناحوم جولدمان ٠ وبعد انقسامات ومناقشات وجدل عنيف٠٠أقر المؤتمر برنامجا من ثلاث نقط كخط عمل للحركة الصهيونية :

١ ـ ان الهدف الأساسى هو اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ٠

٢ ـ تشكيل قوة عسكرية يهودية تحارب تحت علمها الخاص ٠٠ فى صف الحلفاء

٣ ـ ضرورة السعى لاعادة فتح باب الهجرة الى فلسطين على مصراعيه أمام اليهود ٠

لقد كانت قرارات المؤتمر كلها ، انتصارا كاملا لشخص واحد تزعم المناقشات والجدل والانقسامات : دافيد بن جوريون ٠ ان بن جوريون كان يرى أن الوقت قد أصبح مناسبا لكى يعلن اليهود هدفهم فى المرحلة التالية ٠ ان بن جوريون يرى أن الهدف المعلن الآن يجب أن يكون هو : وطن قومى يهودى فى فلسطين ٠ وهو يرى أيضا أن اليهود عندما سيقرأون (وطن قومى) ٠٠ فانهم سيقرأونه (دولة) ٠

وبن جوريون، اتخذ من مؤتمر نيويورك سنة١٩٤٢ نقطة هذا التحول، لأنه كان يرى ان الوقت قد حان لكى تلقى المنظمة الصهيونية العالمية كل ثقلها فى الولايات المتحدة ، بدلا من بريطانيا ٠

كانت حسبة بن جوريون بسيطة للغاية : ان بريطانيا ـ مع انها هى التى أصدرت وعد بلفور ـ فان نشوب الحرب العالمية الثانية قد خلق لها مصلحة تكتيكية فى أن تحصل على صداقة العرب ٠ أو على الأقل ـ لا تفعل ما يزيد عداءهم لها ٠ خصوصا فى تلك الأيام العصيبة من التقدم الألمانى والهزيمة الانجليزية ٠ واقتنع بن جوريون أيضا بأن الولايات المتحدة ـ وليست بريطانيا ـ هى التى ستخرج من الحرب قوة حاسمة ومسيطرة ، ومن ثم فلابد من ضمان وقوف هذه القوة من الآن الى جانب الحركة الصهيونية ، ولابد بالتالى من تركيز ثقل العمل الصهيونى كله فيها ٠

هكذا عاد بن جوريون وقتها الى فلسطين ، بعد أن عبأ العمل الصهيونى نحو هدفين :

أولا ــ السعى لخلق دولة على أرض فلسطين •

ثانيا ــ تعبئة أمريكا لمساندة وتأييد هذا الهدف •

انه ــ باعتباره رئيسا للمنظمة اليهودية وقتها ، وباعتباره ممثلا ليهود فلسطين فى تعاملهم مع العالم الخارجى ــ كان عليه أن ينفذ جزءا من الهدفين على أرض فلسطين ، ويترجم الهدف الأول بالذات الى أسلوب عمل يومى تسير على أساسه الجهود الصهيونية فى فلسطين • هكذا قرر بن جوريون مثلا أن يؤيد بريطانيا باليد اليمنى ، ويضربها باليد اليسرى! ان بريطانيا ــ باعتبارها الدولة المنتدبة على فلسطين ــ أصدرت كتابها الأبيض بشأن فلسطين قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية • كانت سياستها الجديدة هى الحد ــ مؤقتا ــ من نطاق الهجرة اليهودية الى فلسطين • فالحرب العالمية قد بدأت •• وبريطانيا محتاجة الى كسب ود العرب •

وعلى الرغم من أن التغيير الجديد فى السياسة البريطانية كان تغييرا مؤقتا ، ولا يؤثر فى المدى الطويل على سياسة بريطانيا نحو الحركة الصهيونية••فقد بدأ بن جوريون حربا واسعة ضد بريطانيا•لقد كانت الحرب العالمية الأولى هى فرصة الصهيونية للحصول على وعد بلفور • وهذه هى الحرب العالمية الثانية تقدم فرصة ثانية للمنظمة لتنتهى تماما من التنفيذ الكامل لمطالبها فى فلسطين •

وفى سنة ١٩٤٥ لخص بن جوريون الموقف بانه : « الكتاب الأبيض •• أم دولة يهودية ؟ اننا سوف نحكم على السياسة البريطانية بناء على الجانب الذى تختاره •• ان العامل الحاسم فى كل ذلك هو : القـوة • فبغيرها سيظل اليهود أقلية مغلوبة فى بلد عربى » •

لقد رفع بن جوريون طوال الحرب شعارا غريبا هو : سـنحارب مع بريطانيا كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض •• وسنحارب الكتاب الأبيض كما لو لم تكن هناك حرب •

والآن ــ بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية فى ١٩٤٥ ــ بدأ بن جوريون يركز لهدف آخر : الحرب ضد بريطانيا وضد العرب فى وقت واحد • لقد بدأ يركز على الاستعداد العسكرى • واصبح مسئولا عن هذا الاختصاص من سنة ١٩٤٧ • وفى يوليو من السنة نفسها أصدر تعليمات للفرق المسلحة (الهاجاناه) يقول : اننـا سنصطدم مع بريطانيا ، ومع العرب •• ولابد أن نفرق بين الاثنين • أن صدامنا مع بريطانيا هو صدام سياسى وليس صداما عسـكريا ، وسوف يحسمه تكتل اليهودية العالمية وتوسيع نطاق الهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين • أما صدامنا مع العرب فهو صدام عسكرى وصدام سياسى فى وقت واحد • وسـوف تحسمه القوة وحدها •

القوة ؟ نعم هذا هو المفتاح لفهم شخصية بن جوريون من البداية ، وفهم العقل الاسرائيلي كله من بعده • ان فى دراسة شخصية بن جوريون دراسة لاسرائيل ، ودراسة للعقل الاسرائيلي تفكيرا وعملا • واذا كنا نعتبر أن تيودور هرتزل هو مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة ، فان بنجوريون هو مؤسس الدولة . الأول وضع النظرية ، والثانى قام بالتطبيق .. الأول خلق الخيال .. والثانى خلق الحقائق . الأول حول حقائق قليلة الى خيالات واسعة ، والثانى حول الخيالات الواسعة الى حقائق مادية • الأول حدد اتجاه البوصلة •• والثانى قاد السفينة •

هكذا اذن تصبح دراسة بن جوريون مهمة ، بقدر ما دراسة اسرائيل المعاصرة مهمة • ان احدهما لا يمكن فهمه بدون الآخر ، ولم يكن ممكنا وجوده بغير الآخر • ان بن جوريون كان اول وزير دفاع لاسرائيل، واول رئيس وزراء لاسرائيل ، واطول من بقوا فى هذا المنصب (أكثر من ١٣ سنة) • انه من منصب وزير الدفاع بدأ وادار حرب ١٩٤٨ • وهو ـ من منصب وزير الدفاع ورئيس الوزراء ـ بدأ وادار حرب ١٩٥٦ • وهو ـ من خارج المنصب الرسمى ـ أعطى نصائحه وبركاته لتلاميذه الذين بدأوا وأداروا حرب١٩٦٧ . وحتى الآن فانه يعتبر ـ فى تقاعده ـ الشخصية الوحيدة فى اسرائيل التى تستطيع ان توجه وتؤثر بغير الاعتماد على حزب او منصب • ان هذا طبيعى ، لأن بن جوريون هو مؤسس الدولة ومهندسها الفعلى • ان بصماته ما زالت تطبع العقل الاسرائيلى حتى الآن من خلال الجيل الذى تتلمذ عليه ، وأبرز مثل لهذا الجيل هو « موشى ديان » وزير الدفاع الحالى • وعندما حدثت ازمة وزارية فى اسرائيل قبيل حرب يونيو ١٩٦٧ ، فان العسكريين والسياسيين ـ من أقصى اليمين واقصى اليسار ـ كانوا جميعا يذهبون الى بن جوريون ليعرضوا عليه خططهم وافكارهم بصدد الموقف الذى اشتعل مع مصر وقتها •

اننا اذا كنا نريد اذن أننعرف كيف تفكر اسرائيل وكيف تفكر الحركة الصهيونية عموما ، فان بن جوريون يمثل حلقة هامة فى نطاق بحثنا ان بن جوريون هو النموذج الحى لما يسمى (الصهيونية الكلاسيكية) . انه يهودى روسى ـ مثل معظم الزعماء الكبار فى اسرائيل ـ ولد سنة ١٨٨٦ فى مدينة (بلانسك) البولندية الخاضعة وقتها لروسيا القيصرية • وفى سنة ١٩٠٦ هاجر الى فلسطين مع عدد من زملائه فيما سمى (بالهجرة الثانية) •

وفى كتاب (اسرائيل : سنوات التحدى) يقول انه فوجىء فى فلسطين بظاهرتين :

اولاهما : ان اليهود يعيشون حياة (الأفندية) ، ويحصلون على دخولهم من تأجير الأرض وبعض المهن الأخرى (كالتجارة) ، وهذا معناه

« .. اننا لن ناخذ فلسطين بهذه الطريقة ، فبين الأرض والشعب ، لابد من وجود رابطة عمل » .

ثانيا : ان السلاح في أيدى اليهود كالعدم . فهم لا يصلحون لحمل السلاح منذ قرون مضت .

ووجد بن جوريون، أن هاتين الظاهرتين لابد أن تكونا جزءا من مهمة العمل الصهيونى : تعليم اليهود الزراعة .. فهى التى تربط الفرد بالأرض ، وتعليمهم حمل السلاح . (وكان هذا هو السبب الحقيقى الذي دعا بن جوريون بعد ذلك من أجله لتشكيل فيلق يهودى يحارب فى صف الحلفاء) .

لقد وجه نداءه الى الملاك اليهود فى فلسطين ، لأنهم ـ فى رأيه ـ مثل يهود أوربا ، طبقة متوسطة لاتريد الا الربح ولأنهم ـ ثانيا ـ يستأجرون الشركس لحمايتهم ، ولأنهم ثالثا يستخدمون مزارعين عربا .

لقد كان بن جوريون يرى، أن المال اليهودى اذا انتقل من جيب يهودى فيجب أن ينتقل الى جيب يهودى آخر ، ولهذا السبب.. فيجب على الملاك اليهود أن يستأجروا عمالا يهودا وليس عمالا عربا . انه فى كتاب (قدر اسرائيل) يقول : « .. ان المستعمرات اليهودية أنفقت ملايين الفرنكات ، والقسم الأكبر من هذا المبلغ ذهب الى جيوب العرب .. ان كل مزارع ينضم الينا ، معناه انعاش ثلاث عائلات عربية دون فائدة لليهود ، لانهم لا يعيدون لليهود شيئا مما يأخذون .. يجب على اسرائيل (وهى لم تكن موجودة بعد !) أن تعرف ان الملاك اليهود لن يرجعوا أرض الميعاد الا اذا كان العمال الذين يشتغلون لديهم يهودا » .

ومن الناحية الأخرى.. بدأ بن جوريون يركز جهوده أيضا على الجبهة الثانية : **جبهة القوة المسلحة .**

فبعد سنوات قليلة من وصول بن جوريون الى فلسطين ، وقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى ، ركز الصهيونيون فى فلسطين طلباتهم من الوالى التركى فى السماح لهم بأسلحة . ويقول بن جوريون نفسه عن تلك الفترة : « كنا ننتظر مجىء الأسلحة ليلا ونهارا ، ولم يكن لنا من حديث الا عن الأسلحة.. وعندما جاءتنا الأسلحة لم تسعنا الدنيا من فرط فرحتنا .. كنا نلعب بالاسلحة كالأطفال ، ولم نعد نتركها أبدا .. كنا نقرأ ونأكل ونتكلم والبنادق فى أيدينا أو على أكتافنا » .

لقد كان بن جوريون، يرى أن القوة المسلحة، هى التى ستخلق الحقائق المادية فى فلسطين ، وهى التى ستقرر فى النهاية أيهما الطرف الرابح فى الصدام : اليهود أم العرب . لهذا قام بن جوريون وقتها بتشكيل فرق حراسة (هاشومير) ، واختار لها شعارا هو : (بالدم والنار سقطت اليهودية .. وبالدم والنار سوف تقوم ثانية) .

وفى سـنة ١٩٢١ تحولت فرق (الهاشـومير) الى جمـاعة كبيرة مسلحة وسرية سميت (الهاجاناه) ، التي وضع بن جوريون أيضا بصماته على تفكيرها من البداية . لقـد كان بن جوريون يريد من (الهاجاناه) أن تصبح قوة عسكرية مسلحة تساند المطالب السياسية للصهيونية فى فلسطين . وفى كتاب (بن جوريون ينظر للوراء) يؤكد هو أن الصهيونيين « .. لو لم يعتمدوا على القوة المسـلحة ، لمـا اسـتطاعوا اختراق أرض جـديدة » .

* * *

مرة اخرى : القوة .

مرة أخرى تصبح كلمة (القوة) هى المفتاح السحرى لفهـم العقل الاسرائيلى كله ، وبن جوريون تجسيد له . لقد ظلت القوة هى محـور تفكير بن جوريون منذ وصل الى فلسطين فى ١٩٠٦ ، ومنذ أصبح عضوا فى المجلس التنفيذى للوكالة اليهودية بفلسطين سنة ١٩٣٣ ، ثم رئيسا له بعد ذلك ، ومنذ أن أصبح وزيرا للدفاع فى الدولة الجديدة .. ورئيسا لوزرائها بعد ذلك .

وفى كتاب للمؤلف الصهيونى (ناداف سافران) يقول بن جوريون انه كان يؤمن دائما بأنه : « **يجب علينا أن نتكلم عن السلام كما لو كنا لن نحارب .. ونتكلم عن الحرب كما لو كنا لا نريد السلام** » .

وفى كتاب آخر كتبه عنه المؤلف الأمريكى (روبرت جون) يقول : « ان الكثيرين يرون أن بن جوريون رجل انتهازى . وفى الحقيقة .. فان هذه الصفة تنطبق عليه تماما » .

وفى الكتاب ذاته يقول بن جوريون نفسه : «**ان الأغبياء هم وحدهم الذين يفتشون عن المنطق فى التاريخ** » ويقول أيضا : « **ان سياسة اسرائيل يجب أن تقوم على اعتبارات الأمن وحدها** » .

ما هى اعتبارات الأمن الاسرائيلى فى نظر بن جوريون ؟

انها قاعدة مثلثة الزوايا : الهجرة .. مساندة دولة كبرى .. حدود يسهل التوسع فيها والدفاع عنها .

ولو بدأنا بالضـلع الأول فى المثلث الاسرائيلى ، من وجهـة نظـر بن جوريون ، وهو الهجرة ، فسوف نجد انه يرى أن على اسرائيل أن تعمل بكل الطرق وكل الوسائل على مضاعفة اعداد المهاجرين اليها . ان هذا هو الذى يحسم ـ فى المدى الطويل ـ مشكلة الأمن وامكانيات التوسع الاسرائيلى فى المنطقة .

وفى هـذه النقطة قال بن جوريون فى مايو ١٩٤٩ (بعـد قيام اسرائيل) : « اننا لم نحقق بعد هدفنا . فنحن حتى الآن لم نحرر من

بلادنا سوى جزء واحد فقط . **ان علينا أن نجعل الحرب حرفة يهودية** » .

بل ـ أكثر من ذلك ـ قال بن جوريون في ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠ أمام المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين : « **ان الصهيونية أصبحت لا تحمل الا معنى واحدا .. هو الهجرة الى أرض صهيون .. ان كيان اسرائيل وكيان الصهيونية العالمية يقومان على الهجرة الى اسرائيل .. ان كل يهودى يجب أن يهاجر الى اسرائيل . ان كل يهودى أقام خارج اسرائيل منذ انشائها يعتبر مخالفا لتعاليم التوراة .. وهذا اليهودى يكفر يوميا باليهودية** » !

وفى الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) أعلن بن جوريون مرارا : « ان دولة اسرائيل تعتبر اليهود فى جميع أنحاء العالم امة واحدة . ويتحتم على الصهيونيين فى جميع أنحاء العالم أن تكون لديهم الشجاعة للوقوف فى صف اسرائيل .. حتى ولو كانت حكوماتهم ضد هذه الفكرة . كما ان كل من يعيش خارج اسرائيل يعتبر بلا رب » !

ففى حرص «بن جوريون» على زيادة الهجرة الى اسرائيل .. يذهب الى المدى الذى يحكم فيه على كل يهودى بانه بلا اله .. ما لم يهاجر الى اسرائيل ، وبلا اله ما لم يخلص الى اسرائيل . ويهودى نصف الوقت .. ما لم يهاجر الى اسرائيل . بل ان بن جوريون يحرض كل يهودى خارج اسرائيل على أن يذهب فى اخلاصه لها الى المدى الذى يتنافى مع اخلاصه المفترض للدولة التى يحمل جنسيتها والمجتمع الذى يعيش فيه .

ولقد كان خوف اليهود من نظرة الشك والارتياب فى ولائهم .. هو التى دفع بعضهم الى محاولة الرد على بن جوريون فى هذه الآراء . ومن الدانمارك رد عليه حاخام اليهود مرة فى سنة ١٩٦٢ قائلا : « اذا أراد الرئيس ـ بن جوريون ـ أن يقنعنا بانه لكى نكون يهودا فى كل لحظة من لحظات حياتنا فان علينا أن نعيش فى اسرائيل ، فانه يحق لى أن أسأل سؤالين . أولا : هل من الضرورى أن نكون يهودا فى كل لحظة من لحظات حياتنا ؟ وثانيا ـ ألا يرى أن كون الشخص يهوديا وكونه مخلوقا بشريا يتعادلان فى القوة والمعنى ؟ ألا يستطيع المرء أن يكون يهوديا وانسانا الا فى بضعة كيلو مترات تكون الدولة الاسرائيلية ؟ »

ولكن هذا المنطق لا يهم بن جوريون .. ان ما يهمه فقط ، هو أن اسرائيل فى حاجة الى ملايين جديدة من اليهود .. لكى تحتشد بهم ما تسميه الصهيونية (أرض اسرائيل التاريخية) ان هذا الاصطلاح الذى يؤمن به بن جوريون يقصد به الأراضى التى تشمل فلسطين والأردن وسيناء ومرتفعات سوريا وجنوب لبنان .

وهذا الطابع التوسعى الاستعمارى فى الحركة الصهيونية يحلله المؤلف الأمريكى (آلان تيلور) فى كتاب (مدخل الى اسرائيل) فيقول :

« لقد كان من المفروض ، ان الحركة الصهيونية قد حققت هدفها باقامة دولة اسرائيل، وهذه فكرة غير صحيحة..فمازالت الحركة الصهيونية قائمة ومستمرة ، وسوف تظل مستمرة لانها تعتبر أن أمامهـا واجبا مزدوجا تريد أن تحققه .. فأولا هي تريد تجميع كل يهود العالم ، وهي تعتبرهم جميعا منفيين يقيمون في المنفى ، والى أن يحضر أغلبية يهود العـالم الى اسرائيل ويرضى كل منهم بان يصبح مواطنا اسرائيليا ، ستظل الصهيونية تعتبر انها لم تحقق كل هدفها • وثانيا ـ ان الصهيونية ترى ان واجبها الثاني هو مد الدولة اليهودية الى حدود أرض اسرائيل Eretz Israel ولا يرجع هذا لمجرد أسباب رومانتيكية ، بل لان هذا اعتبار هام وضروري لامداد اسرائيل بالقوة الاقتصادية اللازمة ، وبالمساحة الجغرافية اللازمة لتوطين اليهود المهاجرين اليها » •

ويستطرد آلان تيلور في كتابه قائلا : « ان هـذه المطامع الاقليمية ليست جديدة على الحركة الصـهيونية • فالمذكرة الأصـلية التي قدمتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الســلام بباريس سنة ١٩١٩ كانت تطالب بان يمتد وعد بلفور ليشمل نطاق تطبيقه : شرق الاردن وجبال حوران بسوريا ولبنان الجنوبية وسيناء • وفي السنوات القليلة السابقة لم تعد المنظمة الصهيونية تكشف علنا عن هذه الأهداف التوسعية الاقليمية .. ولـكنها بالرغم من ذلك تكشف عنها احيانا .. كما حدث في الـكتاب السنوي لاسرائيل سنة ١٩٥٥ ، وفي تصريحات بن جوريون •

وربما ، بسبب هذه النقطة بالذات ، فان بن جوريون ابتدع نظرية جديدة طبقها منذ اليوم الأول لقيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، انها نظرية يمكن أن نسميها « نظرية الحدود المفتوحة » ان بن جوريون كان يرى أن اسرائيل تحتاج ـ ولابد من أن تتوسع في حدودها مرحلة بعد مرحلة ـ انه كان يرى أيضا أن القوة هي التي ستحدد حدود الدولة التي فشـلت السياسة في تحديدها •

وفي كتابه « النبي المسلح » الذي أصدره الكاتب الاسرائيلي « ميشيل بارزوهار » عن بن جوريون ، يذكر المؤلف خلافا وقع بين القادة الصهيونيين قبيل حرب ١٩٤٨ حول الحدود التي يمكن اعلانها رسميا للدولة الجديدة • وبعد جدل عنيف بين المجتمعين قال بن جوريون : « لا لزوم لتعيين الحدود » ان بن جوريون لا يريد أن يقيد نفسـه بحدود معلنة للدولة الجـديدة ، وهو لا يريد أن يقيد حركته في المستقبل ..حركته تخلق حقائق مادية يؤدي الزمن الى تحويلها الى أمر واقع •

ان الايمان بالأمر الواقع هو أمر يسود تفكير بن جوريون كله منذ بدايته المبكرة في فلسطين • فلو رجعنا الى سنة ١٩١٧ سوف نجد أن قيام بريطانيا وقتها باصدار وعد بلفور ، أشاع جوا من التفاؤل الشديد بين الصهيونيين ، ومع أن بن جوريون اشترك مع الجميع وقتها في ذلك ..

الا انه كتب يقول : « ان وعد بلفور وهدف عصبة الامم من الانتداب سيبقيان قصاصات ورقاذا نحن لم نستطع جلباليهود الى فلسطين، وتجهيز الأرض للتوطن على نطاق واسع . . ان الهجرة والتوطن سيخلقان حتما الحقائق التي ستجلب الاستقلال » لقد كتب يقول أيضا : « أيهما اكثر اقناعا . . أن نقول ان الأرض اعطيت لليهود الذين سيأتون بموجب وعد بلفور ، أم لليهود الموجودين فيها ؟ »

وخلال حرب ١٩٤٨ ، كانت وجهة نظر العسكريين هي تركيز القوات اليهودية في مساحة قليلة حتى يمكن الدفاع عنها ٠٠ ولكن بن جوريون كان ابعد نظرا منهم ، عندما فكر في حدود الدولة الجديدة التي ستتمخض عنها الحرب ٠ لقد رفض اخلاء المستعمرات اليهودية النائية ٠ وقال ان كل شبر حصلوا عليه يجب أن يبقوا فيه، بل وبالعكس، من المصلحة ان تتناثر هذه المستعمرات في اماكن بعيدة ومتفرقة ، حتى يصبح ممكنا الادعاء بانها مناطق يهودية ٠ ان وجود مستعمرتين او ثلاث مثلا في صحراء النقب كلها٠٠سيجعل ممكنا الادعاء بأن صحراء النقب يهودية ٠ ان مايهم بن جوريون هو اثبات وجود ، أو اثبات حالة وجود صهيوني في منطقة ، لكي تصبح هذه المنطقة باسرها بعد ذلك جزءا من حدود الدولة الجديدة ٠

واذا كنا قد تناولنا حتى الآن عنصرى الهجرة ، والحدود المفتوحة ، في تفكير بن جوريون ٠٠ فان العنصر الثالث الباقي في قاعدة المثلث هو اهمية التحالف مع دولة كبرى . فعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ووصول حزب العمال البريطاني الى الحكم ، سافر بن جوريون الى لندن لاجراء مباحثات غير رسمية مع الوزير البريطاني بيفن ٠٠ وفي كتاب (**بن جوريون اسرائيل**) يكشف بن جوريون للمؤلف عن سر جديد يتلخص في ٠٠ انه عرض على بيفن انشاء قواعد بريطانية في صحراء النقب تكون بديلا عن القاعدة البريطانية في قناة السويس ، وفي مجال الاغراء ٠٠ ذكر بن جوريون أن هناك احتمالا لوجود البترول في صحراء النقب ، وأن بريطانيا ستكسب كثيرا لو وافقت على الحصول على قاعدة عسكرية ، وكذلك التنقيب عن البترول ٠٠ مقابل (**وهذا هو الثمن**) **أن تساعد بريطانيا في زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين والتحالف مع الدولة اليهودية الجديدة ٠**

لقد كان بن جوريون يجرى تلك المفاوضات غير الرسمية مع بريطانيا كما لو كانت اسرائيل قد قامت فعلا ، مع أن تلك المفاوضات جرت قبل قيام الدولة بسنتين كاملتين ٠

وعندما ننتقل الى كتاب آخر عن بن جوريون ، هو « **النبى المسلح** » نجد انه لخص سياسته في ثلاث نقط هي : « الرد بقوة على العرب ، والحصول على سلاح، ثم التحالف مع قوى غربية لحفظ سلامة اسرائيل» لقد تغيرت أضلاع المثلث هنا ، اختفى عامل الهجرة وتراجع عامل الحدود

المفتوحة ، ولـكن عامل التحالف مع قوة غربية ظل سائدا فى سياسـة بن جوريون •

انه لأمر طبيعى ، أن تصبح النقطة بهذه الأهمية فى بال بن جوريون ومن ورائه اسرائيل كلها ، من البداية • فبهذه الطريقة تستطيع اسرائيل أن تعيش وتتوسع تحت مظلة القوة الغربية تحقق لها جزءا من مصالحها ، وفى الوقت نفسه تحقق هى ــ اسرائيل ــ جزءا من أهدافها •

لقد شعرت اسرائيل فى سنة ١٩٥٢ ببوادر تحسن فى العلاقات بين مصر وأمريكا ، فدبرت عملية واسعة النطاق للتجسس والتخريب ضد المنشآت الامريكية فى مصر للقضاء على هذه البوادر مقدما ، وعندما اكتشف البوليس المصرى العملية كلها ، فى اللحظة الأخيرة، تسبب ذلك فى فضيحة داخل اسرائيل عرفت فيما بعد باسم (فضيحة لافون) •

وعندما فشل التجسس والتخريب •• عاد بن جوريون الى الحكم لكى يلجأ الى لعبته القديمة: تقديم قواعد عسكرية لامريكا فى اسرائيل مقابل ضمان أمريكى للحدود ، وعندما لم تجد أمريكا الوقت مناسبا لقبول هذا العرض ، بدأ بن جوريون ينقل مقامرته الى قوة غربية أخرى كانت لهـا أهدافها الخاصـة فى المنطقة وهى فرنسـا ، وبعد أن ضـمن بن جوريون تحالف فرنسا ثم بريطانيا معه •• بدأ العدوان الثلاثى المشهور فى أكتوبر ١٩٥٦ • لقد دخل بن جوريون مغامرة ١٩٥٦ وهو يريدها ((•• أكثر من غارة •• وأقل من حرب)) حسب تعبيره لجى موليه رئيس وزراء فرنسا ــ فى ذلك الحين ــ ولكنه خرج منها بنصيب الأسد لاسرائيل •

ولقـد تكررت الأهداف ــ بشـكل متطور ــ فى حرب ١٩٦٧ حرب خرج بعدها بن جوريون من عزلته فى مستعمرة « سدى بوكر » بالنقب لكى يطالب بعد أسبوع من وقف اطلاق النيران ، بهدف اسرائيلى جديد : انشاء دولة عربية ذات استقلال ذاتى فى الضفة الغربية ترتبط بمعاهدة اقتصـادية مع اسرائيل ، وتلك ــ فى رأيه ــ هى مقدمة لعقد الصـلح مع الأردن •

ووقتها •• لم يكن بن جوريون يعلم أن الملك حسين ــ ملك الأردن ــ سيطالب بالشىء نفسه بعدها بخمس سنوات !

الجزء الثاني

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



التاريخ السري لحرب إسرائيل

تأليف: ميشيل بار زوهار

هذا الكتاب ..

وهـــذا المؤلف

ان الكتب الاسرائيلية التى صدرت لتحلل حرب الأيام الستة فى يونيو ١٩٦٧ ، تمثل أعلى نقطة فى ترمومتر الحرب النفسية ضد العرب ، وبالذات ضـد مصر . ان الانتصـار الخاطف من جانب اسرائيل .. مقابل الهزيمة الواضحة فى جانب العرب .. يمثلان فرصة ذهبية و « فاترينة » ضخمة تعرض اسرائيل من خلالها كل ما تريد . لهذا فان ابتلاعنا لهذه الجرعة يزيدنا قوة برغم انه يملؤنا مرارة . انه يزيدنا قوة بشرط ان تكون هذه الجرعة مقدمة لعلاج المرض واستئصال الاسباب .

والكتاب الذى نعرضه هنا على لسان مؤلفه ، ليس هو الكتاب الوحيد الذى يتناول احداث يونيو ١٩٦٧ بالتفصيل . انه ليس الكتاب الوحيد ، ولكنه يعتبر الكتاب الأمثل ، الذى يمثل وجهة نظر اسرائيل فى تلك الأحداث . ان المؤلف اختار لكتابه عنوان « التاريخ السرى لحرب اسرائيل » ، ونحن نختار له عنوانا بديلا هو « التاريخ الاسرائيلى لحرب ١٩٦٧ » ، لأنه أكثر الكتب تعبيرا عن وجهة نظر اسرائيل فى تلك الحرب التى لم تنته بعد .

ان المؤلف هو « ميشيل بارزوهار » ، وهو اسرائيلى تخصص فى الكتابة عن الأزمة العربية الاسرائيلية . لقد صدرت له من قبل أربعة كتب ، كان من بينها كتاب « حرب السويس ـ سرى جدا » .. وهو كتاب نشر فى أعقاب حرب ١٩٥٦ .

وفى هذا الكتاب الجديـد « التـاريخ السرى لحرب اسرائيل » حصل المؤلف على معلوماته من حوالى مائتى شخصية عسكرية وسياسية فى اسرائيل وأمريكا وبريطانيا وفرنسا ، وتناول بالتفصيل موقف كل الأطراف الدولية بالنسبة للنزاع ، تناولا يمثل ـ بالطبع ـ وجهة نظر اسرائيل . وفى هـذه الحدود .. فان الكتاب يكشـف أسرارا جديدة ، ليس بالنسبة للتفكير الاسرائيلى فقط .. ولكن بالنسبة لدور أمريكا فى الأزمة أيضا ، وخصوصا بالنسبة للدور الذى قام به الأخوان يوجين روستو ووالت روستو ، لخدمة أهداف السياسة الاسرائيلية خلال الأزمة . لقد كان الأول وكيلا لوزارة الخارجية الأمريكية ، والثانى مساعدا للرئيس الأمريكى جونسون .. ومن خلال هذين المنصبين الحساسين .. استطاعا أن يقوما بتأثير خطير فى السياسة الأمريكية خلال تلك الأيام الحاسمة من سنة ١٩٦٧ .

وفي النهاية .. فان هذا الكتاب هو واحد من الكتب الاسرائيلية الممنوعة من التداول في مصر والدول العربية .

* * *

- ١ -

في جهة ما من أوربا .. التقطت الأجهزة - الحساسة جدا - لمخابرات احدى دول الغرب ذات مساء برقية سرية . ان ادارة مخابرات تلك الدولة لها شهرة ذائعة الصيت .. شهرة لم تفقدها قط بالرغم من بعض الأخطاء والنكسات التي منيت بها .

وقد تم حل شـفرة البرقية على الفور . وقبل منتصف الليل ، وضعت البرقية كاملة على مكتب الضابط المسئول في ادارة هذه المخابرات، واتضح أنها عبارة عن تقرير من احدى السفارات في القاهرة ، موقع من السفير ، وموجه الى وزارة الخارجية التي يتبعها .

وكان هذا التقرير الذي أرسله السفير في ليلة ١٢ مايو ١٩٦٧ ، يخفي بين طياته نبأ أشبه بالقنبلة الزمنية ، التي تنفجر بعـد فترة من الوقت . لقد كانت الفقرة قبل الأخيرة من التقرير تقول :

«لقد قمنا اليوم.. بابلاغ السلطات المصرية بالمعلومات المتعلقة بحشود القوات الاسرائيلية على الحدود الشمالية ، التي تهدف الى القيام بهجوم مفاجيء ضد سـوريا . وقد نصحنا الحكومة المصرية باتخاذ التدابير الضرورية في هذا الصدد » .

وفي هذه الأمسية .. لم يكن أحد يشك في أن هذه العبارة ستكون الشرارة التي تفجر برميل البارود الضـخم ، الذي يسـميه الجغرافيون « الشرق الأوسط » .

وقبل ذلك بفترة بسيطة . كان الموقف قد توتر تماما على الحدود السورية الاسرائيلية . ففي نوفمبر ١٩٦٦ قام الجيش الاسرائيلي بغارة انتقامية ضد سوريا ردا على أعمال التخريب التي كان يقوم بها فدائيو منظمة « فتح » القادمون من قرية « السموع » الأردنية . وكانت تلك الغارة أكبر العمليات العسكرية التي قام بها الجيش الاسرائيلي في أرض العدو حتى ذلك الوقت . ووقتها عاب السوريون على الملك حسين عجزه الواضح تجاه الجيش اليهودي ، وطالبوا مصر بالقيام بعمل رادع لاسرائيل .. وبنـاء على ذلك وقعت اتفـاقية دفاع مشترك بين مصر وسـوريا .

وازداد توتر الموقف ، عندما حدثت معـــركة هامة فى ٧ ابريل ١٩٦٧ بين اسرائيل وسوريا ، قامت فيهـا عشرات الطائرات الاسرائيلية بالتغلغل فى مجال سوريا الجوى ٠ وفى يوم الخامس من مايو ١٩٦٧ قام رئيس وزراء مصر بزيارة سوريا ليعلن أن المعاهدة سوف تطبق فقط فى حالة قيام اسرائيل بهجوم عام على سوريا . وقد نشأ هذا الموقف عندما نقلت الحكومة الســـورية الى مصر معلومات سرية جدا مؤداهـــا ٠٠ أن اسرائيل تنوى الهجوم على ســوريا يوم ١٧ مايو ٠ وفى صباح ١٤ مايو ١٩٦٧ عقد اجتماع محدود فى قاعة الجلوس فى منزل عبد الناصر بالقاهرة ، قدم فيه مدير المخابرات المصرية تقريرا يؤكد فيه هو الآخر أن اسرائيل تعتزم الهجوم على سوريا . وقد اتضح فيما بعد ٠٠ ان كل هذه التقارير كان مصدرها واحدا ٠

وقد زاد على ذلك ٠٠ ان «ليفى أشكول» رئيس وزراء اسرائيل أعلن فى خطاب له ، أنه فى حالة نشوب حرب ٠٠ فان الأســـطول السادس سوف يتدخل الى جانب اسرائيل . ثم تتابعت بعد ذلك خطب لعدد من الوزراء الاسرائيليين ضمنوها تهديدات خطيرة ضد سوريا .

وفى هـذا الاطار ٠٠ أصـــدر عبد الناصر تعليمات الى قيـادة الجيش بأن تنظم فورا منـــاورة رادعة ضـد اسرائيل ، تحشد فيهـا المدرعات والطائرات ووحدات المشاة فى سيناء ، بحيث تهدد صراحة حدود اسرائيل الجنوبية ٠٠ فيصبح من المستحيل عليها القيـام بأى مبادرة فى الشمال ٠

وفعلا ، تلقى رؤساء الوحدات فى الجيش المصرى الأمر اليومى « رقم ١ » ونصه : **« اعلنت حالة الاستعداد القصوى ابتداء من يوم ١٥ مايو ، الساعة ١٤ر٣٠ . وتغادر الفرق والوحدات التى أعــدت طبقا للعمليات مراكزها الحالية، وتتحرك نحو مناطق التجمع والاحتشاد التى خصصت لها . وتســـتعد القوات المسلحة للانتقال للقتال على الجبهة الاسرائيلية طبقا لسير العمليات »** ٠

* * *

وفى واشنطن ، وفى الساعة التاسعة و ٤٥ دقيقة ، استكملت السفارة الاسرائيلية ـ التى تقع فى الشارع الثانى والعشرين ـ استعداداتها للاحتفال بعيد اســـتقلال اسرائيل (١٥ مايو) . وبينما كان يستعد «ابراهام هارمان» السفير الاسرائيلى للمؤتمر الصحفى الذى سيعقده بعد لحظات ، جاءته مكالمة تليفونية من « لوشيوس باتل » ، الذى كان سفيرا لأمريكا فى القاهرة ، قبل أن يصبح وكيـــلا لوزارة الخارجية الأمريكيـة لشئون الشرق الأوسط .

ان باتل ، أبلغ السفير الاسرائيلى ، بأن قوات مصرية عبرت مدينـة القاهرة ومرت تحت شرفات السفارة الأمريكية متجهة نحو سيناء .

ولم يكن ((باتل)) يشعر بقلق شديد ، لأنه قال للسفير ((.. ليست هذه سوى مظاهرة لاستعراض القوة ، وربما كانت ردا على الاستعراض العسكرى الذى أقيم فى القدس ، فانتم تحركون قواتكم وهم يحركون قواتهم)) .

* * *

وفى موسكو ، كان « ايجال آلون » وزير العمل الاسرائيلى ، يقوم بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتى لمدة ثلاثة أسابيع . وقد كانت تلك الفترة تشهد قلقا شديدا متزايدا من جانب الروس . لقد حدث انهيار مستمر لعدد من المراكز الهامة للمعسكر الاشتراكى فى جميع انحاء العالم .. وقد حمل هذا الى اعتقاد الروس بأن مؤامرة استعمارية يجرى تنفيذها على النطاق العالمى . فسقوط «بن بيلا» أعقبه سقوط «سوكارنو ونكروما» . واستولت الرجعية على السلطة فى الكونغو . وفى اليونان سحق كولونيلات الجيش — من أنصار اليمين المتطرف — الحريات الديموقراطية . وفى سوريا ارتفعت درجة حرارة الحمى . وفى مصر اكتشفت مؤامرة الاخوان المسلمين . وفى السعودية بدأ السعى لعقد تحالف اسلامى . وكان من رأى السوفيت ان واشنطن هى التى تحرك الخيوط من وراء الكواليس .

وفى هذا الجو .. أصبح السوفيت مقتنعين فى ربيع ١٩٦٧ بان الاسرائيليين يعدون ، لعدوان غادر على سوريا ، وأن هذا العدوان أصبح وشيكا .

* * *

وفى اسرائيل ، كان « اسحق رابين » رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد وجه الدعوة للقواد الستة السابقين للجيش لمرافقته فى جولة تفقدية . وخلال الجولة تبادل رؤساء أركان الحرب السابقون الأسئلة حول حشود المصريين ، ووقتها قال رابين : **((ان المصريين يواصلون التمركز فى سيناء ، وهم يحتفظون عادة فى هذه المنطقة بحوالى فرقة و ٢٥٠ دبابة . وقد جلبوا فى الوقت الحاضر مئات من الدبابات الاضافية . وليس هناك شك فى ان الامر يتعلق باستعراض القوة » ولكن ما الذى يفعلونه بعد ذلك » .**

وقاطعه موشى ديان : انني استطيع ان أقول ماذا سيفعلونه .. انهم سيطلبون سحب قوات الأمم المتحدة . وهذه القوات ستجد نفسها مرغمة على الاذعان لأنها ترابط فى أرض مصرية . واذن ، فاذا كان «عبد الناصر» يرغب فى القيام بخطوة أخرى الى الأمام ، فانه يستطيع اغلاق مضايق تيران .

* * *

وفى غزة ، وصل ــ فى الساعة العاشرة مساء ــ رسول متعجل من قبل أركان الحرب المصرية الى مقر الجنرال ريكى ، الرجل الهندى الذى يقود جيش الأمم المتحدة ، وسلمه رسالة شخصية وقعها رئيس أركان حرب الجيش المصرى وهذا نصها :

« يهمنى أن أبلغكم أنى أصدرت الأمر الى جميع القوات المصرية المسلحة بالاستعداد للعمل ضد اسرائيل ، فى حالة ما اذا قامت هذه الدولة بعدوان ضـــد أية دولة عربية • وتنفيــذا للأوامر التى تسلمتها قواتنا ، فانها تمركزت على حدودنا الشرقية فى سيناء • ولضمان سلامة جنود قوات الأمم المتحدة ، فانى أطلب منكم أصـــدار الأمر الى هــؤلاء الجنود باخلاء مواقعهم على الحدود واعادة تجميعهم فى قواعدهم فى شريط غزة » •

لقد كان هــذا الخطاب بارعا ، وزنت كل كلمة فيه بدقة • فهــو لم يثر مطلقا موضوع رحيل قوات الأمم المتحدة ، وانما أشار فقط الى اعادة تجميعها مؤقتا فى قواعدها . كما أنه لم يناقش مطلقا مسألة قوات الأمم المتحدة المرابطة فى شرم الشيخ ، وهى النقطة الاستراتيجية التى تتحكم فى مدخل مضيق تيران . **وكان الهدف مزدوجا** : الحصول على نصر يحقق الهيبة لاستخدامه داخليا ، وللبرهنة للجماهير على أنه لايوجد تردد فى طرد قوات الأمم المتحدة لمواجهة اسرائيل بحرية ، وفى الوقت نفسه افهام الدول الكبرى أن مصر لاتستهدف شن الحـرب على اسرائيل أو اغلاق مضايق تيران •

وفى نيويورك ، قال « رالف بانش » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة لرئيســه ــ أوثانت ــ : ان طلب المصريين غير قانونى ، وهو أشبه الى حد كبير بطريقة جس النبض ، ويجب الرد على مصر بأننا لانقبل أنصاف الحلول من هذا النوع • فاما أن تستمر قوات الأمم المتحــدة فى أداء مهمتها بانتظام ، واما أن نسحبها نهائيا من مصر • وعندما قام أوثانت بابلاغ هذا الرأى لمحمد عوض القونى الممثل المصرى فى الأمم المتحدة.. فانه كان مقتنعا بأن مصر لن تطلب جلاء قوات الطوارىء • ولكنه كان مخطئا . لقد طلبت مصر سحب قوات الطوارىء نهائيا . ومن هــذه اللحظة تحولت اللعبة الصغيرة الى شىء آخر ، وبدأت مرحلة جديدة سوف تؤدى الى الحرب .

وفى تل أبيب أثيرت ــ لأول مرة ــ النظرية التى كانت ســائدة فى الجيش الاسرائيلى ، ومؤداها أن عبد الناصر لن يشن الحــرب ضــد اسرائيــل طالما ظل جــزء كبير من جيشه مجمدا فى اليمن • وشرح رئيس هيئة أركان الحرب « لاشكول » تحركات القوات المدرعة الاسرائيلية فى الجنوب واستعدادها لأى احتمال فى مواجهــة طوابير الدبابات المصرية • وفى الليلة السابقة •• تمت تعبئة لواء احتياطى فى ســلاح

المدرعات وتقرر اســـتدعاء قوات أخرى ، ثم أذاع متحدث عسكرى أن « الجيش الاسرائيلى قد اتخذ التدبيرات الضرورية نتيجة لتعزيز القوات المصرية فى سيناء » .

وفى الوقت نفسه أضاء جهاز الراديو فى سفارة الولايات المتحدة بتل أبيب . وكان الأمر يتعلق برســـالة يطلب فيها الرئيس الأمريكى جونسون من سفيره نقلها الى « ليفى أشـكول » رئيس وزراء اسرائيل ، والرسالة تقـول :

« اننى لا أجهل انك وبلادكم تقاسون كثيرا من الحوادث التى تقع كثيرا على حدودكم .. وانى أرغب فى أن أوضح لكم بصراحة أنه يقع على عاتقكم واجب الامتناع عن أية خطوة قد تؤدى الى زيادة التوتر واشعال نار العنف فى المنطقة . وانكم تدركون جيدا ـ بدون شك ـ أن الولايات المتحدة ، لاتستطيع أن تشعر أنها مسئولة عن موقف يمكن أن ينتج من أعمال لم يتم التشاور معنا بشأنها ، مع تحياتى الخالصة ـ ليندون جونســون » .

* * *

فى ســـيناء انتشرت ثلاث فرق مصرية وأكثر من خمسمائة دبابة وفى اليوم نفسه (١٨ مايو) أصدرت أجهزة اللاسلكى بالسلاح الجوى المصرى أوامر تتعلق بالعمليات موجهـــة الى مختلف القـــواعد وهى « **سرى جــدا .. اننا بصــدد عمل يهـدف الى قطع جنـوب النقب والاستيلاء على ايلات . وستضرب القوات المصرية بقنابلها مطار ايلات ومحطة الراديو وصـــهاريج البترول خلال هجـوم ســيقوده قائد الطيران »** .

وفى الوقت نفسه تم الاتفاق بين « ليفى أشـــكول وأبا ايبان » على مشروع الرد على رسالة جونسون ، وهو عبارة عن عدة نقاط :

أولا ــ ان الأزمة الخطيرة نشأت نتيجة موقف سوريا .

ثانيا ــ ان مصر وزعت قوة هجومية تبلغ ٥٠٠ دبابة ، ويجب مطالبتها باعادة هذه القوات الى الجانب الآخر من القناة .

ثالثا ــ يجب الا تنسحب قوات الأمم المتحدة .

رابعا ــ على أمريكا أن تؤكد مرة أخرى علنا ، الضمانات التى قدمتها لاسرائيل فيما مضى .

* * *

وفى واشنطن ازداد القلق فى الادارات الرســـمية التى ارتســـم أمام ناظريها خطر نشوب حرب ثانية ، على غرار حرب فيتنام فى الشرق

الأوسط . وقد حاصر « ابراهام هارمان » سفير اسرائيل والوزير «افرايم افرون » مكتبى «لوشيوس باتل» وكيل وزارة الخارجية و «يوجين روستو» مساعد وزير الخارجية . **وبدأت الدوائر الموالية لاسرائيل فى التحرك، ووصلت الى البيت الأبيض ، من جميع الجهات نداءات من الأحزاب السياسية والنقابات ورجال الصناعة والقضاء واعضاء الكونجرس ، تطالب رئيس الولايات المتحدة بان يذيع تحذيرات تحمل مصر على التراجع .**

وفى الصباح .. وقع جونسون رسالة سرية موجهة الى رئيس الحكومة السوفيتية . وقد أظهرت الاتصالات الأخيرة للدبلوماسيين الأمريكيين أن القاهرة ودمشق مقتنعتان بأنه ـ فى حالة نشوب حرب مع اسرائيل ـ فانهما سيجدان المساندة من جانب الاتحاد السوفيتى . وقد اتخذت الولايات المتحدة ، من جانب آخر ، تعهدا بالدفاع عن سلامة اسرائيل واستقلالها. وهكذا يمكن الاستنتاج بسهولة، أن الدولتين الكبيرتين يمكن أن تجدا نفسيهما وجها لوجه اذا نشبت الحرب فى الشرق الأوسط . وقد بعث جونسون برسالته من أجل تحاشى مثل هذا الخطر . فقد اقترح على رئيس الحكومة السوفيتية أن تتخذ دولتاهما المبادرة المشتركة لتلافى تفاقم النزاع الاسرائيلى العربى .

وكانت هذه الرسالة ، تشكل احدى محاولتين عاجلتين افترضتهما وزارة الخارجية الامريكية : فاذا تبين أن رد موسكو ليس وافيا ، فان الولايات المتحدة ستتجه الى بريطانيا وفرنسا للاتفاق على سياسة مشتركة تقوم على اساس التصريح الثلاثى الصادر فى عام ١٩٥٠ ، والذى تعهدت بموجبه الدول الثلاث الكبرى بضمان احترام الوضع القائم فى المنطقة .

وفى هذا الصباح .. ترددت انذارات الخطر فى وقت واحد فى نقط متعددة فى العالم . **ففى لندن** أعلن جورج براون وزير الخارجية انه أجل سفره الى موسكو . **وفى نيويورك** أعلن أوثانت أنه سيطير الى مصر لمقابلة عبد الناصر . وفى **غزة** خرجت الجماهير تصيح « الموت لليهود » . وفى **اسرائيل** أعلنت التعبئة العامة .

* * *

وعندما اجتمعت هيئة أركان الحرب الاسرائيلية فى ذلك اليوم ، كان عبد الناصر قد حطم الأسس التى عاشت عليها الفكرة العسكرية الاسرائيلية منذ سنوات عديدة . فالقوة الرادعة للجيش اليهودى لم تمنع عبد الناصر من ممارسة أعمال استفزازية صارخة .. والنظرية القائلة بأن اسرائيل لن تتعرض للخطر طالما ظلت حرب اليمن قائمة .. انهارت فى ليلة واحدة . وكان من المعترف به ، أن عبد الناصر ـ الذى لا يزال ضعيفا ـ لن يدخل فى حرب ضد اسرائيل ، على الأقل حتى سنة ١٩٧٠ . ولكن هذا الافتراض أصبح هو أيضا موضع جدل . لقد

أثبت انسحاب جنود الأمم المتحدة أن مصر مستعدة لمواجهة اختبار القوة .

وعند الظهر ، جمع الكولونيل « موشى كاشتى » المدير العام لوزارة الدفاع رؤساء مختلف الادارات ، وقال لهم : **انثا منذ هذه اللحظة في حالة طوارىء . ومن الآن فصاعدا ستعمل جميع الإدارات الى الساعة الخامسة حتى أيام السبت والأعياد . وجميع شحنات الأسلحة التى تنتجها مصانعنا الحربية والموجهة لعملاء أجانب سوف توقف . وبالعكس، فاننا سنبذل قصارى جهدنا لشراء كل ما نستطيعه من العالم كله . ولأسباب تتعلق بالأمن ، فان المحادثات التليفونية مع بعثات المشتريات الاسرائيلية فى الخارج ستتوقف . ولن تتم الاتصالات الا بالبرقيات على مدى الأربع والعشرين ساعة فى اليوم » .**

* * *

وفى واشنطن قال « يوجين روستو » للسفير الاسرائيلى : « اننا ننصحكم بألا ترددوا باستخدام القوة ضد مصر ، الا اذا أغلقت مصر المضايق .. وحتى فى هذه الحالة لا تقوموا باجراء من جانب واحد . ان اتفاقية حرية الملاحة هى أقوى الاتفاقيات التى وقعت بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وأكثرها صراحة وتحديدا فيما يتعلق بالتزامات الحكومة الأمريكية . لقد طلب منا « أشكول » فى خطابه أن نعيد مرة أخرى اعلان تعهداتنا نحوكم . ونحن ندرس مثل هذا الاحتمال ، ولكننا نفضل الآن أن نتصرف فى نطاق الأمم المتحدة . ولكيلا تتجاوزنا الأحداث ، فانه ينبغى علينا ألا نقوم بأى عمل من جانب واحد » .

وفى تل ابيب أخذ وزير الخارجية ومكتب رئيس الوزراء يلقيان المسئولية بعضهما على بعض . **لماذا لم يقدم طلب لعقد مجلس الأمن فى اللحظة التى وافق فيها أوثانت على سحب جنود الأمم المتحدة ؟ .. لماذا لم تعرف أجهزة المخابرات الاسرائيلية** فى الوقت المناسب نوايا عبد الناصر ؟ **ان « جاليلى » وزير الأعلام الاسرائيلى كان يخشى أن يقوم الطيران المصرى بهجوم خاطف على المطارات التى يستخدمها الطيران الاسرائيلى . وكان الوزراء المدنيون يخشون أن يعد السوفييت هجوما** ضد مراكز الغرب فى المنطقة . أما « ليفى أشكول » رئيس الوزراء ووزير **الدفاع فكان يسيطر عليه التردد .**

وفى مطار القاهرة الدولى ، هبط فى اليوم نفسه (٢١ مايو) ريتشارد نولت السفير الجديد للولايات المتحدة فى مصر . وعندما سأله الصحفيون فى المطار عن أزمة الشرق الأوسط ، فتح عينيه مندهشا وأجاب متسائلا : أية أزمة ؟!

فى اليوم التالى .. استقل أوثانت الطائرة متجها الى القاهرة ، وقبل

ان يفعل ذلك ، اجتمع به « جولد برج » الممثل الأمريكي في الأمم المتحدة وأبلغه ، « أن دين راسك وزير الخارجية يطلب منك ابلاغ عبد الناصر أن الولايات المتحدة ملتزمة تجاه اسرائيل بتعهدات اتخذها وصدق عليها أربعة رؤساء أمريكيين » .

وقبل أن يصل « أوثانت » الى القاهرة كان عبد الناصر قد أعلن القرار المنتظر .. اغلاق المضايق . وفى الخطاب نفسه قال الرئيس المصرى « ان اليهود يهددوننا بالحرب ونحن نقول لهم : أهلا وسهلا .. اننا مستعدون » .

وفى واشنطن ، كان « لوشيوس باتل » وكيل الخارجية الأمريكية هو أيضا الذى ابلغ النبأ للسفير الاسرائيلى . وبعدها ذهب السفير الى نيويورك ، وهناك قال له جولد برج « لقد حدثنى الرئيس (جونسون) بالتليفون لكى يطلب منى أن أراك . وقد أعرب عن أمله فى أن تتحاشى اسرائيل القيام بأى عمل مضاد . والا ترسل أية سفينة لتمر فى المضايق » .

وفى الوقت نفسه .. أعد خبراء وزارة الخارجية الأمريكية رسالة عاجلة أبلغت على الفور الى الحكومة السوفيتية وقد جاء فيها : « أن حكومة الولايات المتحدة تعتبر أن أى اعتداء على حرية الملاحة فى المضايق ، سواء كانت السفينة تحمل علما اسرائيليا أو غير اسرائيلى ، بمثابة عدوان يكون من حق اسرائيل — فى رأى الولايات المتحدة — ان تدافع عن نفسها ضده » .

وأرسلت الى القاهرة برقية « عاجلة وشخصية » لتسليمها الى أوثانت شخصيا ، وكانت موقعة بامضاء ليندون جونسون ، وقد جاء فيها « أرجوكم ابلاغ رئيس الجمهورية العربية المتحدة .. أن أى عائق بعرقل الملاحة ، بما فى ذلك السفن الاسرائيلية فى المضايق .. ستترتب عليه ردود فعل من جانب الحكومة الأمريكية » .

وفى تل أبيب ، قال ابا ايبان وزير الخارجية لزملائه : « يجب أن نحذر الوقوع مرة أخرى فى الخطأ الذى ارتكبناه فى سنة ١٩٥٦ . اذ يجب ألا نعرض أنفسنا لما حدث أثناء حملة سيناء عندما اقترعت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ضدنا . وقد احتج ايزنهاور حينئذ بمرارة لأن أمريكا لم تبلغ بمشروعاتنا . ويجب أن نتحاشى تكرار حدوث ذلك . أن المسئولين عن الدفاع يؤكدون أن لدينا الوقت لاستنفاد كل الامكانيات الدبلوماسية . وفى هذه الحالة .. فانه يحسن توجيه معظم جهودنا الى الولايات المتحدة » .

وسأله أحد الحاضرين : وماذا سنطلب منها ؟

ورد ايبان : أن تقـوم سـفنها الحربية بحراسـة بواخرنا عبر المضـايق .

ولم يصدق أحد مثل هذا الاحتمال . وأصرت « جولدا مائير » على ضرورة استطلاع رأى الجنرال ديجول . واعترض البعض بشـدة على القيام بأية مساع لدى ديجول وقالوا : اننا اذا اتجهنا اليه فسـوف نفتح بذلك الأبواب أمام كل الضغوط » .

وتكلم « موشى ديان » فقال : « اذا كانت الولايات المتحدة قد طلبت مهلة قدرها ثمان وأربعون ساعة ، فانه من الممكن منحها لها . وأنا أقول ٤٨ وليس ٤٩ . واذا قامت بفتح المضايق فان هذا سيكون أفضل . وفيما يتعلق بى فانى لا أعتقد أنها سوف تفعل ذلك نيابة عنا . فاذا انتهت هذه المهلة فانه يجب علينا شن الحرب ضد مصر والدخول معها فى معركة ندمر فيها مئات الدبابات والطـائرات . اننا لا نملك سوى قليل من الوقت . ولهذا فانه يجب علينا أن نحاول تحقيق النصر خلال يومين أو ثلاثة » .

وفى واشنطن لم يكن هنـاك اتفاق تام بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية بشأن السياسة التى يجب اتباعهـا خلال الأزمة . فوزارة الخارجية الأمريكيـة كانت تذيع كثيرا من البيـانات التى تنطوى على اتجاهات حيادية ، بينما كان البيت الأبيض يبدى قلقه من مبادرات عبد الناصر . وكانت وزارة الخارجية تصدر تعليمات الى سفرائها فى العواصم العربية بعدم قطع الصلات والعمل على تهدئة العرب وتخفيف حدة التوتر السـائدة ، بينما كان البيت الأبيض يرسل لهم تعليمات أشد عنفا . وكان السفير الأمريكى يضرب أخماسا فى أسداس لكى يقرر بنفسـه الخط الذى ينبغى عليه أن يتبعه . ولكن ، بمجرد تفاقم الموقف .. فان أمريكا سحبت من وزارة الخارجية سلطة البت فى الأمور واحتفظت بها للبيت الأبيض .

وبدأ « جونسـون » يواجه ضغطا شـديدا من جانب المتعاطفين مع اسرائيل فى نقابات العمال ومجلس الشيوخ ورجال الصناعة ورجال السياسة ، الذين طالبوا باذاعة بيان عن أزمة الشرق الأوسط . وكانت وزارة الخارجية قد رفضت بالأمس اذاعة مثل هذا البيان . وفى غضون ذلك قرر جونسون وحده أنه سيذيع بيانا .

وفعلا ، أعد «يوجين روستو» البيان ، ووافق عليه جونسون ، وتقرر اذاعته .. لولا مكالمة تليفونية عاجلة من مستر « أ » .

كان مسـتر « أ » . ــ وهو أحد كبار ذوى النفوذ من أصـدقاء اسرائيل ــ متوجها لمقابلة « هيوبرت همفرى » الذى قرر جونسون ايفاده الى القاهرة . وقد أبلغ وهو فى الطريق ، أن البيت الأبيض يبحث عنـه

لاطلاعه على نص البيان . وقد تلاه عليه والت روستو أخلص مستشاري الرئيس جونسون (وهو في الوقت نفسه شقيق يوجين روستو) . ودهش مستر « أ » عندما لاحظ أن البيان لم يشر مطلقا الى مسألة اغلاق المضايق ولا الى موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بحرية الملاحة. ثم جاءت هذه العبارة الضخمة في البيان « لم يرتكب حتى الآن أى عمل عدوانى » .

وصاح مستر « أ » متعجبا : واغلاق المضايق ؟ الا يعتبر هذا عملا عدوانيا ؟ أن مثل هذا البيان ليس غير مفيد فقط ، بل انه ضار أيضا . ان الولايات المتحدة ترفض اتخاذ موقف حول النقطة الجوهرية، وأن عدم اصدار بيان على الاطلاق أفضل من اصدار مثل هذا النص .

وعلم الرئيس جونسون بعد قليل بما جرى . وفى هذه المرة جاء دوره لكي يغضب هو أيضا . فقد قال : « اذا كان مستر « أ » يقول انه من الأفضل عدم اصدار بيان كلية .. اذن قولوا له اننى لن أصدر أى بيان » .

ولكن جونسون غير رأيه بسرعة . فقد بلغ ضغط الرأى العام على البيت الأبيض أبعادا لا يمكن تصورها ، وأذاع سبعة وثمانون من أعضاء مجلس النواب بيانا تضمن بصفة خاصة العبارات التالية : « اننا نوافق تماما على التدبيرات التى ترى الحكومة اتخاذها لابلاغ الذين يريدون تدمير اسرائيل عزمنا الصادق على القيام بأى عمل ضرورى لوقف العدوان ضد اسرائيل وانقاذ السلام » .

ونشب صراع محموم بين مختلف نصوص البيانات التى كان من المقرر أن يوافق جونسون على احدها . وقد استبعد نص البيان المنطوى على الحذر أكثر مما ينبغى ، والذى أعدته وزارة الخارجية .. وتم اختيار النص الذى صاغه « والت روستو » مساعد الرئيس . وفى الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم (٢٢ مايو) ظهرت صورة ليندون جونسون على شاشات التليفزيون الأمريكى ، وأذيعت هذه الكلمات :

« ان الولايات المتحدة تعتبر خليج العقبة ممرا دوليا ، وترى أن اغلاقه فى وجه الملاحة الاسرائيلية عمل غير مشروع ، ويشكل خطرا محتملا تجاه السلام . ان حق المرور الحر بدون أى عائق فى هذا الممر المائى الدولى له أهميته الحيوية بالنسبة لجميع الدول » .

وفى اليوم نفسه وصلت الى واشنطن رسالة عاجلة من «ابا ايبان» وزير الخارجية الاسرائيلية لابلاغ السفارة الاسرائيلية فى واشنطن انه قرر التوجه الى الولايات المتحدة لاجراء محادثات مع المسئولين الأمريكيين . وقبل أن يبدأ «ايبان» الرحلة وصلت برقية من «والتر ايتان»

السفير الاسرائيلى فى باريس جاء فيها « عندى فرصة لأن يستقبلنى ديجول غدا . ولكن اذا استطاع ايبان الحضور فان الفرصة ستكون أقوى » .

وتقرر أن يهبط «ايبان» فى باريس ولندن ، أثناء توجهه بالطائرة الى واشنطن .

***

في الساعة السابعة صباحا (يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧) هبطت فى « مطار أورلى » بباريس طائرة البوينج التابعة لشركة «العال» الاسرائيلية، ونزل منها « ابا ايبان » . وفى المطار قال السفير الاسرائيلى لآيبان ، ان الاجتماع مع الرئيس ديجول سيتم على الفور عقب الجلسة الأسبوعية لمجلس الوزراء الفرنسى ، وهكذا فان ايبان اعتكف حوالى الظهر فى فندق هيلتون بمطار اورلى استعدادا للمرافعة عن قضيته أمام ديجول. وحوالى الساعة العاشرة اتصلت به السفارة الاسرائيلية فى لندن وأبلغته أن «هارولد ويلسون» رئيس الحكومة البريطانية مستعد لاستقباله فى الساعة الخامسة بعد الظهر . وعكف ايبان على اوراقه وأمضى ساعتين يدون النقاط التى رأى أنه ينبغى ان يقولها لديجول . وقد قال فيما بعد : « لقد أردت أن أتحدث بنغمة ديجولية بعض الشىء للتذكير ببعض التعهدات التى قطعتها فرنسا على نفسها ، ولكى أوضح أن الساعة الراهنة حاسمة . وقد صقلت بصفة خاصة عبارتين : ليس لدينا خيار الا بين الخضوع والمقاومة .. ونحن مصممون على المقاومة وقد استقر الرأى على ذلك . وسوف نخصص بضعة أيام للاستطلاع ، لكي نعرف اذا كنا وحدنا أو اذا كان هؤلاء الذين ارتبطوا بهذه المسألة يأخذون تعهداتهم تجاهها مأخذ الجد » .

وأخذت الحكومة الفرنسية تدرس الموقف في الشرق الأوسط .. وقدم « كوف دى مورفيل » وزير الخارجية فى اجتماع مجلس الوزراء تفاصيل حقيقية تتعلق بالملاحة فى المضايق ، وكان يعرف بالضبط عدد البواخر التى تستخدم خليج العقبة ، وكان عددها قليلا جداً . والنتيجة التى انتهى اليها وزير الخارجية الفرنسية ، ووافق عليها ديجول ، هى أن اغلاق المضايق لا ينطوى على اعتداء خطير على اسرائيل ، وان هذا العمل لا يبرر اذن القيام باعمال حربية . اما فيما يتعلق بحق اسرائيل فى مرور سفنها فى المضايق ، فان هذه مسألة قانونية معقدة ، وهى احدى المسائل العديدة المتعلقة بالنزاع الاسرائيلى العربى .

وكان « ديجول » يخشى أن تؤدى المواجهة العسكرية فى الشرق الأوسط الى تدخل الدول الكبرى ، مما قد يؤدى الى حرب عالمية . واقترح وسيلة لحل الأزمة هى عقد اجتماع بين الدول الأربع الكبرى التى تستطيع هى وحدها أن تفرض حلها على الأطراف المتنازعة .

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف ، انفض اجتماع مجلس الوزراء الفرنسي ، ودخل « ايبان » وزير الخارجية الاسرائيلي ليجد أمامه الرئيس ديجول ، وكوف دي مورفيل وزير الخارجية الفرنسي . كان الرئيس ديجول متوتر الأعصاب جدا ، بل وكان يبدو قلقا أيضا . وتذكر ايبان ما سبق أن قيل له : « في اللحظة التي ستجلس فيها سيقول لك ديجول : يا سيدى الوزير ، اننى أصغي اليك .. »

ولكن ديجول تصرف فى هذه المرة بشكل آخر . لقد مد ذراعه نحو ايبان وقال بشدة : « لا تشنوا الحرب . لا تشنوا الحرب . ولا تكونوا بأى حال البادئين بالقتال » .

ورد ايبان قائلا : « اننا لن نكون على أى حال البادئين بالحرب . ولقد ارتكب المصريون فعلا عملا عدائيا » .

وبدا واضحا أن الملاحظة لم تعجب ديجول ، فقد قال : « فى نظرى أن ذلك الذى يطلق الرصاصة الأولى .. هو البادىء بالقتال » .

هكذا — في عبارات قليلة وجيزة — حدد ديجول الفرق الذى يراه بين العدوان فى مدلوله القانونى ، وأول رصاصة .

واستأنف ايبان حديثه قائلا : « أن هذه هى أخطر لحظة فى وجودنا منذ عشر سنوات . ومن الطبيعى أن نأتى ، زملائى وأنا ، فى هذه الساعة الحاسمة .. لنطلب المشورة من الصديق العظيم الذى هو أنتم » .

واستطرد ايبان قائلا : « ان الأزمة الحالية ترجع الى ثلاثة أسباب : حرب العصابات التى يقوم بها السوريون ، واحتشاد القوات المصرية فى صحراء سيناء ، واغلاق المضايق . وهذه الأسباب الثلاثة تندمج سويا لتشكل عملية لا مناص منها : فالمصريون سيمسكون بخناقنا ، والسوريون سيضربوننا فى ظهورنا .. وعندئذ سوف يستعد المصريون لكي يوجهوا لنا ضربة في وسط صدرنا . وقد أتيت لكي أقول لكم اننا مصممون على ألا نعيش أكثر من ذلك على هذه الحال . أما فيما يتعلق باغلاق المضايق .. فان هذا يعنى بالنسبة لمن قرر ذلك أنه اختار الحرب ، لأنه سبق أن أوضحنا موقفنا فى هذا الصدد . ولقد أقمنا منذ سنوات عديدة علاقات مع آسيا وافريقيا ، وأضفنا بعدا جديدا الى خريطة العلاقات الدولية . ونحن لم نعد دولة تتجه الى الغرب وحده ، وبدأنا نقدم المساعدات الى العالم الثالث . اننا لا نستطيع قبول الموقف الراهن » .

وبادر ديجول الى مقاطعة ايبان وهو فى حالة عصبية : « أرجوك .. أريد التحديد . فى هذه الحالة ماذا سوف تفعلون ؟ » .

وهنا نطق ايبان بالعبارة الجوهرية التى أعدها : « حيث أنه ليس أمامنا سوى الخيار بين الخضوع والمقاومة ، فقد قررنا أن نقاوم . ولن يكون هناك استسلام . ولكننا قررنا أن ننتظر أياما عديدة لكى نستطلع رأى هؤلاء الذين التزموا بتعهدات فى هذا الصـــدد . وفى غضون ذلك فاننا لن نقوم بأى اجراء ، ولا ننوى القيام باى رد فعل او اختبار لا اليوم ولا غدا ولا بعد غد » .

ولاحظ ايبان ان «كوف دى مورفيل» تنفس الصعداء عندما استمع الى هذه الكلمات . ويبدو أن الوزير الفرنسى كان يخشى أن تنشـب الحرب بين دقيقة وأخرى . ولم يلحظ « ايبان » أن « كوف دى مورفيل » قد أخطأ فى تفسير أقواله ، مثله فى ذلك مثل « ديجول » وهى الأقوال التى فهماها على أنها وعد بأن اسرائيل لا تفكر فى القيام بعمل عسكرى. ولم يستخلص الرجلان من كلمة « مقاومة » التى استخدمها ايبان بأن اسرائيل تنوى القتال .

ولم يهدأ ديجول ، فاستطرد يقول : « ان الموقف صعب . ان هذا لا يمكن أن يستمر ، وينبغى أن تحتفظ اسرائيل بهـدوء أعصابها : أن الدول الأربع الكبرى يجب أن تتشاور . لا تبحثوا عن حلول من جانب الغرب . يجب على الدول الأربع الكبرى أن تتداول فى الأمر ، وسأتكفل أنا بذلك . ونحن نستطيع الاتفاق سويا على حل يسمح بمرور السفن » .

ورد ايبان قائلا : « اننى متشائم جدا بشأن كل ما يتعلق بالاتحـاد السوفيتى . ولو أنه تصرف بطريقة أخرى لما أصبحنا فى هذا الموقف . أن روسيا لم توافق مطلقا على رأينا بشأن حرية المرور فى المضايق » .

وقال ديجول وهو متشبث بعناده : « نعم ، ولكن السوفيت أيضا لم يأخذوا الجانب المعارض . لابد من بعض الوقت ، ومن الصبر . وفى غضـــون ذلك فانه ينبغى عليكم الا تقوموا بالعمـل الذى يريد المصريون أن تفعلوه : وهو أن تكونوا البادئين بالقتال » .

وعاد ديجول الى الحديث عن مسألة « الغـرب » ، فقـــال : « لم يعد يوجد اليوم شىء اسمه حلول غربية . فطالما ظلت اسرائيل مغرقـــة فى اتجاهها نحو الغرب فيما يتعلق بمقاصدها وحلولها ، **فانها ســـوف تبتعد عن الهـدف . يجب أن يشترك الاتحاد السـوفيتى فى حل النزاع »** .

وهنا أضاف « ديجول » عبارة بدت ثقيلة المغزى : « ان مركزكم لم يصبح بعد متينا بما فيه الكفاية ، بحيث تستطيعون حل جميع مشكلاتكم بأنفسكم » .

وقال ايبان لديجول : « لقد تعهد عدد كبير من الدول بتـــأييد

حقوقنا والوقوف الى جانبنا اذا اعيد اغلاق المضايق . ولقد كان أقوى واوضح بيان في هذا الصدد ما قدمه ممثل فرنسا في الأمم المتحدة في عام ١٩٥٧ » .

ورد ديجول : نعم . ولكن هذا كان في سنة ١٩٥٧ . ونحن نعيش الآن في سنة ١٩٦٧ .

وهكذا الغى ديجول في عبارة واحدة كل تعهدات فرنسا .

وعندما أحس « ايبان » أنه لم يبق لديه شيء يقوله ، قرر أن يختم حديثه بعبارة تنطوى على المجاملة ، فقال : « اننا نود ونحن نواجه المحنة ، أن نشكرك على كل ما فعلته فرنسا وعلى ما تزال تفعله من أجل تشجيعنا وتقوية روحنا المعنوية ودعم قوتنا العسكرية » .

* * *

وقد ارتكب أبا ايبان ـ دون أن يدرى ـ غلطة كبرى . فقد لفت انظار المسئولين الفرنسيين الى المساعدة العسكرية المتزايدة التى تقدم لاسرائيل ، مما جعلهم يتصرفون بعد ذلك بطريقة لا تستوجب الشكر لهم .

ورد ديجول قائلا : « ان كل ما فعلناه في هذا المجال ، انما فعلناه بدافع الصداقة .. ولكن هذه الصداقة ذاتها تدفعنى الآن لكى أقول لكم ما قلته الآن » .

وفسر ايبان هذا الكلام على أنه تحذير مستتر ، فقال : « انكم لا تستطيعون أن تختاروا فقط من بين مظاهر الصداقة تلك التى تلائمكم » .

* * *

وعندما انتهت المقابلة ، كان الحديث يعني في نظر « ديجول » شيئا واحدا . فقد قال لايبان : « لا تشنوا الحرب » . وأكد ايبان أن اسرائيل قررت الانتظار ، وهو لم يقل « سوف نحارب » ، وانما قال « سوف نقاوم » .

ولم يدر في خلد « ديجول » أن الاسرائيليين سوف يشنون الحرب بعد التحذير الصريح الذى وجهه اليهم .

وعقب هذا الحديث أرسلت باريس برقيتين ، أحداهما الى «كوسيجين» والأخرى الى «عبد الناصر» وأكد فيهما «ديجول» أن اسرائيل لن تعلن الحرب » .

وتلا وزير الاعلام الفرنسى على الصحفيين البيـان الرسمى : قررت الحكومة الفرنسـية أن تقترح عقد أجتماع للدول الأربع الكبرى .

وتحدث « موريس كوف دى مورفيل » تليفونيا مع وزير القـوات المسلحة وطلب منه الكف عن ارسال مهمات عسكرية الى اسرائيل بدون موافقة وزارة الخارجية . وذلك فى نطاق اللجنة الوزارية الخاصة بصادرات الأسلحة . وفى الوقت نفسه تحدث كبار المسـئولين بوزارة الخارجية تليفونيا مع عدد من القواعد العسكرية وأمروها بأن توقف على الفور ارسال شحنات الأسلحة الى اسرائيل ، التى لم توافق عليهـا اللجنة بعد .

لقد كان موقف فرنسا واضحا .

وبعد قليل سيتضح موقف الدول الأخرى .

- ٢ -

كانت الأمطار الغزيرة تهطل على لندن عندما وصلت سيارة السفير الاسرائيلى وهى تقل « أبا ايبان » وزير الخارجية الى ١٠ داوننج ستريت ، وقاد «هارولد ويلسون» رئيس الوزراء البريطانى زائريه الى حجرته حيث بدأت المباحثات .

قال ويلسون لايبان : ها هو ديجول قد اقترح عقد مؤتمر للدول الأربع الكبرى ، ولست أعتقد ان الفكرة سـوف تتاح لها فرص النجاح ، ولكننا سنرى . وأعتقد أن السوفييت سيرفضون الفكرة فى النهاية . ولكننا نحن .. لماذا نرفض ؟

واستطرد ويلسون قائلا : أما فيما يتعلق بالملاحة فى المضايق فان الحكومة البريطانية لديها احساس ـ وقد أعلنت ذلك ـ بأن عبد الناصر لن يخرج من هذا المأزق بسهولة . وقد أرسلت « طومسون » الى واشنطن لتنسيق جهودنا مع جهود الأمريكيين . فاذا قابلته هناك فكن على اتصـال به . اننا سنناقش مع الأمريكيين التفاصيل الايجابية .

ان من بين رؤساء الحكومات الذين اجتمع بهم ايبان خلال رحلته ، فان ويلســـون كان الوحيد الذى لم يحاول تهدئته أو صرف نظـره عن الحرب .

أما فى موسكو .. فقد قال المسئولون السوفيت لـ « جورج براون » وزير الخارجية البريطانى .. انهم لا يوافقون على ان يغلق عبد الناصر المضايق . وفى الوقت نفسه صرحوا بانهم لا يريدون الحرب ، وأعربوا عن أملهم فى أن تحل الأزمه حلا سلميا .

وفى تل ابيب ·· اجتمعت هيئة أركان الحرب الاسرائيلية بعد الظهر ، بحضـــور رئيس الحكومة ووزير الدفاع · وعرض رئيس العمليات على « اشكول » الخطه الحربية التى تستهدف القيـام بهجوم تخترق فيه القوات الاسرائيلية المحور الشمالى لسيناء فى اتجاه العريش ثم تتجه بعد ذلك الى قناة السويس ·

وفى واشنطن ·· قابل أحد المسئولين عن المخابرات الألمانية ، زميلا له من رؤساء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وقال له : ان معلوماتنا تفيد أن اسرائيل ستهاجم سوريا ·

ورد عليه الأمريكى قائلا : انكم لا تعرفون اسرار مهنتـــكم ، ان اسرائيل تستعد للهجوم فى الجنوب فى اتجاه مصر ·

وفى المساء نفسه ، بعثت وكالة المخابرات المركزية الامريكية بتقرير الى الرئيس «جونسون» جاء فيه: ان تقديراتنا تشير الى أن اسرائيل ستهاجم مصر يوم ٢٦ مايو وذلك طبقا لما أكده الخبراء ·

وفى وزارة الخارجية الأمريكية، اجتمع الوزير البريطانى «طومسون» والأميرال «هندرسون» مع «دين راسك ويوجين روستو» ومساعديهما·وقد استعرضوا الخطة البريطانية بشأن فتح المضايق · وهذه الخطة كانت تتألف من ثلاث مراحل · **المرحلة الأولى** هى القيام بمحاولة لحمل مجلس الأمن على اصدار قرار يطالب مصر بفتح المضايق وضمان حرية الملاحة ؛ **والمرحلة الثانية** ترمى ــ فى حالة فشل مجلس الأمن الى تكوين جماعة من عدة دول بحرية تتولى توجيه تحذير ، وتعلن فيه أن مضايق تيران تشكل ممرا مائيا دوليا ، وان هذه الدول تعتزم اســـتخدامه · **والمرحلة الثالثة** تتضمن ــ اذا استمرت مصر فى اغلاق المضايق ــ ارسال أسطول يشمل سفنا من جميع هذه الدول ، لفك الحصار بالقوة عن المضايق تحت حماية بعض الوجدات البحرية ·

ووافقت وزارة الخارجية الأمريكية، والبيت الأبيض، على هذا المشروع· وكانت الولايات المتحدة قد رفضت القيام بأى عمل من طرف واحد · غير أن الاقتراح البريطانى ، الذى ينطوى على عدم ترك أمريكا وحدها ، سوف يحظى بالتأكيد على موافقة الرأى العام والكونجرس · وعلى الفور أبلغت الخطوط العامة للمشروع الى وزارة الدفاع الأمريكية والى رؤساء البحرية والى «ماكنمارا» وزير الدفاع ، لاستطلاع آرائهم ·· وطلب من ادارة الجيش وضع خطط العمليات المناسبة ·

وفى البيت الأبيض كان روستو مهموما ، وقد وعد السفير الاسرائيلى بأن الولايات المتحدة سوف تدعو الى عقد اجتماع غير رسمى لمجلس الأمن·

وعندما قال له ممثل اسرائيل : اننـا لا نرى فائدة فى عقد إجتماع لمجلس الأمن · وماذا سوف تفعلون اذا لم يضمن المجلس حرية الملاحة ؟

ـ سوف نعمل في نطاق الأمم المتحدة أو مستقلين عنها • لقد اتخذت الأحداث اتجاها جديدا في غاية الخطورة • وينبغي عليكم أن تمتنعوا عن القيام بأى استفزاز ، وأؤمل ـ في الوقت الحالى ـ ألا ترسلوا سفينة الى المضيق •

وكان معنى هذا الحديث أن الأمريكيين لا يعرفون ماذا يمكن أن يفعلوا ولم تكن هناك أوهام فيما يتعلق بالثمانى والأربعين ساعة التى طلبوها • فهذه الفتره من الانتظار لم يكن الغرض منها التأهب لتنفيذ خطة أيجابية قد يخرجها « العم سام » من جعبته ، فالأمريكيون لم يكونوا يريدون سوى كسب الوقت فقط •

وأثار تصريح جونسون ، الذى ندد فيه باغلاق المضايق ، ردود فعل مختلفة في الكونجرس الأمريكى • وقد استقبل استقبالا حارا في مجلس النواب • ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لمجلس الشيوخ • ففى هذا الصباح عقدت لجنة الشئون الخارجية اجتماعا مغلقا ، وأعلن معظم الشيوخ معارضتهم بوضوح لأية مبادرة تقوم بها الولايات المتحدة من جانبها وحدها • لقد كانوا ـ مثل غيرهم من المسئولين الأمريكيين ـ يخيم عليهم شبح الحرب الفيتنامية •• ولهذا كانوا يعترضون على أى عمل قد يؤدى الى جر الولايات المتحدة الى خوض حرب أخرى • ومن هذه اللحظة ـ أصبح مفهوما أن أمريكا لن تعمل من أجل فتح المضايق الا اذا عبأت حولها مساعدة من جانب عدة دول • وسمح البيت الأبيض بأن تتسرب دلائل فى هذا المعنى الى التليفزيون والصحافة • وقال أحد المعقبين ـ وهو «اريك سيفاريد» : يبدو أن الرئيس جونسون لم يقرر بعد ما اذا كانت الولايات المتحدة سوف تقوم بعمل عسكرى فى حالة نشوب القتال في المنطقة • فاذا نشبت الحرب وأصبح وجود اسرائيل في خطر ـ فان **العناصر الموالية لاسرائيل فى هذه البلاد سوف تمارس ضغطا قويا جدا من أجل التدخل** • ولكن حدوث تدخل أمريكى بدون اشتراك حلفائنا الرئيسيين ـ كما هى الحال فى الشرق الأقصى ـ سوف يؤدى بالتأكيد الى نسف مركز الكونجرس الأمريكى •

وفى القاهرة•• جمع عبد الناصر مستشاريه العسكريين والسياسيين لدراسة الموقف الناشىء عن اغلاق المضايق • وكان الرأى يتلخص فى أنه ، للمرة الأولى منذ حرب السويس ، اتخذت مصر عنصر المبادأة ، وأن اغلاق المضايق سيكون له أثر فادح على اسرائيل ، وأن الحشود العسكرية على الحدود سيجمد احتياطيها ويخلق المصاعب أمام اقتصادها ، مما يؤدى الى اختناقها بسرعة • ولأول مرة سوف تشعر اسرائيل بأن وجودها يهدده خطر حقيقى •

وقد أعلن « الملك حسين » فى هذا الوقت بالذات ، فى خطاب أذيع بالراديو، انه سمح للقوات السعودية والعراقية بدخول بلاده، وهو شىء لم يكن يجرؤ على عمله من قبل••لأن اسرائيل سبق أن أعلنت مرارا أنها تعتبر دخول أى جيش أجنبى فى الأردن بمثابة عمل عدائى • وأعلنت السعودية

تأييد سياسة عبد الناصر • وقرر الرئيس المصرى أيضا ان يبعث من جديد القيادة العربية الموحدة • ووضعت الجزائر والعراق والكويت قوات تحت تصرف مصر • وفى قطاع غزة تسلم جيش الشقيرى أسلحة ثقيلة •

وفى هذا المساء•• استقبل عبد الناصر أوثانت وأقام له حفل عشاء• وكان السكرتير العام للأمم المتحدة مكتئبا ، مقطب الوجه • وكان عبد الناصر قد جعله ينتظر أربعا وعشرين ساعة قبل أن يستقبله • كما نظمت أمام الفندق الذى نزل فيه مظاهرة « عفويه » ضده •

ولما اجتمع الرجلان أخيرا فى قاعة الطعام بمنزل عبد الناصر ، لاحظ أوثانت بسرعة أن الرئيس المصرى لا ينوى التراجع بوصة واحدة ، فقد قال : ان اغلاق المضايق يزيل الآثار الأخيره للعدوان الثلاثى الذى وقع فى عام ١٩٥٦ •

وبعد أن قال عبد الناصر ذلك ، بدأ يتلطف ويتبسط فى حديثه ، ثم أكد بطريقة جادة أنه لاينوى مهاجمة اسرائيل ، وهـو بالتأكيد كان صادقا فى ذلك • وأعرب عن استعداده للقيام بخطوة تؤدى الى تخفيف حدة التوتر• فمثلا وافق، عن طيب خاطر، على أن توفد الأمم المتحدة مبعوثا لأجراء اتصالات بين الطرفين • وأعرب عن استعداده أيضا لأحياء لجنة الهدنة الاسرائيلية المصرية التى لم تقم لها قائمة منذ حرب السويس • بل انه قبل عقد اتفاق بشأن مسألة العقبة : فقد وافق على السماح بمرور السفن المتجهة الى اسرائيل بشرط ألا تكون هذه السفن اسرائيلية وألا تحمل مواد استراتيجية •

واقترح عبد أيضا ، باخلاص ، حلا يتعلق بقوات الأمم المتحدة : لماذا لا توضع فى الأراضى الاسرائيلية ؟

وسقط أوثانت فى الفخ • فهو لم يضع فى اعتباره أن كل «تنازلات» الرئيس المصرى ليسـت سوى تعبير ، بطريقة أخرى ، عن موقف مصر الرسمى • فقوات الأمم المتحدة لن تعود الى الأراضى المصرية ، والمنتجـات الجوهرية مثل البترول الذى يعتبر السلعة الرئيسية التى تسـتوردها اسرائيل عن طريق المضايق لن تصل الى ميناء ايلات ، وسـيكون وجود قوات الأمم المتحدة على الجانب الاسرائيلى من الحدود دليلا حيا على انتصار عبد الناصر •

وقرر أوثانت أن يختصر اقامته فى القاهرة بمقدار أربع وعشرين ساعة ، وبدأ يصوغ مقترحات لوضع حل للنزاع • وكان أهمها الوصول الى هدنة مدتهـا أسبوعان بشأن المضـايق ، بحيث لا ترسل اسرائيل خلالهما أية سفن نحو ميناء ايلات ، وفى الوقت نفسه لا تمنع مصر مرور السفن غير الاسرائيلية فى المضايق •

وقد كان هذا بالضـبط هو ما يريده عبد الناصر • إذ أن فترة

الاسبوعين سوف تسمح له بكسب الوقت الضرورى لتعزيز موقف أصبح غير محتمل بالنسبة لاسرائيل ·

* * *

انتهى خبراء وزارة الدفاع الأمريكية من دراسة مشروع انشاء القوة الدولية لفتح مضايق تيران ، وقد أجمع رؤساء البحرية الأمريكية على رفض المشروع بجملته ، وقالوا ان مجرد اقتحام المضايق بواسطة ارسال سفن حربية للمرور فيه لن ينطوى على أية فائدة · وعلى أى حال فانه لابد من مرور وقت طويل قبل أن يصبح في الامكان انشاء قوة في المنطقة يمكنها أن تتدخل على هذا النحو · وحتى لو أمكن تكوين هذه القوة ، فان القيام بعمل بحرى محدود النطاق لن يؤدى الى تحطيم الحصار ، اذ يجب احتلال مواقع استراتيجية برية ، ولتحقيق هذا الغرض ينبغى انزال عدد كبير من الجنود فى سيناء توقعا لحدوث قتال برى يمكن أن يتخذ أبعادا كبيرة ·

وقد عارضت هيئة أركان الحرب الامريكية بشدة فى القيام بعمل من هـــذا النوع ، وعلى هذا فقد صـــدرت اليها الأوامر بالاعداد لعملية عسكرية فى سيناء · وكان عدد قليل من القوات الأمريكية يرى أنه من الضرورى تحقيق هذا المشروع ، وذلك لأن التقديرات الأخيرة لوزارة الدفاع الأمريكية ، وهى تقديرات ترجع الى شهر يناير سنة ١٩٦٧ وتوجد فى ملف ادارة المخابرات ، كانت تشير الى أن القوات الاسرائيلية تســتطيع التغلب على أعدائها · وكان جميع الخبراء متفقين فى هذا الصدد · بل انهم كانوا يستطيعون التنبؤ بكيفية سير العمليات : هجــوم اسرائيلى ، وزحف بالدبابات ، يصحبهما هجوم جوى ·

وحوالى الظهر ــ يوم ٢٥ مايو ــ أبلغت هذه التقديرات الى البيت الأبيض ·

* * *

وفى باريس ، فرض حظر على أساس الأمر الواقع ، ان لم يكن على أساس قانونى ، على جميع شــــحنات الأسلحة الى اسرائيل · وأخيرا تم الوصول الى حل وسط بعد مساع عاجلة ، وهو أن تقوم فرنسا ــ كمـا كانت تفعل فيما مضى ــ بتزويد اسرائيل بكل ما وعدت به مندوبيها · وهكذا فشلت المحاولة الأولى لوقف شحنات الأسلحة المرسلة الى اسرائيل وقفا تـاما ·

وفى اسرائيل سأل بعض المسئولين فى وزارة الدفاع «ليفى اشكول» رئيس الوزراء : لقد ضقنا ذرعا بهذا التردد الطويل ، فمتى سنبدأ ؟

ورد اشكول قائلا : ينبغى أن نتأكد من أن عمل الجيش الاسرائيلى لن توقفه ضغوط أجنبية ·

وفى سيناء اتخذت الفرقة المدرعة المصرية الرابعة ، التى تعتبر رأس الحربة فى جيش عبد الناصر ، مواقعها هذا الصباح فى سيناء •

وفى تل أبيب جاء مساعد«اشكول» اليه ومعه طائفة كبير من المعلومات المثيرة للقلق، عن الاستعدادات العسكرية التى تقوم بها جميع الدول العربية على وجه السرعة •

وقال اشكول لمساعده : « لقد ارسلنا «ايبان» لعرض مسألة المضايق أمام رؤساء الدول الأجنبية • والآن يبدو أن وجود اسرائيل ذاته أصبح فى خطر • ويجب صياغة برقية لايبان نطلب منه فيها أن يبرز بصـــفة خاصة فى محادثاته موضوع احتشاد القوات المصرية •»

وبعد قليل •• أرسلت برقية مزعجه جدا الى «ايبان» لاحاطته علما بالخطورة المفاجئة والشديدة الأثر التى طرأت على الموقف العسكرى ، نتيجة رحلة وزير الحربية المصرى الى موسكو، وتحركات القوات العراقية والسورية والأردنية نحو الحدود الاسرائيلية ، ودخول قوات مصرية كبيرة الى سيناء•

وجاء فى هذه البرقية أنه « يجب أن يوضح للرئيس جونسون أن الخطر لم يعد يكمن فى احتشاد القوات ، وفى احتمال وقوع هجوم عربى ضد اسرائيل • فهل يستطيع الرئيس جونسون أن ينصحنا بما ينبغى عمله فى هذه الحالة » ؟

وكانت هذه أول برقية • غير أنه بعد دقائق قليلة تبعتهـا برقية أخرى أشد اثارة للقلق •

ففى الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين بعد الظهر، وصل الى تل أبيب «جاكوب هرزوج» المدير العام لرئاسة مجلس الوزراء• وكان قد انتهى قبل ذلك بساعة فى مكتبه بالقدس من صياغة البرقية التى تقرر ارسالها الى «ايبان» والتى تحوى التعليمات الأخيرة بشأن الخطر التى ينبغى اتباعهـا أثناء محادثاته مع جونسون • ولكن قبل أن يرسل البرقية اتصل تليفونيا من تل ابيب بمكتب وزير الدفاع ، وجاء الرد بأن « الموقف قد تغير من النقيض الى النقيض • احضر فورا » • وعندما ذهب فورا وجد فى مكتب «اشكول» رئيس هيئة أركان الحرب وبعض الشخصيات الأخرى • وكان جو الحرب يخيم على الغرفة • وكان البعض يعتقدون أن مصر تسـتطيع ـ ابتداء من الغد الجمعه ٢٦ مايو ـ الهجوم على اسرائيل • وكان القلق يصل الى مرتبة الذعر •

لهذا بدأ احتمال جديد : التأكد ، عن طريق ارسال نداء مؤثر الى الولايات المتحدة ، من أنها ستأتى لنجدة اسرائيل فى حالة وقوع هجوم عليها فى المستقبل القريب ، وجلس « جاكوب هرزوج » لكى يحرر رسالة ثانية لأبا ايبان •

وبعكس الرسالة السابقة ، التى لم يكن لها سوى طابع اخبارى ، فان الرسالة الجديدة كانت تشبه صرخة رجل مشرف على الغرق · وقد أرسلت الى ايبان ، وجاء فيها بصفة خاصة : « عقب الأحداث التي جرت في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ، فانه ينبغى أن تعلم أننا أصبحنا نخشى في كل لحظة وقوع هجوم مصرى سورى مفاجىء · وينبغى على حكومة الولايات المتحدة أن تعلن فورا أن أى هجوم على اسرائيل يعادل الهجوم على الولايات المتحدة · ويجب عليها أيضا أن تصدر تعليمات بهذا المعنى الى قواتها المرابطة في المنطقة · ويحسن ابلاغ هذه الرسالة الى أعلى مستوى ، الى الرئيس الأمريكى أو الى وزير الخارجية » ·

وعندما تم ارسال البرقية الى «ايبان» فى واشنطن ، لم يكن أحد يشك في أن ارسالها سيكون واحدا من أسوأ الأخطاء التى ارتكبتها الحكومة الاسرائيلية ·

* * *

ذهب السفير الاسرائيلي الى نيويورك لاستقبال «أبا ايبان» وزير الخارجية ، وفى غضون ذلك وصلت الى السفارة الاسرائيلية احدى البرقيات المتسمة بالذعر التي أرسلت من اسرائيل · وبسبب حادث تكتيكى وصلت البرقية الثانية المرسلة من تل أبيب قبل البرقية الأولى ·

وعندما تم ابلاغ السفير الاسرائيلى بالبرقية، نقلها على الفور الى«ايبان» عقب وصوله ، وشحب وجه ايبان ، وقرر الاتصال على الفور بمكتب وزير الخارجية الأمريكى «دين راسك» ليطلب منه تقديم موعد المقابلة التى كان قد تحدد لها من قبل أن تتم فى الساعة السادسة مساء ، وقال له : « لقد حدث تطور خطير جدا خلال الساعات الأخيرة » ·

ورد عليه راسك : « احضر فورا » ·

وفى الساعة الرابعة والنصف مساء ، استقبل ، ولوك ، وباتل ، ويوجين روستو ، ايبان ·· وهارمان (السفير الاسرائيل) ·

واطلع «ايبان» المسئولين الأمريكيين على نص البرقية التى وصلته ، وطلب أن تعلن الولايات المتحدة فورا أن أى هجوم ضد اسرائيل يعتبر بمثابة هجوم ضد الولايات المتحدة ذاتها ·

واستمع اليه «دين راسك» بقلق صادق ·· وقد ارتسم الانزعاج على وجهه ، ثم سأله قبل أن يسرع الى البيت الأبيض لابلاغ الرئيس بالنبأ بمجرد عودته : « هل اطلعت البريطانيين والفرنسيين على نص هذه البرقية » ؟

وعندما هبط «جونسون» من الطائرة فى واشنطن ، قادما من زيارة لكندا ، أحاطه «راسك» علما بالأمر · وبادر جونسون على الفور الى اتخاذ

التدابير الآتية : فحص صحة هذا النبأ بمقارنته مع المعلومات الموجودة لدى أجهزة المخابرات الأمريكية ، والقيام بمسعى على الفور لدى الاتحاد السوفيتي يطلب منه فيه تهدئة عبد الناصر ومنعه من القيام بأى عمل حربى ، وارسال خطاب للمصريين لحملهم على الامتناع عن أى عمل عسكرى تحاشيا لعواقب تنطوى على أشد الاخطار ٠

وارسلت على الفور برقية الى موسكو، وقع عليها«جونسون»لتسليمها الى «كوسيجين» ٠

وفى المساء استدعى «مصطفى كمال» سفير مصر فى واشنطن الى وزارة الخارجية لمقابلة يوجين روستو ، وكان مصطفى كمال قد دعى بالأمس لمقابلة الرئيس جونسون الذى أمطره بوابل من التحذيرات ، وانتقد اغلاق المضايق ٠ وكان مصطفى كمال يعرف أيضا أن أحدا لا ينظر اليه فى واشنطن على أنه رجل مهم يستطيع التأثير على عبد الناصر ٠

وفى المقابلة التى استدعى لها ، قال «يوجين روستو» للسفير المصرى: « لقد طلب منى الرئيس جونسون تليفونيا أن أوجه تحذيرا لحكومتكم ٠ ان بعض الشائعات تقول ان مصر ستقوم قريبا بشن هجوم ضد اسرائيل ٠ فلتعلم أن حكومة الولايات المتحدة سوف تتصرف فى هذه الحالة طبقا لميثاق الأمم المتحدة ، وطبقا لضمانها لاستقلال وسلامة اسرائيل ٠ وقد قال الرئيس بنص كلماته : اننا ضد أول طلقة نارية ، واننا سوف نحترم تعهداتنا ، وانه يجب اقرار الأوضاع القائمة فى المنطقة » ؛

واستطرد روستو فى حديثه قائلا : « ان وقوع هجوم من جانبكم ضد اسرائيل يعتبر بمثابة انتحار » ٠

وأخذ مصطفى كمال المذكرة التى حررت على عجل ٠ وفى الليلة نفسها وصلت الرسالتان الى موسكو والى القاهرة ٠

وقبل مرور لحظات أخرى، ذهب «روستو» الى العشاء الذى كان معدا بينه وبين «ايبان» وقال له : ان دين راسك يطلب منك الحضور فورا الى مكتبه ٠

واسرع ايبان ليقابل راسك ٠ وفى المقابله قال له وزير الخارجية الأمريكية : « لقد راجعت أجهزة مخابراتنا معلوماتكم ، ولم نجد أى دليل يسمح بالاعتقاد بأن المصريين يستعدون للقيام بهجوم مفاجىء ٠ ان القوات المصرية فى سيناء لم تتخذ شكل الهجوم ، ثم ان خبراءنا يعتقدون أن مصر لن تقوم بالهجوم قبل أن يقدم أوثانت تقريره ، عقب عودته من القاهرة ، الى مجلس الأمن » ٠

ورد عليه ايبان قائلا : « ان حكومتى ما كانت لترسل لى مثل هذه البرقيات العاجلة الا لأنها متأكدة من معلوماتها ٠ وانني أطلب منك فحص هذا الموضوع من جديد ٠

وأذعن راسك لهذا الطلب ٠

فى صباح ٢٦ مايو ، بحث ليندون جونسون مذكرة ثلاثية سلمت اليه وأعدتهـــا ثلاث مجموعات من الخبــراء ٠ كانت كل المعلومات التى تحويها المذكرة متتطابقه وتتفق على نقطة أساسية : لا دليل على احتمال وقوع هجوم مصرى ضد اسرائيل فى الساعات أو الأيام القادمة ٠ وقال اخصائيو وزارة الدفاع الأمريكية فى مذكرتهم انه اذا « ٠٠ نشبت الحرب فان اسرائيل ستحرز انتصارا حاسما فى خلال بضعة أيام » ٠ وقدر القواد الأمريكيون أنه فى هذه الحالة فان المدرعات ستخترق طريقها بالقوة فى اتجاه السويس ، وسيصحب الاختراق هجوم جوى ٠ وقد بنوا رأيهم على أساس الاستراتيجية الهجومية التى انتهجها الجيش الاسرائيلى منذ عدة سنوات ٠

ولم يكن جونسون يرغب فى مقابلة «ايبان» على الفور على الأقل ٠ انه لم يكن يعرف ما ينبغى أن يقوله له ٠ لقـد طلب من مســاعديه أن يؤجلوا ، بل وأن يؤخروا الى اقصى حد ممكن ، اجتماعه مع ايبان ٠

وعندما اتصل «دين راسك» بالسفير الاسرائيلى ليسأله عما اذا كان ايبان سيظل موجودا حتى السبت ٠٠ فهم السفير من ذلك أنها محاولة مهذبة لتأخير اجتماع (جونسون) مع (ايبان) لمدة ٢٤ ساعة على الأقل ٠

وبعدها بقليل اتصل ايبان براسك ليقول له : « كلا ، لن أكون فى واشنطن غدا ، اذ ينبغى أن أغادرها فى هــذه الليلة بالذات ، حيث أنه سيعقد فى اسرائيل اجتماع حاسم لمجلس اوزراء صباح يوم الأحد ، وربما يكون هذا أخطر اجتماع فى تاريخنا ٠ ان كل شىء فى هذا الاجتماع سوف يتوقف الى حد كبير على ما سيقوله الرئيس جونسون ٠ ان اسرائيل يجب ان تكون قادرة على الاعتماد بدون تحفظ على المســاعدة الأمريكية ٠ ان تقرير «أوثانت» لن يغير شيئا ، سواء الى الأحسن أو الى الأسوأ ٠ اننى أخشى أن تشتعل الحرب فى الأسبوع المقبل فى الشرق الأوسط ٠ ان الحصار المصرى فى شرم الشيخ يعتبر عملا من أعمال الحرب ينبغى أن ندافع عن أنفسنا ضده ٠٠ والوسيلة الوحيدة لتحاشى الحرب ، وتحاشى وقوع كارثة ، هى أن يصــدر الرئيس تصريحا حازما جدا يعلن فيه أن الولايات المتحدة ســتقوم فورا ، ســواء وحدها أو مع حلفائها ، بفتح المضايق٠ ان صدور مثل هذا التصريح ـ مع تأييده بخطاب من «جونسون» الى«أشكول»يحوى التفصيلات الفنية المتعلقة بالعمليات العسكرية المتوقع ان يقوم بها الأمريكيون ، يمكن أن يشكل ـ فى رأيى ـ الوسيلة الوحيدة لحل الأزمة » ٠

وأجاب راسك بايجاز : « اننى أفهمك » ٠ ثم وضع سماعة التليفون وهرول الى الرئيس جونسون ٠

وشعر جونسون باستياء عندما أبلغه « راسك » بنص هذا الحديث

وقال : « اذا كان السيد القادم من تل أبيب فى عجلة من أمره فليعد الى بلاده » ثم قال وقد استولى عليه الحنق لأحد مساعديه : « انني لا أحب أن يوضع مسدس على صدغى · ان مجلس الوزراء الاسرائيلى الذى سيجتمع يوم الأحد ، والذى سوف يقرر السلام أو الحرب ·· انما هو انذار نهائى · اننى لا أحب هذا » ·

وفي الوقت نفسه أشار جونسون الى أنه ربما يستقبل ايبان · وأردف قائلا : « ولكن ليس على الفور ، وانما فيما بعد ، وربما هذا المساء » ·

وفى غضون ذلك قابل ايبان ، ومعه الملحق العسكرى الاسرائيلى ، «ماكنمارا» فى وزارة الدفاع الأمريكية· وكان (ايبان) يتوقع اجتماعا خاصا ومحدودا ، ولكنه دهش عندما وجد فى مكتب وزير الدفاع الأمريكي اثنين من مساعديه ، والجنرال «هويلر» رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة ·

وأحضر ايبان معه في حافظة أوراقه برقية عاجلة وصلته من اشكول، أعرب فيها عن خيبة أمله تجاه التصريحات التى أدلى بها «راسك» فى اليوم السابق ، وطلب فيها ايبان أن يتكلم قبل كل شيء عن الخطر الذى تمثله الحشود المصرية · ونفذ ايبان رغبة اشكول ، ولكنه اصطدم بارتياب عام ·

لقد اقترب «الجنرال هويلر» من الحائط ، وبحركة مسرحية أبعد عنه ستارا سميكا تكشف عن خريطة كبيرة للشرق الأوسط · وأوضح بايجاز أن مصر لايمكن لها الغلبة ، وأن اسرائيل ستخرج منتصرة من أية مواجهة عسكرية ثم أردف قائلا : « لقد فحصنا هذا الموضوع بواسطة خبرائنا · وهى جميعا على اتفاق فى الرأى فى أن النصر سيكون من نصيبكم » ·

وسأل ايبان بالحاح : وماذا لو هاجموا مطاراتنا ؟

فأجاب هويلر : « سواء جاءت الضربة الأولى من جانبكم أو من جانبهم فاننا نعتقد أنكم الأقوى ، وأنتم منتصرون فى كلتا الحالتين » ·

وتناول الحديث مسألة القوة البحرية التى تخصص لاقتحام المضايق · وشرح مكنمارا أنه يعارض هذه الفكرة تماما ، وقال « لنفرض أننا استطعنا وضع أسطول دولى · ان القوة التى ستشكل على هذا النحو ستمر فى المضايق مرة ومرتين ، وثلاثا · وستبقى فى المنطقة شهرا ، وشهرين ، وثلاثة شهور · ان هذا سوف يكلف عدة مليارات من الدولارات · ثم ماذا بعد ذلك ؟ ان هذه القوة لن تبقى الى الأبد فى المنطقة ، وسوف تتفرق · فماذا سوف يحدث اذا ظهرت باخرة اسرائيلية بمفردها دون حراسة فى المضايق ؟ هذا هو الاختبار الحقيقى » ·

وعند الظهر سلم دين راسك وروبرت ماكنمارا تقريرا مشتركا الى الرئيس جونسون قبيل استقبال الأخير لايبان · وقد أحصيا فى هذه الوثيقة ــ السرية للغاية ــ الأعمال المختلفة التى يمكن القيام بها ، وختما

التقرير بهذه العبارات : باختصـــار فانه يبدو أنه ليس أمام الولايات المتحدة سوى أحد حلين :

١ ــ انشاء قوة بحرية تشترك فيها عدة دول ٠

٢ ــ ترك اسرائيل تعمل وحدها ٠

وفى القاهرة ٠٠ نشرت صحيفة الأهرام فى هذا الصباح مقالهـــا الافتتاحى الاسبوعى وجاء فيه : « ان وقوع مواجهة عسكرية مع اسرائيل أمر لا مفر منه ٠ ان العامل السيكولوجى يضطر اسرائيل الى أن تعلن تحديها بالحرب » ٠

وفى الصباح ، ألقى جمال عبد الناصر خطابا أمام اللجنــة المركزية لاتحاد النقابات العربية قال فيه : « ٠٠ اذا هاجمت اسرائيل سوريا أو مصر فاننا جميعا سندخل الحرب ضدها ، وسيكون هدفنا الأساسى هو تدمير اسرائيل ٠ اننى لم أكن استطيع أن أقول مثل هذا الكلام منذ ثلاث سنوات أو خمس وليس من عادتى أن أعد بشىء لست قادرا على تحقيقه ، أما اليوم فاننى مقتنع بانتصارنا ٠ ان مصر تتوقع فى كل لحظة هجوم اسرائيل الذى سيتيح لنا الفرصة لتدميرها » ٠

وكان عبد الناصر قد عقد قبل ذلك بيوم واحد ٠٠ اجتماعا استمر أربع ساعات فى غرفة العمليات بهيئة أركان الحرب المصرية ، واقترح بعض الضباط أن تبدأ مصر القتال ضد اسرائيل ، غير أن عبد الناصر لم يشاركهم وجهة نظرهم ، وفضل خطة أخرى تقضى بانتظار وقوع هجوم اسرائيلى قبل أن ترد عليه مصر بضربة قاتلة ٠ وقد أعدت فى سيناء ثلاثة خطوط من الاستحكامات ٠ وسيحاول الجيش المصرى وقف الهجـوم الاسرائيلى عند الخط الأول ، فاذا لم ينجح فى ذلك فان القوات سوف تتراجع الى الخط الثانى أو حتى الى الخط الثالث ، حيث تستطيع ان تحتمل الصدمة، وستصبح صحراء سيناء فخا قاتلا للجيش اليهودى ، ثم يتحول الجيش المصرى الى الهجوم على الأراضى الاسرائيلية ٠

واعترض بعض الضباط قائلين : ان الخطوط الثلاثة غير موجودة فى الواقع ، لأن معظم القوات المصرية قد حشـدت على الحدود الاسرائيلية ٠ والفرقة الرابعة هى وحدها التى ترابط فى المؤخرة ٠ ولكن الأمر استقر على الخطة الأولى ٠

❋ ❋ ❋

تحددت الساعة السابعة موعدا للاجتماع بين جونسون وايبان ٠ وفى هذا الاجتماع اشـــترك فى المباحثات خبراء كثيرون ، بعضــهم حضر الاجتمـــاع كاملا ، والبعض الآخر دعى للادلاء برأيه فى نقاط معينة فى اختصاصــه ٠ وهكذا مر أمام أبا ايبان كل من دين راســـك وماكنمارا وخبراء وزارة الدفاع والأخوان روستو (يوجين ووالت روستو) وغيرهم ٠

وبدأ «ايبان» الكلام وأثار مسألة الحشود العسكرية فى سيناء التى تعرض كيان اسرائيل للخطر وقال : « ان عبـــد الناصر يريد أن يخوض الحرب ضدنا ، وهو مستعد • ومعلوماتى فى هذا الصدد مؤكدة » •

ولم يصدقه جونسون ، وسأل ماكنمارا •• الذى أجاب قائلا « ان جميع أجهزة مخابراتنا متفقة فى الرأى على أن المصريين ليس لديهم النية أو القدرة على مهاجمة اسرائيل » •

أما بالنسبة لمسألة فتح المضايق فقد قال جونسون : « أعتقد اننا نســـتطيع فتح المضايق ، ولكن الذى يهم ليس ذلك الذى يعتقده ليندون جونســـون ، وانما ما يقوله رسميا رئيس الولايات المتحـدة • والرئيس لا يستطيع ان يتكلم بدون موافقة الكونجرس » •

واضاف جونســـون قائلا فى سخرية مريرة : « ان هـؤلاء الذين يطالبوننى بعدم ارسال أى جندى بعد الآن الى فيتنام يلحون على فى ارسال كل حاملات الطائرات الأمريكية الى خليج العقبة » •

ثم قرأ جونسون مشروع بيان سيلقيه عن المسألة كلها ، ووضـــع البيان أمام ايبان وهو يقول : « انكم تستطيعون العمل فى نطاق مجموعة دولية • ولن تفقدوا شيئا اذا حاولتم ذلك » •

ورد عليه ايبان قائلا : « اننا لا نستطيع أن نعيش هكذا • اننا على وشـــك اتخاذ قرار خطير جدا لأنه ليس لنا خيار ــ الا بين التسليم أو الحرب ــ ونحن لن نستسلم ••• ونحن نريد أن نعرف من الذين سيقفون الى جانبنا وما اذا كانت الولايات المتحدة ســـوف تحترم التعهدات التى قطعتها على نفسها فى عام ١٩٥٧ • لقد أجريت محادثات مع ديجول الذى اقترح عقد اجتماع بين الدول الكبرى • وأعتقد انه فى غضون هذا الوقت قد يغير رأيه نظرا لأن الروس رفضوا هذا الاقتراح • وعلى الأقل ستظل مصانع الاسلحة الفرنسية مفتوحة أمامنا • وفى لندن لاحظت أنه توجد رغبـــة فى العمل ولكن بشرط واحـــد وهو أن تشتركوا أنتم أيضا فى العمل . وهكذا فان كل شىء متوقف عليكم • ان لدى سؤالين أرغب فى توجيههما لكم : هل سنقاتل وحدنا ، أم أنكم ستقفون الى جانبنا ؟ •• و : ما هو المدى الحقيقى لتعهداتكم ؟ » •

وتهرب جونسون من الاجابة على السؤال الأول وقال : « يجب القيام بعمل قانونى ضد الحصار المفروض على مضايق تيران ••• انكم تتحدثون دائما عن مجلس وزرائكم الذى سيجتمع يوم الاحد • وليس هذا من شأنى •• فاذا كنتم تريدون أن نقف الى جانبكم فيجب أولا أن نتجه الى الأمم المتحدة . يجب أن يكون هناك نوع من العمل الجماعى ... اننى أريد أن تمر السفن الاسرائيلية فى المضايق ، وآثار ذلك ستكون أهم كثيرا من مجرد رفع الحصار ... ان أياما عصيبة تنتظركم . فاذا كنتم تريدون أن نكون بجانبكم فى المستقبل فينبغى أن تنتظروا قليلا • اننى لست فارا

ولست ضعيفا أو جبانا • وينبغى أن أجرب كل الوسائل الممكنة لاعادة فتح الطريق البحرى » •

***

فى اسرائيل كانت الحكومة وهيئة اركان الحرب وزعماء البلاد يحبسون انفاسهم فى انتظار النتائج التى سوف تسفر عنها محادثات ايبان وجونسون . غير ان «ايبان» أمر بعدم ارسال برقية بنص هذه المحادثات الى اسرائيل . وفضل أن يأخذ التقرير معه .

وفى الثانية والربع صباحا من الليلة نفسها تحدث مساعد سفير الاتحاد السوفيتى الى سكرتير «اشكول» وقال ان السفير السوفيتى — تشوفاخين — يريد الاجتماع فورا مع رئيس الحكومة .

وعندما تمت المقابلة فى الثالثة صباحا، كان «تشوفاخين» يحمل رسالة من كوسيجين جاء فيها : « اننا نطلب منكم أن تبذلوا أقصى ما فى وسعكم لتحاشى وقوع صدام عسكرى قد يسفر عن عواقب خطيرة بالنسبة لقضية السلام والأمن الدوليين ••••• ونحن نأمل فى أنه بعد أن تكون الحكومة الاسرائيلية قد فكرت بطريقة جادة فى الموقف وفى المسئولية التى سيتحملها الطرف الذى يبدأ فى اطلاق النار ، ان تبذل قصارى جهدها لتحاشى وقوع صدام مسلح فى الشرق الاوسط » •

وفى الوقت نفسه وصل السفير السوفيتى فى القاهرة الى منزل الرئيس عبد الناصر فى الثالثة والنصف صباحا ، وجاء فى الرسالة التى يحملها السفير : « نطلب منكم عدم القيام باى عمل عسكرى » • وكان ذلك عقب البرقية التى أرسلها جونسون الى كوسيجين • وأكد عبد الناصر لضيفه السوفيتى أنه ليس لديه مطلقا نوايا من هذا النوع •

وفى الوقت نفسه ، ارسلت موسكو برقية عاجلة الى واشنطن لابلاغها الى الرئيس جونسون ، وتضمنت ما يلى : « ان المعلومات القائلة بأن مصر تستعد لمهاجمة اسرائيل هى معلومات ملفقة تماما • وبالعكس فان معلوماتنا تشير الى أن اسرائيل تنوى القيام بعمل مسلح ضد جاراتها العربية • اننا نعرف ان العرب لا يريدون صداما مسلحا • ان الاتحاد السوفيتى يتوجه الى الولايات المتحدة ليطلب منها اتخاذ كافة التدابير التى تهدف الى تحاشى وقوع مواجهة عسكرية ، لأن الشعوب السوفيتية والعربية والاسرائيلية لا تريد الحرب » •

وكانت هذه الرسالة تحوى عبارة تشكل تحذيرا خطيرا موجها لاسرائيل : « اذا اتخذت اسرائيل عنصر المبادأة فى القيام بعمل عسكرى فان الاتحاد السوفيتى سيساعد الدول التى تتعرض للهجوم » •

فى وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وفى مقر هيئة أركان الحرب ، كان الجميع يشمون رائحة البارود . وطبقا لما كانت تقوله الصحف الاجنبية .. فان الوحدات الاسرائيلية المرابطة فى صحراء النقب كانت مستعدة للتحرك فى فجر اليوم التالى . وفى صباح يوم ٢٧ مايو اجتمع «أشكول» رئيس الوزراء باسحاق رابين رئيس هيئة أركان الحرب ، وأفهمه أن الحرب وشيكة الوقوع .

وكانت الحكومة الاسرائيلية تنتظر بفارغ صبر برقية واشنطن الدبلوماسية ، التى تحوى تقرير أبا ايبان عن محادثاته مع جونسون . وعندما اتصل مدير مكتب أشكول تليفونيا بالسفير الاسرائيلى فى واشنطن يستعجله فى ارسال التقرير ، علم منه أن هناك تعليمات من ايبان بعدم ارساله بالشفرة انتظارا لوصوله هو الى تل أبيب . واستشاط أشكول غضبا وطلب ارسال برقية فورا بمضمون المحادثات ، وهذا هو ما حدث فعلا بعد ساعات قليلة .

وفى هذا اليوم نفسه ـ ٢٧ مايو ـ قدم أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة تقريرا الى مجلس الامن عن زيارته لمصر ، وطلب فيه من كلا الطرفين مهلة أسبوعين لالتقاط الانفاس ومحاولة حل الأزمة . ولكن المصريين كانوا يتعجلون استغلال نجاحهم وطالبوا باجراء مناقشة عاجلة حول سياسة اسرائيل العدوانية خلال السنوات الثمانى عشرة الأخيرة .

* * *

فى الساعة الثامنة والنصف مساء ، وصل ايبان بالطائرة الى تل أبيب قادما من واشنطن . وعلى الفور افتتح اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى ، مع أن راديو اسرائيل كان قد أعلن أنه سوف يجتمع فى الغد . وقد حضر الاجتماع عدد من قواد الجيش وخبراء وزارة الخارجية وتحدث ايبان بالتفصيل عن رحلته الى أوربا والولايات المتحدة ، وسحب من حقيبته نصوص محادثاته مع ويلسون وديجول وجونسون . وكان التقرير الخاص بمحادثاته مع جونسون وحده يتضمن تسع صفحات كتبت على الآلة الكاتبة .

وروى ايبان كلمة كلمة تقريبا ، أقوال جونسون التى طلب فيها أن تنتظر اسرائيل اسبوعين أو ثلاثة ، تحاول الولايات المتحدة خلالها ايجاد حل للأزمة فى نطاق الامم المتحدة أو بغيرها . ولكن « ايبان » كان غير دقيق فى كثير من النقاط . فقد أعلن عدة مرات أن جونسون تعهد أمامه بأن الولايات المتحدة سوف تفتح المضايق بأى ثمن مع غيرها من الدول

أو وحدها اذا اقتضى الامر ، مع أن جونسون لم يعد مطلقا باسم حكومته القيام بعمل من جانب واحد .

كذلك كان تقرير [illegible] محادثاته مع ديجول غير دقيق ، فقد ذكر ايبان لمجلس الوزراء أن ديجول يعارض الحرب ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة عن الموقف العدائى الصريح الذى اتخذه ديجول تجاه أية مبادأة اسرائيلية ، ولا عن التحذيرات العديدة التى قال فيها «لا تشنوا الحرب»·· وهى تحذيرات اتخذت شكل انذارات ·

وفى الساعة نفسها التى كان فيها مجلس الوزراء الاسرائيلى مجتمعا، بدأ كل شىء يتحرك فى صحراء النقب · لقد غادرت طوابير من الدبابات الاسرائيلية والعربات نصف جنزير قواعدها واستعدت فرق الجيش للتقدم ·

وفى القاهرة صرح أحد قواد الجيش لدبلوماسى أمريكى بقوله « تعتقد هيئة أركان الحرب المصرية أنه اذا وقع هجوم اسرائيلى فانه سوف يحدث فى يوم الأحد الأخير من شهر مايو (٢٨ مايو) - أى غدا فى الفجر » ·

وعادت الوحدات الاسرائيلية فى صحراء النقب الى قواعدها · فقد قررت اسرائيل ألا تشن الحرب فى هذا الصباح ·

وفى واشنطن غادر الرئيس جونسون العاصمة الأمريكية الى مزرعته فى تكساس · وكان الباعث الرسمى لذلك هو أنه يريد أن يستريح هناك خلال عطلة نهاية الأسبوع · لكن البعض أكدوا أن الرئيس الأمريكى كان يرغب فى الهرب من الضغط المتزايد الذى كان يتعرض له البيت الابيض من جانب المنظمات اليهودية الموالية لاسرائيل .. وكان جونسون يتصل من مزرعته بين كل ساعة وأخرى بدين راسك ووالت روستو لمعرفة تطورات الموقف · وكان روستو من جانبه يمطر السفارة الاسرائيلية بالمكالمات التليفونية العاجلة ·

* * *

وعندما حل الليل سلمت لجونسون الرسالة السوفيتية الموقعة من كوسيجين ردا على برقية الرئيس الأمريكى المرسلة يوم ٢٦ مايو · وقرر جونسون أن يرسل على الفور رسالة جديدة الى « ليفى أشكول » يطلب منه فيها الامتناع عن القيام بأى عمل عسكرى .

وفى واشنطن استدعى يوجين روستو السفير الاسرائيلى لكى يبلغه ان البريطانيين بسبيل تنظيم قوة بحرية تشترك فيها دول أخرى منها هولندا وكندا ، وأن الولايات المتحدة اتصلت فى هذا الصدد بفرنسا وبدول أخرى . وقال له ان اسرائيل سوف تدعى بدون شك للاشتراك فى « القوة البحرية الدولية » ... وقال روستو أن الولايات المتحدة تطلب من اسرائيل الانتظار اسبوعين أو ثلاثة الى أن تنتهى مناقشات

مجلس الأمن ، وريثمـا يصـدق الـكونجرس على مشروعات الرئيس الأمريكى .

وفى تل أبيب قام السـفير الأمريكى بتسليم برقية جونسـون الى اشكول فى العاشرة صباحا يوم ٢٨ مايو · لقد نقل جونسون الى أشكول فى رسالته جوهر ما جاء فى رسالة كوسجين اليه ، واشار جونسون بصفة خاصة الى العبارة الخاصة بالمساعدات التى سوف يقدمها السوفيت للعرب اذا تعرض الأخيرون للهجـوم · وقال جونسـون فى برقيته لأشـكول : « بصفتى صديقا لكم ، فاننى أؤكد ما سبق أن قلته لوزير خارجيتكم ، وهو انه يجب على اسرائيل الا تبدأ الحرب » ·

وكانت هذه البرقية ،أخطر برقية أرسلتها الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت لاسرائيل · فقد كانت هذه أول مرة تثار فيها صراحة مسألة وجود تهديد بالتدخل السوفيتى فى الشرق الأوسط ضد اسرائيل ·

وفى سيناء اسـتانفت الطوابير الطويلة ، التى ظلت تزحف طوال الليل من قناة السويس نحو العريش ، تحركاتها فى هذا الصباح · وكان من رأى المراقبين فى القاهرة أنه من الممكن وقوع هجوم اسرائيلى بين لحظة وأخرى ، وان قطاع العريش الاستراتيجى سيكون بلا شك مسرحا للمعركة· وقد قررت القيادة المصرية العليا بناء على ذلك جلب قوات جديدة منتعشة : الجنود القدماء فى اليمن ، وقد استدعوا على عجل ··· وجنود الاحتياطى والمجندون الجدد القادمون من معسكرات التدريب فى مصر · وبعد فترة قصيرة وصل عدد القوات المصرية التى أرسلت الى صحراء سيناء الى مائة الف جندى ، والف دبابة ، وألف مدفع ، و ٢١٥ طائرة ·

ولكن التوتر العصبى الذى استولى على القواد المصرين لم ينعكس على وجه عبدالناصر المتسم بالثقة . فقد عقد الرئيس المصرى مؤتمرا كبيرافى قصر القبة ـ وكان أول مؤتمر من نوعه منذ سـنوات ـ وحضره ثلاثمـائة صـحفى مصرى وأجنبى · لقد أعلن عبد النـاصر فى المؤتمر : « اذا كانت اسرائيل تريد الحرب ، فاننا نقول لها مرة أخرى : أهلا وسهلا ··· اننى سامنع أية دولة تتدخل لصالح اسرائيل من المرور فى قناة السـويس ·· ان مصر مستعدة للدخول فى مجابهة عامة مع اسرائيل » ·

وفى الوقت نفسه عين عبدالناصر احد نوابه «منظما للشعب» بقصد اعداده للحرب الشعبية ضد الغزاة الأجانب، وأمر وزيرالثقافة المصرى من جانبه بحظر عرض أفلام الجاسوسية وخاصة أفلام « جيمس بوند ٧ » التى تنطوى على امتداح أعمـال « الجواسيس والمحرضـين على شـن الحـروب الاستعمارية » ·

وفى واشنطن دعا المسئولون فى وزارة الخارجية سفير اسرائيل وقالوا له : « ان الرئيس «جونسون» يدرس امكانية زيادة المساعدات الاقتصادية

لاسرائيل طوال المدة التي تعلن فيهـا التعبئة وحالة الطوارىء ... فهل تستـطيعون ابلاغنا بالتفصيل بالمصـاعب التى تسببها التعبئة للاقتصاد الاسرائيلي واطلاعنـا على العجز الذى تعانيه السـياحة ، والخسائر المالية الناجمة عن اغلاق خليج العقبة ؟ . وقد افهموا السفير ، أن الولايات المتحدة ربمـا تزود اسرائيل ، حتى انتهاء الأزمـة ، ببترول تكساس وفنزويلا ، ثم قالوا بابتسامةمشبعة بالتفاؤل ؟: «أما فيما يتعلق بمشروع القوة البحرية فان كل شيء يسير طبقا للخطة الموضوعة» .

وقد كانت هذه الخطة غريبة جدا . لأنه في هذه اللحظة ذاتها ، كان مبعوثان أمريكيان خاصان فى طريقهما للقاهرة ، وقد كلفا بالتوصل الى حل وسط مع السلطات المصرية .

وفى القـاهرة .. قام مجلس الأمة ـ بعـد ظهر اليوم نفسـه ـ ٢٩ مايو ـ بمنح سلطات غير محدودة لعبد النـاصر ، وسمح له بأن يمارس الحكم بواسطة مراسيم ، وهذا هو ما فعله عبد الناصر على الفور . ونقلت وحدات جديدة من اليمن الى سيناء ، وظلت التعبئة قائمة على قدم وساق . وبدا كمـا لو كانت القـاهرة ، قد مسها تيـار كهربائى من الاعلانات والشعارات التى ملأت الشوارع .

وفى اليوم التالي .. هبطت فى مطار القاهرة طائرة الملك حسين ، هبط منها مرتديا حلة مشير ، وعلى رأسه قلنسوة سوداء ، وعلى بزته الرسمية جناحا طيـار . لقد صاح وهو يعـانق عبد الناصر : « أخى عبد الناصر » ، وصاح عبد الناصر وهو يعانق حسين : « أهلا بك يا أخى حسين » وانتهت بذلك حملة اذاعية متبادلة كانت مستمرة بين البلدين ، ووقعت معاهدة للدفاع المشترك بين مصر والأردن ، وهى معـاهدة كانت تنص ـ بصفة خاصـة ـ على أنه : «.. فى حالة نشوب الحرب فان رئيس هيئة أركان حرب القوات المصرية المسلحة ، يتـولى قيادة العمليات العسكرية فى الدولتين» .

وفى اليوم التالى ـ ٣١ مايو ـ ازداد ضغط القادة العسكريين على الحكومة في اسرائيل للقيام بعمل عسكرى ، وكانت الحكومة قد استدعت الدفعة الأخيرة من جنود الاحتياطى يوم ٢٧ مايو ، وقد أصبح الموقف ـ بعد اتفاقية عبد الناصر وحسين ـ ينطوى على مغزى خطير جدا . لهذا طالب العسكريون بأن يبدأ القتال قبل أن يفوت الأوان .

وفى هذه الظروف قرر «أشكول» أن يرسل الى واشنطن شخصية سـياسية من الدرجة الأولى فى مهمة سرية جدا . كان الهدف من هذه الرحلة مزدوجا . لقد كانت ثقة الأمريكيين بالمعلومات الاسرائيليه قد اهتزت منذ أعلنت اسرائيل يوم ٢٥ مايو ١٩٦٧ ـ وقد استولى عليها الذعر ـ ذلك التحذير الكاذب الذى قالت فيه أن مصر ستقوم بالهجوم بين لحظة وأخرى ، ولهذا ينبغى اصلاح الضرر واستعادة ثقة

الأمريكيين .. أما الهدف الثـــاني فهو التأكد من أن « أبا ايبان » قد تلقى فعلاوعدا منأمريكا بالقيام بعمل لفتح المضايق. لهذا فقد ارسل «اشكول» مبعوثه السرى صباح هذا اليوم — ٣١ مايو — الى الولايات المتحدة . وحتى بدون هذه الرحلة العـــاجلة ، فان الاسرائيليين كانوا سوف يكتشفون بسرعة الحقيقة فيما يتعلق بتعهدات واشنطن . فبالأمس ارسل «أشكول» الى ليندون جونسون رسالة عاجلة تناول فيها مـرة اخرى مسألة المضايق ، والخطر الذى تمثله الحشود المصرية ، وذكر ان عنصر الوقت يلعب ضد اسرائيل . وضمن الرسالة عبارة جوهرية ترتكز على أساس المعلومات التى جاء بها «ايبان» الى الحكومة الاسرائيلية وتقول : « .. وانى أشكركم على ماوعدتمونا به ، من أن الولاياتالمتحدة ستستخدم كل الوسـائل — بدون استثناء — لفتح مضايق تيران أمام الملاحة الدولية » .

ان هذه الرسالة التى وصلت فى هذا الصباح (٣١ مايو) الى واشنطن .. جعلت «جونسون» يقفز واقفا على قدميه . لقد استبد الغضب برئيس الولايات المتحدة الى حد انه استدعى « والت روستو » وقال له : «ليس من حقى ان أقدم مثل هذه الوعود دون موافقة الكونجرس. وماجاء فى رسالة «أشكول» لايطابق ماقلته لايبان .. وعليك أن تبلغ ذلك للاسرائيليين » .

وكانت الجهود الأمريكية بالنســـبة لمشروع « القوة الدولية لفتح المضايق » قد وصلت الى مرحلة كتابة مشروع بيان دولى لاعلان الصفة الدولية للمضايق . لقد أرسلت الولايات المتحدة مشروع هذا البيان الى ٢٨ دولة للتوقيع عليه ، ولكن معظم الدول التى طلب اليها التوقيع على البيان ، والاشتراك فى القوة الدولية المقترحة ، وقد ردت — حتى قبل أن تطلع على مشروع البيان — بأنها لن توقع ولن تشترك وأسرعت فرنسا باعلان رفضها القاطع لأى مشروع فى هذا الاتجاه .

وحتى فى داخل الحكومة الأمريكية نفسها ، كان من الواضح أن موقف «دين راسك» وزير الخارجية يتسم بالفتور الشديد . وكان موظفون آخرون فى وزارة الخارجية الأمريكية قد تحدثوا عن « موقف موضوعى تجاه النزاع » يعمل فيه حساب « المصالح البترولية للولايات المتحدة» وقالوا .. ولو انه يجب «ترك الباب مفتوحا أمام عبد الناصر» وقد أكدت وزارة الخارجية الأمريكية لبعض الصـحفيين المتعـاطفين معهم انه « رغم أن السفن الاسرائيلية تستخدم مضايق تيران ، الا أن شكاوى اسرائيل فيما يتعلق بالأضرار التى تصيب تجارتها بسبب اغلاق المضايق تنطوى على المبالغة الشديدة ، وهى بالتأكيد لا تستحق وقوع حرب » . وقد قال «جوزيف السوب» الصحفى الأمريكى الكبير معقبـا على ذلك : « انه لشىء غريب أن تكون سفارة اسرائيل فى واشنطن أكثر تفاؤلا من الأمريكيين . أن **الحرب ستنشب بالتأكيد خلال اسبوع** » .

اما فى موسكو فقد قال «الكسى كوسيجين» رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لجورج براون وزير الخارجية البريطانية . عندما اختتم زيارته لموسكو : « أننا ضد اى حرب فى الشرق الأوسط » .

وفى باريس تجمع ثلاثون ألف شخص فى شارع فاجرام حيث عطلوا المرور فيه ، واسرعوا نحو مبنى السفارة الاسرائيلية . وكان معظم هؤلاء من اليهود ... وقد جاءوا الى السفارة للاعراب عن تأييدهم لاسرائيل . ان اليهود الفرنسيين الذين كانوا يرددون منذ بضعة أعوام انهم فرنسيون قبل كل شىء ، اصبحوا يعلنون اليوم فى هذا الحشد الجماهيرى « نحن يهود أولا . ان حرب اسرائيل هى حربنا» .

وقد وصلت أصداء هذه المظاهرات الى قصر الأليزيه . وكان رد فعل لدى السلطات الفرنسية .. هو انها أصدرت تعليمات وجيزة الى اجهزة الأمن طلبت منها فيها معرفة الدور الذى قامت به السفارة الاسرائيلية فى تنظيم هذه المظاهرة . وتلقت مختلف الادارات المنوط بها تزويد اسرائيل بالأسلحة أمرا بأن تفحص بدقة كل طلب فى هذا الشأن . وبدأت تظهر عقبات غير متوقعة كلما طلب الاسرائيليون استخدام هذا المطار أو ذاك . وأخذ رجال الجمارك الفرنسيون يفحصون بدقة متزايدة كل مستند وكل صندوق . وشكلت لجنة من عدد من الوزارات لكى تدرس بصفة عاجلة امكان فرض حظر على شحنات الأسلحة التى ترسل الى الشرق الأوسط ، أى الى اسرائيل .

فى صباح يوم اول يونيو ، ارتفعت فى واشنطن أصوات عديدة ومتزايدة تطالب بالوصول الى تسوية مع عبد الناصر . وصرح «دان آرثر» معلق التليفزيون وموضع ثقة البيت الأبيض بقوله ان « الرئيس جونسون مقتنع بأن مصر لا تريد الحرب » .

ولقد أصبح الأمل فى الوصول الى تسوية مع مصر معقودا على رجلين هما : «شارلس يوست» و «روبرت اندرسون» . لقد وصل يوست الى القاهرة يوم ٢٩ مايو ـ موفدا من قبل الخارجية الأمريكية للتفاوض مع المصريين . وعندما قابل محمود رياض وزير الخارجية أعاد الوزير المصرى على سمعه وجهة النظر غير الرسمية لمصر وهى : « ان اسرائيل تستعد للهجوم على سوريا ، وقد قام السوفييت باخطارنا بذلك فى الوقت المناسب » .

وسأل يوست : الا توجد أية فرصة للوصول الى تسوية ؟

وأجاب رياض : « نعم بالتأكيد . ان المصريين لا يفكرون مطلقا فى أن يبدأوا القتال ضد اسرائيل ، أما فيما يتعلق بالمضايق فيمكن تسوية هذا الموضوع» .

ولكن محمود رياض رفض أن يوضح كيف يمكن أن يتم ذلك ، ولم

يقتنع «يوست» ، وأحس أن مهمته فشلت . ومع هذا فقد أرسل برقية الى واشنطن قال فيها .. انه يحسن ترك باب لعبد الناصر لكى يخرج منه .

وبالاضافة الى المبعوث الرسمي يوست ، فقد وصل الى مصر مبعوث سرى فى تكتم شديد ... وكان مزودا من قبل البيت الأبيض بتعليمات محددة هى : مقابلة عبد الناصر . وكان هذا المبعوث الخاص الذى يعرف عبد الناصر هو «روبرت اندرسون» الوزير السابق فى عهد حكومة ايزنهاور .

وقد هبط «اندرسون» فى مطار القاهرة يوم ٣١ مايو فى سرية مطلقة . ولم يتح للسفير الأمريكى فى القاهرة أن يراه سوى بضع لحظات فقط فى الفندق ، كما أن «أندرسون» لم يستخدم اجهزة السفارة فى نقل تقاريره الى واشنطن .

وفى صباح اليوم التالى ـ أول يونيو ـ أدخل اندرسون سرا فى مكتب عبد الناصر .

لقد استمر الحديث بينه وبين عبد الناصر طويلا ، وقد رفض الرئيس المصرى أن يتراجع عن موقفه فى مسألة المضايق وقال «ان موقفى نهائى » ولم يقبل عبد الناصر من الاقتراحات سوى واحد هو : ارسال مبعوث مصرى كبير الى واشنطن لاجراء محادثات مع المسئولين الأمريكيين . وتقرر أن يرسل عبد الناصر نائبه الى واشنطن يوم الأربعاء ٧ يونيو .

وفى تل أبيب ، استدعى «أشكول» «موشى دايان» الى منزله واقترح عليه تولى منصب وزير الدفاع ، ووافق دايان . وبهذا انتهت أزمة كبرى عاشتها الحكومة الاسرائيلية خلال الأيام السابقة ، فقد اضطرت الحكومة اخيرا الى الاستجابة لضغوط العسكريين والمدنيين ، بتشكيل حكومة اتحاد وطنى تضم دايان وزيرا للدفاع . ولقد كان تعيين «دايان» وزيرا للدفاع ـ فى أول يونيو ـ يشكل قرارا فى حد ذاته هو : **تحدى عبد الناصر** .

❋ ❋ ❋

فى القاهرة عقدت القيادة العليا اجتماعا طويلا يوم ٢ يونيو بحضور عبد الناصر ، وكانت القاهرة ترى ان حدة التوتر الدولى قد خفت ولم يثر تعيين «موشى دايان» وزيرا للدفاع قلقا مبالغا فيه . وكان من رأى اجهزة المخابرات المصرية أن «أشكول» حاول بهذا التعيين الرد على انتقادات خصومه واستعادة الثقة التى اهتزت بحكومته .

ولهذه الاسباب .. وجدت القاهرة انه من المناسب تحاشى وقوع

مواجهة عسكرية بأى ثمن ، وعدم اتاحة الفرصة للاسرائيليين للقيام بهجوم ، وكسب الوقت . وكان هذا بمثابة أمر واجب التنفيذ .

وظلت مصر ترسل تعزيزات الى سيناء بدون هدف معين . وقد اذاع قائد الجيش أمر قتال جديدا قال فيه «من المحتمل أن تقوم اسرائيل قريبا بهجوم على الجمهورية العربية المتحدة . وقد عملنا لذلك حسابا فى خططنا واننى اطلب منكم جميعا أن تكونوا يقظين» .

ان مصر لم تكن تنوى شن الحرب .

ولكن اسرائيل كانت تستعد لخوض المعركة .

لقد افتتح «موشى دايان» عمله فى وزارة الدفاع ، بأن طلب من الجنرالات أن يقدموا له فى المساء نفسه خطط عمليات هيئة أركان الحرب . وحوالى الظهر من اليوم نفسه ٢ يونيو ، عقد فى منزل «أشكول» اجتماع وزارى محدود اشترك فيه دايان وايبان وايجال آلون ورئيس هيئة أركان الحرب . وعرض دايان فى هذا الاجتماع خطته بشأن الحرب وهى تهدف الى تدمير الجيش المصرى فى سيناء واحتلال مضايق تيران .

لقد قال دايان للجنرالات : حدثونى عن خططكم فاذا لم يكن لديكم شىء منها فان لدى خططا . ولكن الجميع كانوا يعرفون ما هى مشروعات دايان ، فقد عرضها أكثر من مرة على قواد الجيش ، وتحدث بشأنها أيضا مع رئيس هيئة أركان الحرب أثناء لقاءاتهما خلال فترة اعلان الطوارىء . وعرض «اسحاق رابين» على «دايان» فى الاجتماع مشروعه الجرىء وهو يهدف الى اختراق سيناء على أربعة محاور : محورين فى الشمال فى قطاع رفح ، ومحورين فى الجنوب فى قطاع القسيمة ، فى اتجاه معسكر أبو عجيلة المحصن . ووافق دايان على هذا المشروع فى جملته .. ولكنه طلب أن تحدد بوضوح أهداف هذه الحرب على النحو التالى : تدمير الجيش المصرى ، واحتلال شرم الشيخ .

* * *

فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى (السبت ٣ يونيو) اتصل مدير ادارة أفريقيا والشرق الادنى بوزارة الخارجية الفرنسية بالسفارة الاسرائيلية فى باريس واستدعى الوزير المفوض الاسرائيلى لمقابلته .

وفى المقابلة .. قال المسئول الفرنسى للممثل الدبلوماسى الاسرائيلى: أبلغك أن فرنسا قررت أن توقف مؤقتا شحنات الأسلحة التى ترسلها الى الشرق الأوسط .

وكان هذا ينطبق على اسرائيل فقط ، لأن فرنسا لا تشحن أسلحة للشرق الأوسط الا لاسرائيل . لقد شرح المسئول الفرنسى فى هذه المقابلة

أسباب هـذا الحظر . كان السبب ـ شبه الرسمي ـ هو ان الصحف تحدثت أكثر من مرة عن شحنات الأسلحة الفرنسية لاسرائيل ، وبخاصة عن مسألة «بوردو» . فمنذ يومين هبطت أربع طائرات بوينج تابعة لشركة (العال) الاسرائيلية في « بوردو » حيث شحنت بأسلحة وقطع غيار . ونظرا لأن مطار « بوردو » يستخدمه كل من السلاح الجوى الفرنسي والطيران المدنى ، فلم يكن من الصعب تصوير الطائرات أو اعداد مقالات للصحف التى ستصدر فى اليوم التالى .

أما السبب الرسمى للحظر ، فقد كان قاطعا . لقد قال المسئول الفرنسي : ان فرنسا ليست مرتبطة بأى طرف من أطراف النزاع ، وهذا هو السبب فى أننا لن نرسل أسلحة للشرق الأوسط .

وفى الساعة نفسها اتصل وزير الدفاع الفرنسى بجورج بومبيدو رئيس الوزراء وطلب منه رفع الحظر المفروض على شحنات الأسلحة الفرنسـية الى اسرائيل . وقد رد عليه بومبيدو ـ بعد بحث سريع للموضوع ـ أنه يمكن الاستمرار فى ارسال الشحنات التى تم الاتفاق عليها . ان غاية مافعله بومبيدو .. هـو أنه سمح بشحن صناديق الأسلحة الجاهزة فى السفن ، واتمام شحن الطائرات الاسرائيلية التى وصلت فعلا الى باريس . وهكذا فان الحظر لم يتأجل الا لمدة أربع وعشرين ساعة .

وفى الساعة السابعة مساء من اليوم نفسه (السبت ٣ يونيو) وصل الى قصر الأليزيه متخفيا أحد الزوار . وكان هذا الزائر « والتر ايبان» سفير اسرائيل فى باريس . لقد أدخل السفير الاسرائيلى فى سرية تامة الى الجنرال ديجول ، وظل الاثنان وحدهما وجها لوجه .

وكان ديجول يبدو فى هذه المرة أكثر هدوءا منه عندما اجتمع بأبا ايبان منذ عشرة أيام .ولكن رأى ديجول فى هذه الأزمة انها لم تتغير لقد حلل الموقف فى هذا الصباح امام أحد المقربين اليه فقال : « ان فكرة الروس كانت ترمى الى تسميم الموقف فى الشرق الأوسط ، وهذا هو السبب فى أنهم دفعوا المصريين لكى يدخلوا سيناء . وكانوا يعتقدون أنه اذا استمرت حوادث الحدود ، واستمر تسلل المخربين ، واستمر تجمع القوات المصرية لمدة بضعة اسابيع أو بضعة أشهر .. فان الموقف سيصل الى نقطة الانفجار ، وعندئذ ستجد الولايات المتحدة نفسـها مضطرة الى ارسال قوات الى الشرق الأوسط للدفاع عن اسرائيل ضد هجوم عربى محتمل ، مما يؤدى الى تحويل النزاع الى حرب على غرار الحرب الفيتنامية . ولكن عبد الناصر استطاع التخلص من سـيطرة الروس ، فارسل الى الحدود الاسرائيلية قوات تفوق ماكان متوقعا .. كما اغلق ايضا مضايق تيران دون أن يستشير موسكو . وهكذا ازداد خطر تصاعد الحرب تفاقما ، واصبح من الممكن أن يتدهور الموقف الى

حد وقوع مجابهة عسكرية بين الدولتين الكبيرتين ، واصبح من الضرورى تحاشى ذلك بأى ثمن .

وقد أعاد «ديجول» أثناء اجتماعه السرى مع سفير اسرائيل ترديد تحذيره فقال : (لاتكونوا البادئين باطلاق النار) ولم يكن سفير اسرائيل مستعدة لهذه المقابلة ، ولكن موضوع الحديث الذى جاء من أجله والذى كان يهمه فى المقام الأول هو : الحظر الذى فرضته فرنسا على شحنات الأسلحة المرسلة الى اسرائيل .

ولم يحاول «ديجول» حتى الاحتماء خلف أعذار رسمية . فقدأبلغ السفير الاسرائيلى صراحة انه قرر وقف شحنات الأسلحة بقصد منع نشوب الحرب . وقال انه اذا أدرك عملاء فرنسا ــ أو بعبارة أخرى اسرائيل ــ أن مصادر سلاحهم قد نضبت ، فانهم سيحذرون الارتماء فى احضان الحرب .

وشرح السفير الاسرائيلى باسهاب .. أن مثل هذا القرار لن يضر سوى اسرائيل التى تشترى كل سلاحها تقريبا من فرنسا . أما الدول العربية ، فانها على العكس تتلقى من الاتحاد السوفيتى كميات ضخمة من العتاد العسكرى ، ومع هذا فان أحدا لن يهتم ولو لحظة واحدة بوقف شحنات المدافع والدبابات المرسلة الى مصر وسوريا .

ولكن «ديجول» ظل صلبا كالصخرة ورفض رفع «الحظر الوقائى» الذى فرضه على الأسلحة المرسلة الى اسرائيل . لقد كرر ديجول للسفير الاسرائيلى قوله : « لا تشنوا الحرب التى أعرف أن الطرف الآخر لايريدها . لقد بذلت كل مافى وسعى لتحاشى الحرب . وهناك حل واحد ، وهو موجود فى أيدى الدول الأربع الكبرى» .

ورد السفير قائلا .. أن مصر قامت بعمل عدوانى عندما اغلقت المضايق ، واشار الى التهديدات التى ترددها الدول العربية بتدمير اسرائيل .

وأجاب ديجول : « اذا تعرضتم للهجوم ، فلن تتركوا لكى تصبحوا ضحية للتدمير ، واننى مقتنع بانه اذا نشبت حرب ، فسوف تكلفكم الكثير من الخسائر والدماء كما أنها لن تحل أى مشكلة . وسيكون لزاما عليكم بعد عشر سنوات أن تحاربوا من جديد» .

واستطرد ديجول قائلا كأنه يفكر بصوت عال : «اننى لاأعرف اذا كانت الحرب ستنشب أم لا . وأنت أيضا ياسيدى السفير لاتعرف .
وأضاف قائلا : « لاتضعوا أملكم فى الولايات المتحدة ، فهى لن تنقذكم » .

وخرج السفير من «قصر الأليزيه» وقد ساوره احساس عميق بالمرارة وخيبة الأمل . لقد قامت فرنسا من جانب واحد بوقف شحنات

الأسلحة الى اسرائيل فى أشد لحظات وجودها حرجا . وقد فرض هذا الحظر على اسرائيل قبل أن تطلق رصاصة واحدة .

وقد بادر السفير بارسال برقية الى تل ابيب ، شرح فيها مضمون حديثه مع ديجول وقال فيها : انه لم يحدث اى تغيير ايجابى فى موقف الرئيس الفرنسى . بل على العكس ، فهو شخصيا الذى أمر بوقف ارسال شحنات الأسلحة الى اسرائيل لمنعها من القيام بأى عمل عسكرى.

غير أن السفير لم يكن يعرف كل شيء . فهو يجهل العبارات القاسية التى وجهها ديجول الى رئيس وزرائه «جورج بومبيدو» بسبب المساندة التى يبديها آل روتشلد لاسرائيل . لقد استشاط ديجول غضبا من يقظة الشعور القومى اليهودى لدى بعض الفرنسيين ، ورأى فى ذلك مايشبه الخيانة . وبعدها قال بومبيدو ـ وهو متضايق ـ لأحد أفراد أسرة روتشيلد « قل لأصدقائك أن يوقفوا انتقادهم لسياسة الحكومة الفرنسية ، لأنهم لايعرفون أين توجد مصلحتهم» .

* * *

فى تل أبيب .. قال الصحفى البريطانى «ونستون تشرشل» لموشى دايان الذى دعاه لتناول الغداء : «كان جدى فى حاجة الى هتلر لكى يصل الى الحكم » .

ورد دايان قائلا : «لقد اقتضى الأمر أيضا حشد ٨٠ الف جندى مصرى فى سيناء لكى أحصل على منصب وزير الدفاع » .

وقد قال دايان للصحفى الشاب مايفهم منه ، ان الحرب ليست وشيكة الوقوع ، وعندئذ بادر «ونستون تشرشل» فحجز لنفسه مقعدا على أول طائرة تقلع فى الغد الى لندن .

وفى الساعة الثالثة ، وصل «موشى دايان» الى قاعة العمليات . وفى الساعة الرابعة عقد فى نادى الصحافة أول مؤتمر صحفى له أمام مئات من مراسلى الصحف الأجنبية ، ومن بين اجاباته على الأسئلة العديدة التىوجهت اليه ..كانت هناك اجابة تستلفتالنظر .. فعندما سئلعن الورطة الدبلوماسية التى وجدت اسرائيل نفسها فيها منذ اغلاق المضايق قال : « فى الوقت الحاضر ربما كان الوقت مبكرا أكثر مما ينبغى ، أو متأخرا أكثر مما ينبغى . فهو ربما كان متأخرا أكثر مما يجب للرد عسكريا على اغلاق مضايق تيران ، وربما كان مبكرا أكثر مما ينبغى لاستخلاص نتائج بشأن العمل الدبلوماسى الذى يجب القيام به بشأن هذه المسألة » .

وقد استنتج الصحفيون من هذا الكلام ، أن دايان لايتوقع نشوب حرب فى الأيام المقبلة .

وفى الوقت نفسه حصل كثير من الجنود الاسرائيليين على أجازة قصيرة . بل ان عدة آلاف من جنود الاحتياطى تم تسريحهم فى الوقت نفسه بعد ان ابلغوا بكلمة السر التى تذاع فى الراديو اذا ساء الموقف . وعندما رأى «آرثر جولدبرج» المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة صور الجنود الاسرائيليين فى اجازة والتى نشرت فى اليوم التالى ، اكفهر وجهه وقال : « **ان هذه الحكايات المتعلقة بالجنود الاسرائيليين الذين حصلوا على اجازات لاتثير سرورى . وحيث اننى اعرف هؤلاء الاسرائيليين .. فان هذه الحكايات ربما تعنى أنهم سيعلنون الحرب غدا** » .

وفى القاهرة .. قام سفير الاتحاد السوفيتى بزيارة عبد الناصر فى هذا المساء (السبت ٣ يونيو) وقال له طبقا لما تلقاه من حكومته من معلومات : ان الأزمة فى طريقها الى الهدوء وان اسرائيل لن تقوم بالهجوم .

وفى تل أبيب .. بعث السفير السوفيتى «ديمترى تشوفاخين» ببرقية الى موسكو ضمنها وجهة نظره ، وهى أن اسرائيل لن تفعل شيئا قبل مضى أسبوعين .

وفى واشنطن .. «دعا والت روستو» ممثل اسرائيل لتناول طعام الغداء على مائدته وقال له : «انتظروا حتى نهاية الأسبوع المقبل أن تقرروا العمل» .

ولكن المندوب الاسرائيلى لم ينبس ببنت شفة . فقد كان يعلم أن الحرب نفسها قد أصبحت مسألة ساعات .

وفى اليوم التالى (الأحد ٤ يونيو) عقد «الملك حسين» مؤتمرا صحفيا فى عمان وقال فيه : « ان اسرائيل تستطيع أن تهاجمنا خلال الثمانى والأربعين ساعة القادمة .. فهى معتادة على القيام بمثل هذه المفاجآت» .

أما فى القدس نفسها .. فقد اجتمعت الحكومة الاسرائيلية فى الثامنة صباحا وعرض عليها «آب هارمان» السفير الاسرائيلى فى واشنطن تقريره عن الموقف فى الولايات المتحدة . وفى الاجتماع اقترح «موشى دايان» وزير الدفاع ان «تعطى الحكومة سلطات مطلقة لرئيس الوزراء ولوزير الدفاع لكى يستطيعوا دفع الجيش الاسرائيلى الى المعركة اذا دعت الحاجة الى ذلك » . وكان الجميع يفهمون ما يعنيه ذلك .

ورغم العبارات الغامضة التى تضمنها قرار الحكومة ، فقد كان المعنى واضحا ، وهو أن اسرائيل ستخوض الحرب . واتصل «موشى دايان» تليفونيا باسحاق رابين رئيس هيئة أركان الحرب ، لكى يبلغه بقرار الحكومة .

***

وفى الساعة الحادية عشرة مساء ، عقد فى تل ابيب آخر اجتماع لمجلس الوزراء برئاسة «أشكول» . أما موشى دايان ، فقد رقد فى قاعة العمليات .

وقبل أن يستسلم «دايان» للنوم ، طلب من أحد مساعديه ان يمر على «بن جوريون» لكى يبلغه بقرار الحكومة : «قل له ان الحكومة وافقت على اقتراحى .. واننى أعتقد أن الحشود المصرية لهـا طابع هجومى »

وعندما وصل المبعوث الى منزل بن جوريون .. فكر بن جوريون لحظة ثم قال : « هل موشى واثق من نفسه ؟ » .

ــ نعم .

قال بن جوريون : فى هذه الحالة ، أمنحه بركاتى !

ــ ٤ ــ

طوال الفجر ، وفى الصباح المبكر ، من يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ كان يتوالى وصول قواد هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى ، وعلى راسهم وزير الدفاع ، الى قاعة عمليات السلاح الجوى الاسرائيلى . وهناك فى الساعة السابعة وعشر دقائق بتوقيت اسرائيل انحنى قائد سلاح الطيران نحو الميكرفون وألقى بالكلمتين المتفق عليهما من قبل : «موكيد ــ جو» .

واعلن المتحدث باسم الجيش للصحفيين أن الجيش الاسرائيلى يقوم بهجوم مضاد على أثر « التحركات المنطوية على التهديد » التى قام بها الجيش المصرى .

واقلعت عشرات الطائرات من عدة قواعد جوية فى اسرائيل . وكانت تضم طائرات من طراز : فوتور ــ وميراج ــ وسوبر ميستير وأوراجون .. وقد انتظمت فى تشكيلات يتكون كل منها من أربع طائرات ، وقد انطلقت هذه الطائرات النفاثة طبقا لتوقيت حسب بدقة حتى الثانية الأخيرة ، بحيث تصل جميع الطائرات فى اللحظة نفسها الى اهدافها المنتشرة فى أراضى مصر وسيناء .

لقد تم اختيار ساعة الصفر بذكاء ودهاء .. فعندما تصل الطائرات الى اهدافها تكون الساعة قد بلغت الثامنة و ٤٥ دقيقة فى مصر (وفرق التوقيت بين القاهرة وتل ابيب هو ساعة) . واذن فان المصريين سيؤخذون على غرة .. لأنهم كانوا يعتقدون أن الهجوم الاسرائيلى الشهير سوف يأتى مع « أول ضوء فى الفجر » . وما دام هـذا الهجوم لم يقع فى ذلك الوقت .. فان يقظتهم سوف تضعف . كما أن الرؤية فى لحظة الهجوم ستكون رائعة ، لأن ضباب الصباح سيكون قد انقشع بفضل أشعة الشمس الأولى . وسيكون معظم قواد سلاح الطيران المصرى فى طريقهم

الى مكاتبهم أو الى معسكراتهم أو الى مواعيدهم فى المدينة . لقد كان هذا هو التوقيت المثالى للقيام بهجوم جوى .

وقد حدث ما كان متوقعا ان يحدث : فقد خفضت حالة الطوارىء فى المطارات المصرية ، واوقف الطيارون المصريون محركات طائرات الميج ونزلوا منها الى قاعة الطعام لتناول قدح من القهوة . وأقلعت من مطار غرب القاهرة ، طائرة ثقيلة ، كانت تحمل القائد العام للجيش المصرى الذى قرر التوجه اليوم «٥ يونيو» الى الصحراء للقيام بجولة تفتيشية.

ومضت الدقائق والطائرات الاسرائيلية تمرق نحو أهدافها . وقد اتجهت أولا عدة طائرات مقاتلة نحو الشمال ، وحلقت على ارتفاع كبير فوق البحر الأبيض المتوسط ، ثم انحرفت نحو الغرب ، واتجهت نحو مصر . وكانت الطائرات تطير على ارتفاع منخفض جدا لايتجاوز بضعة أمتار عن ذروة الأمواج . . وذلك بقصد تحاشي عيون الردار الأليكترونية. وعندما وصلت الطائرات فوق البحر ، الى المنطقة الموازية لدلتا النيل ، انحرفت فجأة نحو الجنوب . ولم يكن أحد يتوقع أن تتخذ هذا الاتجاه الذى تسير فيه عادة طائرات الخطوط الجوية المدنية .

أما أسراب الطائرات ــ التى انطلقت نحو مطارات سيناء ــ فقد اتخذت طريقا آخر . لقد أخذت تطير فى الأغوار وبين التلال . وهكذا مرت هى الأخرى دون أن تلحظها أجهزة الردار المصرية . وفى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين ــ بتوقيت مصر ــ كانت جميع الطائرات فوق أهدافها . وفى اللحظة نفسها اندفعت نحو ممرات المطارات وامطرت الطائرات المصرية القابعة عليها بوابل من الصواريخ والقذائف والقنابل، كما ألقت قنابل ثقيلة على الممرات فصدعتها وأحدثت فيها فجوات واسعة . وهكذا تحولت مطارات مصر الى شعلات من اللهب والنار الضخمة .

ولم تلبث شبكات اللاسلكي بعيدة المدى الموجودة فى الطائرات الاسرائيلية ، والتى كانت صامتة حتى هذه اللحظة ، أن بدأت تعمل من جديد فى وقت واحد . وقطع الصمت الثقيل المتسم بالتوتر ، والذى كان يسود قاعة العمليات الاسرائيلية بصيحات الدهشة والفرح من الطيارين .

وفى الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة ــ بتوقيت اسرائيل ــ قطع راديو « صوت اسرائيل » اذاعته ليعلن : « فيما يلى بلاغ لمتحدث عسكرى : تدور منذ الصباح معارك عنيفة فى الجبهة الجنوبية بين القوات الجوية والمدرعة المصرية التى تحركت نحو اسرائيل ، وقواتنا التى اشتبكت معها لردها على أعقابها » .

وانطلقت الدبابات وبدأ الهجوم .

وبدات حرب الأيام الستة .

* * *

فى الساعة الثانية والدقيقة الخمسين فى « نيويورك » وصلت التعليمات الى رئيس وفد اسرائيل فى الأمم المتحدة ، وبناء عليها اتصل المندوب الاسرائيلى على الفور برئيس مجلس الأمن وطلب منه عقد اجتماع عاجل للمجلس . وقد سبقه بعشرين دقيقة عدوه اللدود «محمد عوض القونى» مندوب مصر ، الذى قدم هو الآخر طلبا لرئيس المجلس بعقد اجتماع عاجل .

وقبل ذلك بـ ١٢ دقيقة .. التقط أحد أجهزة البرقيات فى «قاعة الأخبار» فى بدروم البيت الأبيض ، أول نبأ عاجل .. لقد اتصل الضابط النوبتجى على الفور بـ «والت روستو» وابلغه بالنبأ . وقال روستو : « افحص الأخبار وعاود الاتصال بى » . وخلال دقائق كانت قد وصلت أنباء أخرى : لقد نشبت الحرب .

وعقب الساعة الثالثة بقليل ، بتوقيت واشنطن ، وصل «دين راسك» الى مبنى وزارة الخارجية ، وأسرع نحو قاعة العمليات التى يطلق عليها اسم « المخزن الساخن » وهى توجد بالدور الثامن من هذا المبنى الضخم . وهذه القاعة على اتصال مستمر مع قاعة العمليات الموجودة بوزارة الدفاع ، ومع « قاعة الموقف » التى توجد بالبيت الأبيض . وفك «راسك» رباط عنقه وأمسك بالبرقيات التى وصلت من الشرق الأوسط ، وبدأ يدرسها وهو يحتسى قهوة ساخنة . وبسرعة تم تنظيم العمل على شكل مجموعات . وكانت كل مجموعة مؤلفة من عشرة رجال يحل غيرهم محلهم كل ٦ ساعات . وأخذ «المخزن الساخن» يتلقى سيلا من الأنباء من وكالة المخابرات المركزية ومن وكالات الأنباء الصحفية ومن وزارة الدفاع ومن البيت الأبيض .

وكان «والت روستو» على اتصال دائم من « قاعة الموقف » فى البيت الأبيض مع راسك ومكنمارا . وفى الساعة الرابعة والنصف صباحا قرر كل هؤلاء انه يجب ايقاظ الرئيس جونسون .

وقال روستو لجونسون :

ــ لقد نشبت الحرب فى الشرق الأوسط .. ثم أضاف الى ذلك بعض التفاصيل المتعلقة بالهجوم الجوى الذى وجه الى المطارات المصرية .

وكان الرئيس الامريكى هادئا جدا وفى غاية التحفظ . وكان أول سؤال له « كيف بدأ ذلك ؟ من الذى أطلق النار أولا ؟ وأجاب روستو: « أن هذا ليس واضحا حتى هذه اللحظة » . ثم التفت نحو أحد

مساعديه وقال له : « ابحث على الفور كيف بدأ ذلك . اننى اريد أن اعرف من الذى بدأ القتال » .

واتصل «راسك» تليفونيا بجونسون واقترح عليه ارسال خطاب الى «جروميكو» . ووافق «جونسون» وكان مضمون الرسالة معتدلا . وقد اعرب وزير الخارجية الأمريكية فى هذه الرسالة عن أسفه لنشوب القتال فى الشرق الأوسط . .وأشار أن الولايات المتحدة . . لاتزال تتمسك بشدة بمبدأ السلامة الاقليمية والاستقلال بالنسبة لجميع الدول فى هذه المنطقة من العالم ، وتأمل ان يتوقف القتال فى أقرب وقت ممكن . واضاف «راسك» أن الولايات المتحدة ترغب فى وقف اطلاق النار على الفور . وقال أنها ستتدخل لدى الحكومات المعنية ، وكذلك فى نطاق الأمم المتحدة . واعرب «راسك» عن امله فى أن يتخذ الاتحاد السوفيتى من جانبه موقفا مماثلا . وارسلت الرسالة فى برقية عاجلة الى «أندريه جروميكو» فى موسكو .

وفى باريس .. استولى على الجنرال ديجول غضب شديد وقلق عميق عندما علم أن الحرب قد نشبت . اما الغضب .. فيرجع الى أن النصائح التى بذلها لاسرائيل ومصر لم تجد آذانا مصغية وقد قال لجورج بومبيدو ـ الذى استدعى على عجل الى قصر الأليزيه ـ : «انهم لم يصغوا الى نصيحة فرنسا» .

اما القلق فلأن ديجول كان يخشى تفاقم الموقف . وقد قال رئيس الجمهورية الفرنسية لأحد مستشاريه : « أن الاسرائيليين هم الأقوى. وليس ثمة شك فى انهم سيحرزون خلال الأيام الأولى انتصارات باهرة . ثم بعد ؟!.. ان تقدمهم سوف يبطىء ، ثم ينتهى بهم الأمر بأن يغوصوا فى البحر العربى الذى يحيط بهم من كل جانب . وسوف يشن العرب هجوما مضادا ويردون الاسرائيليين على أعقابهم نحو أراضيهم بل انهم ربما يستطيعون التوغل فى اسرائيل . وعندئذ ستجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة الى التدخل للدفاع عن الاسرائيليين ، مما قد يؤدى بالتالى الى تدخل السوفيت الى جانب العرب . وهكذا فان الصراع قد يسفر عن مجابهة بين الدولتين العظيمتين ، بل قد يؤدى الى حرب عالمية » .

وكان من رأى «ديجول» أن فرنسا يجب ان تبذل كل مافى وسعها لوقف القتال ، أو على الأقل لتحديد نطاقه . وقد تصرفت فرنسا فعلا لتحقيق هذا الهدف . ففى هذا الصباح صدر بلاغ رسمى بناء على أمر «ديجول» يعلن حظر جميع شحنات الأسلحة للشرق الاوسط . واذن .. فبعد الحظر السرى الذى فرضته فرنسا على اسرائيل منذ يومين جاء الحظر الرسمى .

وفى البيت الأبيض بواشنطون .. كانت المبرقات الكاتبة الموجودة فى

«قاعة الموقف» تقذف بأعداد متزايدة من البرقيات المتعلقة بالشرق الأوسط. وقدمت مختلف فروع هيئة الاستعلامات الأمريكية ، تقريرا عاجلا الى «الرئيس جونسون» .وكان أساطين الجاسوسية على يقين من ان اسرائيل ستحرز النصر خلال أربعة أو خمسة أيام . وقد رأوا إن الاسرائيليين لايحتاجون الى أكثر من ٢٤ ساعة لتحطيم الطيران المصرى وهو جاثم على الأرض .

وفى الساعة السابعة.. قرأ «جورج كريستيان» السكرتير الصحفى للبيت الأبيض ، البيان الأول الذى يتضمن الاعراب عن أسف الرئيس جونسون لنشوب القتال ، كما تضمن البيان نداء بوقف اطلاق النار على الفور .

وارسلت برقيات عاجلة ، الى الملحقين العسكريين والدبلوماسيين الأمريكيين فى القاهرة وتل ابيب ، طلب منهم فيها الاجابة على هـــذا السؤال : « من الذى أطلق النار أولا؟ » .

وحوالى الساعة الثامنة كف مساعد «روستو» عن البحث عن المدفع الذى أطلق أول قنبلة . وقال له رؤساؤه ان هذه المسألة لم تعد موضع اهتمام فى الوقت الحـالى .

واستدعى «جونسون» «جولد برج» مندوب أمريكا فى الأمم المتحدة و «مكنمارا» وزير الدفاع . وأصدر بنفسه تعليمات الى «جولد برج»بأن يقترح على مجلس الأمن وقف اطلاق النار على الفـور . وطلب من «مكنمارا» أن يضع بصورة عاجلة جميع الوحدات الأمريكية فى المنطقة فى حالة تأهب .

ولم يكلف «جونسون» نفسه مشقة النهوض من فراشه وارتداء ملابسه ، فقد كان فى هذا الوقت من الأزمة ، يدير شئون أمريكا من على سريره .. والى جانبه تليفونه الخاص .

وفى الساعة السابعة والدقيقة ٥٩ دق التليفون ، وكان المتحدث هو «والت روستو» .وبعدها نهض الرئيس الأمريكى والتفت الى سكرتيره وقال له : يجب أن انزل الى « قاعة الموقف » فقد تسلمنا عن طريق « التليفون الأحمر » رسالة من كوسيجين .

ان « التليفون الأحمر » ـ هذا التليفون الغامض ـ يتألف فى الواقع من أربع آلات كاتبـة مبرقة .. اثنتين فى الكرملين فى موســكو ـ والاثنتين الاخريين فى وزارة الدفاع الأمريكية بواشنطن . وهـكذا فان كلا من العاصمتين تملك جهـازين يتصـلان ببعضهما بخط مباشر مع توأميهما فى الدولة الأخرى . وأحـــد الجهـــازين روسي مزود بحروف روســـية .. بينما الآخر أمريكى مزود بحروف لاتينية . وعن طريق هذه المبرقات الكاتبة .. يستطيع زعماء الاتحاد السوفيتى والولايات

المتحدة الاتصال ببعضهما فى أية وقت ، والتشاور معا فى حالة وقوع أزمة عالمية يخشى أن تتحول الى نزاع خطير . ومنذ انشىء الخط الاحمر فى ٣٠ أغسطس ١٩٦٧ ، فانه لم يستخدم مطلقا الا فى حـالات الفحص الدوري ، التى نقل خلالها الاخصائيون الامريكيون نتائج مباريات الكرة الطائرة ، ونقل خلالها الاخصائيون السوفيت الى واشـنطن عبـارات مأخوذة من كتاب «مذكرات رسام» لتورجنيف .

ولكن الموقف اليـــوم خطير . فى هذا الصـباح استيقظت فجأة الآلات المبرقة الكاتبة الموجودة فى وزارة الدفاع الأمريكية وسجـلت الكلمات التالية : « ان كوسيجين رئيس مجلس الوزراء يسأل اذا كان الرئيس جونسون موجودا على الخط .. »

ثم توقف الجهاز الأوتوماتيكى برهة قبل أن يستأنف الكتابة .. « نرجو ان تنقلوا للرئيس جونسون الرسالة التالية .. »

ونزل جونسون بخطوات سريعة الى « قاعة الموقف » وجلس على مقربة من مائدة المداولات . وفى اللحظة نفسها سقطت رسالة كوسيجين التى كانت عبارة عن بعض سطور مكتوبة على ورقة صفراء من أنبوبة التفريغ الى داخل الوعاء المعدنى . بعد ثوان وصلت الترجمة الانجليزية للرسالة . وكانت الرسالة قصيرة ، ونظرة واحدة اليها كانت كافيـة لادخال الطمأنينـة الى قلب جونســـون الذى قال حينئـذ .. « لن تقع حرب عالمية » .

ان «كوسيجين» اكد فى رسالته، أن الاتحادالسوفيتى يعارضبشدة الحرب والعدوان . ثم القى مسئولية نشوب القتال على اسرائيل وطلب من الولايات المتحدة أن تستخدم كل نفوذها لدى الحكومة الاسرائيلية ، وان تحذرها من العواقب المفجعة التى قد تنجم عن أعمالها . واضـــاف كوسيجين ..ان الاتحاد السوفيتى يقف الى جانبالشعوب العربيةالمحبة للسلام . وقال : انه اذا اشتركت الولايات المتحدة فى الحرب الى جانب اسرائيل فان الحكومة السوفيتية ستصدر أوامرها فورا الى قواتها المسلحة لتقدم عونها العســكرى الى الدول العربية ولتوقف العدوان الامبريالى .

وقد كانت هذه الرسالة ، لاتعدو أن تكون طريقة لبقة ، يقصد بها القول للأمريكيين : « اننا لا نريد الحرب ومن الأفضل لكم ولنا ان نظل خارج هذا الموضوع كله » .

وخلال فترة قصيرة ، رد «جونسون» على «كوسيجين» ، وقال فى رده : «اننا لانملك معلومات عمن بدأ القتال ، ويجب أن تتعاون كل من موسكو وواشنطن حتى تحصلا على وقف اطلاق النار فى الحال واعـادة السلام» .

وفى اليوم نفسه ٥ يونيو .. تسلم كوسيجين رسالة أخرى من ديجول عن طريق « الخط الأخضر » وهو نظير « الخط الأحمر » بين باريس وموسكو . وأعرب «الجنرال ديجول» فى رسالته عن قلقه البالغ من أجل سلام العالم فى أعقاب أحداث الشرق الأوسط .. وكرر اقتراحه المعتاد بعقد لقاء عاجل بين الدول الكبرى لحل مشكلات المنطقة واجبار الأطراف المعنية على وقف اطلاق النار والانسحاب داخل حدودها .

وفى واشنطن .. بدأت الأنباء تتوالى عن اتساع جبهة القتال ، وعن امتداد القتال الى الحدود الأردنية والحدود السورية . وعندما أصبحت الساعة السابعة فى موسكو ، والثانية عشرة فى واشنطن ، بدأ «الخط الأحمر » أو « الخط الساخن » يعمل من جديد بين موسكو وواشنطن . ان الجهاز لا ينقل فى هذه المرة رسالة عادية من كوسيجين ، بل انذارا . ان نص هذه الرسالة يعيد الى الاذهان .. الرسائل الشهيرة التى بعث بها الاتحاد السوفيتى الى كل من انجلترا وفرنسا واسرائيل اثناء أزمة قناة السويس فى الخامس من نوفمبر ١٩٥٦ .

واحدثت الرسالة — فى هذه المرة — تأثيرا بالغا وجزعا حقيقيا فى البيت الأبيض ، واصبح العالم مهددا من جديد بحرب ذرية يمكن أن تنشب فى أى لحظة . واحتفظ «جونسون» بهدوء أعصابه ، وراح يضع مع «والت روستو» أسس خطة عمل على مرحلتين . وبدأ جونسون بأن أرسل رسالة الى موسكو يؤكد فيها تسلمه لرسالة كوسيجين . وفى الوقت نفسه أصدر أوامره الى جميع وحدات الاسطول السادس الأمريكى فى البحر الأبيض المتوسط بالاتجاه صوب منطقة المعارك .

وفى خلال بضع دقائق .. كانت عشرات السفن الحربية وحاملات الطائرات الأمريكية تتجه بسرعة صوب شواطىء سيناء . وكان ذلك بمثابة مظاهرة كبرى من مظاهرات القوة ، وعندما وصلت الى موسكو أنباء هذه التحركات — وكان هذا ما يريده جونسون ، الذى بدأ بعد ذلك يكتب بيده ، بمساعدة والت روستو ، رسالة الى كوسيجين أشار فيها الى تعهدات الحكومة الأمريكية بالمحافظة على استقلال اسرائيل . وفى تلك اللحظات .. لم يكن العالم فى أى وقت مضى ، منذ أزمة كوبا على مقربة هكذا من الحرب النووية .

ان «جونسون» لم يخاطر بالحرب الذرية من أجل «سواد عيون» اسرائيل ، بل خضع لاعتبارات منطقية بحتة . فقد انهالت على البيت الأبيض — طوال فترة الصباح — البرقيات التى تبرز الانتصارات المذهلة للجيش الاسرائيلى : أولا الهجوم الجوى ثم التقدم بسلاح المدرعات . ولهذا فلقد كان واضحا أن العرب سيطلبون مساعدة حليفهم الرئيسى : الكرملين . وادرك «ليندون جونسون» انه اذا نجح فى تجميد نشاط السوفيت ومنع تدخلهم فى المعارك .. فان هزيمة العرب أمام الاسرائيليين سيفسرها العالم على أنها هزيمة منكرة للاتحاد السوفيتى ، تفوق هزيمة

كوبا سنة ١٩٦٢ . كما ادرك أيضا .. ان العالم العربى الذى لحقته الهزيمة فىالحرب ، سيشعر بخيبة أمل كبيرة تجاه موسـكو وهكذا سيكون الروس فى نهاية الأمر هم أكبر المهزومين فى الحرب الاسرائيلية العربية . ان جميع الأسباب تحمل لندون جونسون على أن يتمنى النصر لاسرائيل .

وفى الوقت نفسه الذى كانت فيه الرسائل تطير بين واشـنطن والكرملين ، وقع حادث « فنى » بوزارة الخارجية الأمريكية . لقد عقد المتـحدث الرسمى مؤتمرا صـحفيا شرح فيه موقف أمريكا فى الأزمة بقوله : « اننا محايدون بالفكر والقول والعمل » . ولم يكن المتحدث الأمريكى يعلم انه ألقى بقنبلة ! .

فقد انهالت فى الحال المكالمات التليفونية الغـاضبة على البيت الأبيض ، وعشرات الآلاف من البرقيات ، كما وصلت احتجاجات من القادة الأمريكيين واليهود . وعندما علم «جونسون» بالسبب .. اجتاحه غضب شديد ، وقرر اذاعة بيان يضع الأمور فى نصابها فورا .

وفى الحال .. هرول المتحدث الرسمى ليجمع الصحفيين ويقول لهم : ان التعبير السابق .. لم يكن يعنى أن أمريكا تقف موقف الحياد وعدم المبالاة .. بل المقصود هو أن أمريكا ليست محاربة .

ولم يكتف جونسون بذلك ، بل استدعى «دين راسك» وطلب منه ان يؤكد هذا التكذيب أمام الصحافة .

* * *

فى موسكو .. كان المكتب السـياسى ـ وهو أهم هيئة فى الحياة السوفيتية ـ منعقدا منذ الصباح . وكان فى جدول أعماله مسألة واحدة هى : الحرب فى الشرق الاوسـط . وكانت المعلومات التى وصلت الى موسـكو متفرقة ومشوشة . ولم يكن السوفيت فى البداية يعرفون من الذى بدأ القتال وأين توجد الجبهة ومن الذى كسب ومن الذى خسر . وخلال ساعات .. كان الموقف قد بدأ يتضح للسوفيت شيئا فشيئا . وبعد ثمانى ساعات من المناقشات المستمرة .. رفع المكتب السياسى جلسته . ان رد فعل الولايات المتحدة الحاد على ـ رسالة كوسيجين ـ من شأنه أن يمنع من الآن فصاعدا اى تدخل عسكرى سوفيتى . وانتصر المعتدلون منأعضاء المكتبالسياسى ، واتخذوا قرارات فىنهاية الاجتماع: سوف لايصوت الاتحاد السوفيتى فى الأمم المتحدة على قرار بوقف اطلاق النار الا اذا تضمن هذا القرار نداء للأطراف المعنية بأن تسحب قواتها من الأراضى المحتلة . وفى الحقيقة .. لا تستهدف مثل هـذا التوصية سوى اسرائيل ، التى توغل جيشها فى الأراضى المصرية .

اما القرار الثاني .. فكان قرارا سرياوهو : انالعلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل سوف تقطع اذا استمرت هذه الدولة فى اعتداءاتها • ان قطع العلاقات الدبلوماسية هو عمل مظهرى . ولكى يكون له وزن ، فيجبأن تقوم به جميع دول الكتلة الشيوعية • ولم يكن قادة الاتحاد السوفيتى واثقين من ان الدول الديمقراطية الشعبية ستتبع كلها مثل هذا القرار الذى اتخذه الكرملين • فرومانيا تنتهج منذ فترة بعيدة سياسة مستقلة ، وتحاول بولندا ــ بحذر ــ أن تسير على منوالها . وحتى تتأكد روسيا من أن جميع دول الكتلة الاشتراكية ستتبع توجيهات موسكو ، قررت استدعاء رؤسائها على عجل لحضور اجتماع سرى للغاية فى العاصمة السوفيتية .



وفى مجلس الامن .. اقترح «آرثر جولد برج» المندوب الامريكى .. وقف اطلاق النار بلا قيد أو شرط ، ولكن العرب رفضوا الموافقة على قرار لوقف اطلاق النار لاينص على سحب القوات فورا . واعترض جولد برج : «ان العودة الى المواقع السابقة ــ اى مواقع ٤ يونيو ــ هى اقرار لاغلاق خليج العقبة » •

وفى الوقت نفسه الذى استولى فيه الجيش الاسرائيلى على خان يونس ورفح والعريش ، قررت الحكومة الاسرائيلية أن يسافر «أبا ايبان» الى نيويورك ليشترك فى مناقشات مجلس الامن ــ كما قررت الاستيلاء على غرب الاردن . أما على الجبهة المصرية .. فسوف يتم الانتقال الى المرحلة الثانية من الهجوم بعد فتح ممرات سيناء ، وهى الاستيلاء على شرم الشيخ وابادة الجيش المصرى فى سيناء • فقد كانت التعليمات واضحة أمام الضباط الاسرائيليين : «ان المصريين فى حالة ذهول ، اذ أن قادتهم قد أشعلوا فيهم الحماس حتى وصلوا لحالة من الهستيريا الجماعية . فاذا تمكنا منذ الالتحام الاول أن نلحق بهم هزيمة مرة .. فان روحهم المعنوية سرعان ماتنهار ، ولهذا فان المعركة الاولى هى الحاسمة» .

وفى الوقت نفسه اذاع راديو القاهرة بيانا خاصا فى السابعة و ٣٧ دقيقة من صباح الثلاثاء ٦ يونيو جاء فيه : «أيها الاخوة المواطنون •• ان القيادة العليا المسلحة تعلن أن لديها أدلة أكيدة على أن القوات الجوية الامريكية والبريطانية تشتركان فى الاعتداء الاسرائيلى • ان لدينا أدلة على أن حاملات الطائرات الامريكية والانجليزية تقوم بعمليات واسعة المدى الى جانب اسرائيل ، وعلى الجبهة المصرية .. نصبت الطائرات الامريكية والانجليزية غطاء جويا فوق القوات الاسرائيلية • أما على الجبهة الاردنية، فان هذه الطائرات تشترك فى عمليات مباشرة ، وأن محطات الرادار لديها الاثبات الكافى » •

أما فى موسكو •• فقد اجتمع المكتب السياسى من جديدة فى جلسة

طويلة ومكتئبة ، فقد تم ابادة القوات الجوية العربية وتم تدمير المطارات وانهارت الجبهتان المصرية والأردنية .

وبعد الظهر .. بعث كوسيجين برسالةالى البيت الابيض جاء فيها: ان الاتحاد السوفيتى موافق على التصويت على قرار وقف اطلاق النار بدون شرط . وخلال فترة قصيرة ـ اى فى الساعة السابعة وعشر دقائق مساء ـ وافق مجلس الأمن بالاجماع على قرار من أقصر القرارات التى أصدرها فى تاريخه ، وهو : مطالبة جميع الحكومات المعنية بأن تتخذ جميع الاجراءات اللازمة لوقف اطلاق النار ولانهاء جميع العمليات العسكرية فى الشرق الأوسط .

لقد ابتهج «ابا ايبان» من نتيجة التصويت ، فصرح بأن اسرائيل تشترط لتطبيق القرار أن يوافق عليه الطرف الآخر . وأعلن الممثلون العرب الواحد تلو الآخر أنهم يرفضون قرار مجلس الامن .

واستمرت الحرب .

* * *

كان ثالث أيام الحرب.. يتميز بسباق الدبابات الجنونى فى سيناء. لقد كان الهدف الاسرائيلى مزدوجا : سحق حشود الدبابات المصرية ، واغلاق طريق الهروب الموصل الى الضفة الاخرى لقناة السويس ، لكى تتحول سيناء الى فخ ضخم للجيش المصرى .

وفى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الرابع للقتال (٨ يونيو) كانت سفينة التجسس « ليبرتى » تمر فى البحر الابيض المتوسط جيئة وذهابا على بعد ١٧ ميلا بحريا من العريش . وتعرف السفينة ليبرتى فى الارشيف السرى للبحرية الامريكية باسم «الينك ليبرتى» وهو تعبير يرمز الى «المخابرات الالكترونية» . ويمتلىء جوف السفينة بالمترجمين والفنيين وضباط المخابرات .. الذين تم انتقاؤهم «على الفرازة» . وكانت مهمتهم الاستماع الى الاشارات اللاسلكية للجيش الاسرائيلى والجيش المصرى فى سيناء وفك رموزها . وكانت السفينة خاضعة مباشرة لوكالة المخابرات المركزية وتعمل بطريقة مستقلة .

وفجأة .. ظهرت طائرتان اسرائيليتان من طراز (ميراج) فى السماء وأخذتا تحلقان حول السفينة ، وانقضتا عليها وهاجمتاها بالصواريخ والقنابل والمدافع . وبعد ذلك بقليل وصل الى مكان السفينة ثلاث من سفن الطوربيد وبدأت فى مهاجمة السفينة . ومالت السفينة لدرجة خطيرة ، ولكن طاقمها أسدل على الفور حواجز ثقيلة من الصلب ، أغلقت بطريقة محكمة الجزء الذى أصيب ، وحالت دون تسرب المياه الى داخل السفينة فلم تغرق .

وفجأة .. رفع علم أمريكى كبير على السارى الضخم لليبرتى ،

وأصبح واضحاً أن الاسرائيليين أصابوا احدى سفن البحرية الأمريكية . ولم يبق أمام الاسرائيليين الا ان يقدموا اعتذارهم عن هذا الهجوم الذى كلف ٣٤ بحارا أمريكيا حياتهم فى نهاية الأمر .

وتبلور أكثر جوانب هذا الحـــادث ايلاما على بعد عدة آلاف من الكيلومترات .. فى البيت الأبيض الامريكى .

لقد وصلت رسالة عاجلة بشأن الحادث بعد التاسعة صباحا بقليل ـ بتوقيت وشنطن ـ وكانت الرسالة قصيرة جدا : «هوجمت سفينة أمريكية وأصيبت فى البحر الأبيض المتوسط » .

وكان الرئيس جونسون بقاعة الموقف مـع بعض مستشاريه ومعهم مكنمارا ودين راسك . وأحدثت البرقية فعل القنبلة .

لقد كان جونسون يستبد به خوف عميق من احتمال أن تقوم سفينة سوفيتية بمهـاجمة احدى سفن الاسـطول الســادس الامريكى . ولمدة بسيطة ، كان مكنمارا وراســك وجونسون .. مقتنعين بأن الســفينة الامريكية قد أصابتها غواصة سوفيتية . ووفقا لأقوال أحد الذين شهدوا هذا الاجتماع ، فان تلك كانت أرهب لحظات أزمة يونيو كلها وأخطرها . لقد قال جونسون : «ربما كنا على شفا الحرب العالمية الثالثة» .

وفى اللحظة نفسها اجتاح شاشات ردار السفن السوفيتية فى البحر الابيض المتوسط عدد كبير من النقاط المضيئة . انها أطياف عدة عشرات من الطـائرات الامريكية التى تحلق لانشـاء سـتار واق حول السفينة « ليبرتى » ولضرب من أصابها ردا على ماقام به . وساد البيت الابيض اضطراب متسم بالعصبية . لقد أصبح واجبا أن يوضع الجيش الامريكى كله فى حالة استعداد ، وكذلك القيادة الجوية الاستراتيجية ، بل وربما قواعد الصواريخ الامريكية .

هل هى الحرب حقا ؟ .

ان اللحظات القصيرة ، التى انقضت منذ تلقى البرقية ، تشــبه كابوسا جنونيا . ثم وصلت برقية ثانية ، من الحكومة الاسرائيلية مباشرة . لقد احاط الاسرائيليون رئيس الولايات المتحدة علما بأنهم هاجموا بطريق الخطأ سفينة امريكية من الجو والبحر . واعربوا عن أسفهم العميق لهذا الحادث المؤسف . وبهت الرئيس الامريكى .. فقد كان بوسع الروس ، وربمـا المصريين ، أن يهـاجموا السـفينة « ليبرتى » . اما أن يفعـل ذلك الاسرائيليون ؟ ... ورغم أن فقدان السفينة قد أذهل ليندون جونسون فانه تنفس الصعداء . ان الروس لم يهاجموا .. والحرب لم تقع .

هـذا .. علما بأن خطرا آخر كان يتهيأ فى تلك اللحظة . فالسفن السوفيتية فى البحر المتوسط كان عليها أن تخطر موســكو بالتحليق المفاجىء لعشرات من الطائرات الامريكية التى اتجهت الى سيناء ، ولا بد

من تهدئة السوفيت • ولأول مرة يستخدم الخط التليفوني الاحمر بمبادأة من جانب الولايات المتحدة . وحرر والت روستو ، وروبرت مكنمارا ، على وجه السرعة ، رسالة الى السوفيت . وهكذا أحيط كوسيجين علما بأن الاسرائيليين قد هاجموا بطريق الخطأ سفينة أمريكية فى البحر المتوسط ، وان الطائرات الامريكية قد حلقت من حاملات طائرات مختلفة لمساعدة السفينة الامريكية ، وان مهمة هذه الطائرات دفاعية بحته وليست لها أهداف هجومية ضد الوحدات السوفيتية ، ولا ضد القوات المتقاتلة فى سيناء •

وبعد ذلك بقليل .. أفاد الكرملين انه تلقى الرسالة ، وانه يقبل الرواية الأمريكية للحادث .

ان تطورات الحرب تتلاحق بسرعة .. فقد استولى الاسرائيليون على الضفة الغربية لنهر الاردن بأكملها ، واستولوا على سيناء • لقد قبلت الاردن وقف اطلاق النار وقبلت مصر ، وبدأت النيران تتزايد على الجبهة السورية •• فى هضاب الجولان •• لقد شنت القوات الاسرائيلية هجومها على خمس نقاط مختلفة فى آن واحد • وتختلف الصورة العامة للمكان عنها فى سيناء ، فلا وجه للمقارنة بينهما من حيث الارض ولا التحصينات . فالحصون المصرية كانت تبدو منيعة .. ولكن حصون السوريين أقوى بكثير . وتبدو الهضبة وكأنها تشكل حصنا واحدا ، يضم جيوبا جوفية متعددة الطوابق ، وجدرانا سميكة من الخرسانة ، وأبراجا خرسانية وخنادق لاتنتهى ، وحقول الغام ومواقع للمدرعات والمدفعية .

ومع تطور الموقف على الجبهة السورية •• وصلت رسالة من موسكو الى واشنطن عن طريق «الخط الاحمر» . وهرع «والت روستو» الى بدروم البيت الإبيض • ان هذه الرسالة التى وصلت من موسكو تختلف كثيرا عن الرسالات السابقة • ان الموقف يختلف اليوم ، فالاسرائيليون قد توغلوا فى الاراضى السورية ، والاتحاد السوفيتى قد عقد العزم على انقاذ الموقف • ان الرسالة التى نقلها « كوسيجين » الى واشنطن هذا الصباح (١٠ يونيو) تتضمن تهديدا صريحا : « اذا لم يوقف الاسرائيليون فورا عدوانهم ضد سوريا ، فان الاتحاد السوفيتى سيتدخل فى النزاع لوقف المعتدى • ان الجيش الاسرائيلى الذى يتقدم نحو دمشق يستعد لقلب نظام الحكم الديمقراطى فى سوريا ، وهذا أمر لن يسمح به الاتحاد السوفيتى • وقد أصدرت أوامر بهذا المعنى الى القوات السوفيتية التى سوف تقوم باجراء عملى بأسرع ما يمكن » •

ان الرسالة خطيرة للغاية •

ويتخذ البيت الابيض قرارا : لا بد من وقف الاسرائيليين .

ويتلقى سفير الولايات المتحدة فى تل أبيب مكالمة تليفونية تنذره

بالخطر ، كي يتدخل لدى الاسرائيليين ليطلب منهم وقف اطلاق النار بأسرع مايمكن . ومنذ أيام قليلة . . كان خبراء وزارة الخارجية الامريكية يسألون الاسرائيليين كل صباح : متى تهاجمون سوريا ؟ • اذ انه لو كان هناك نظام حكم تود الولايات المتحدة ان تشهد سقوطه ، فهو بالتأكيد نظام دمشق المؤيد للشيوعية . ولكن كل شيء قد تغير حالا ، اذ أن الروس قد يتدخلون في الحرب بين لحظة وأخرى .

ولايرى «الجنرال هويلر» رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة لجيش الولايات المتحدة هـذا الرأى ، فقد قال : «ليس علينـا ان نخشى قيام السوفيت بعمل ما . ان السوفيت لايملكون وحدات كبيرة سريعة الحركة تستطيع التدخل على الفور في المعارك الدائرة في الشرق الاوسط . لقد اعلنوا حالة الطوارىء في صفوف فرق المظلات السوفيتية ، لكنهم يدركون مدى خطورة استخدامها في هذا النزاع » .

* * *

وفى مجلس الأمن . . كانت العاصفة ، فمنذ الرابعة والنصف صباحا كانت الوفود فى اجتماع طارىء . وفى الساعة التاسعة والنصف ـ بتوقيت نيويورك ـ طلب المندوب الامريكى «جولد برج» الى مندوب اسرائيل أن ينضم اليه على وجه السرعة خـارج قاعـة الاجتماعات . . فقد تلقى المندوب الامريكى لتوه مكالمة تليفونية من البيت الابيض الذى نقل اليه نص الرسالة السوفيتية المبلغة عن طريق التليفون «الأحمر» .

لقد قال «جولدبرج» لمندوب اسرائيل: «ان الموقف خطير جداً . ففى خلال لحظات سوف يعلن المندوب السوفيتى ان بلاده سوف تتدخل عسكريا فى الشرق الاوسط اذا لم توقفـوا تقـدمكم فى سوريا • وليس بوسع الولايات المتحدة أن تقف موقف اللامبالاة من مثل هذا التصريح • ولاينبغى بأى ثمن أن تنتهى الحرب بعد مثل هـذا التصريح •• حتى ولو لم ينفذ هذا التهديد ، اذ أن الجميع سوف يعتقدون ان اسرائيل والولايات المتحدة قد استسلمتا أمام تهديد الاتحاد السوفيتى ، وعليه . . ينبغى أن تعلنوا على الفور أن بلادكم تقبل وقف اطلاق النار على الجبهة السورية • افعل ذلك على مسئوليتك . ان كل دقيقة لها قيمتها» .

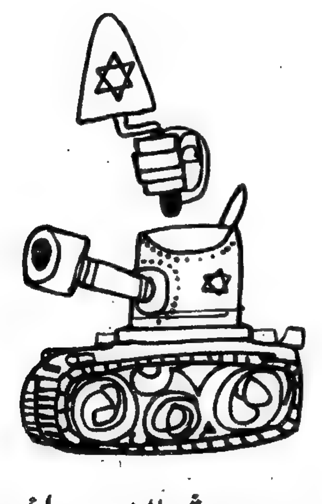
* * *

ولكن المندوب الاسرائيلى لم يفعل ذلك على مسئوليته •

فبعد قليل . . أخطرته الحكومة الاسرائيلية تليفونيا ، بأن يقبل وقف اطلاق النار بعد أن كانت قد انتهت من الاستيلاء على الجولان .

لقد انتهت حرب الايام الستة •

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



بناء الجيش الإسرائيلي

بقلم: ايجال آلون

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف ..

عندما نحاول أن نفهم التفكير العسكرى الاسرائيلى .. فان أكثر اللذين يعبران عن هذا التفكير هما : موشى دايان وزير الدفاع الاسرائيلى ، وايجال آلون نائب رئيسة وزراء اسرائيل .. وهو فى الوقت نفسه مؤلف الكتاب .

ان المؤلف يعتبر من الجيل الصهيونى الثانى الذى نشأ فى ارض فلسطين . فلقد ولد فى سنة ١٩١٨ ودرس الزراعة فى الجامعة العبرية ، ثم درس فى جامعة اكسفورد

ولقد بدأ النشاط العسكرى للمؤلف عندما عمل فى منظمة « الهاجاناه » منذ سنة ١٩٣١ ، وهى المنظمة السرية المسلحة التى اقامتها المنظمة الصهيونية فى فلسطين ، واصبحت بعد ذلك نواة الجيش الاسرائيلى عندما أعلن قيام دولة اسرائيل .

وقد تطور التاريخ العسكرى « لايجال آلون » بعد ذلك .. الى ان عين قائدا لقوات « البالماخ » .. التى كانت تقوم بالعمليات العسكرية الخاصة ضد العرب .

وفى «حرب ١٩٤٨» تولى قيادة قوات اسرائيل فى الجليل الأعلى ووسط فلسطين ومحور القدس ، ثم تولى قيادة الاحتياط ، وبعدها زعامة حزب « احدوت هاعفودا » .

الى جانب ان «ايجال آلون» اصبح وزيرا فى الحكومة الاسرائيلية منذ ١٩٦١ ونائبا لرئيس الوزراء الاسرائيلى .. وظل واحدا من الشخصيات الرئيسية فى اسرائيل .

وفى هذا الكتاب .. يركز المؤلف على تناول النظريات العسكرية ، ويتابع تطورها منذ بدات المنظمات الصهيونية فى فلسطين نشاطها المسلح ضد العرب قبل الحرب العالمية الأولى .. مع التركيز على اسلوب تطبيق هذه النظريات خلال الحروب الثلاث التى بدأتها اسرائيل ضد العرب فى ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ .

والكتاب..هو واحد من الكتب التى كان محظورا حتى الآن تداولها فى مصر والدول العربية ، الى ان صدر مؤخرا قرار باتاحة تداول هذه الكتب والرد عليها .. كجزء من تطوير ضخم فى سياستنا الاعلامية ، وايمانا بضرورة متابعة تفكير العدو الاسرائيلى اولا بأول .

* * *

انشىء « جيش الدفاع الاسرائيلى » بصفة رسمية فى يوم ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٨ . ولكن القـوة العســكرية الاسرائيلية كانت فى الواقع قد

تكونت ـ بصفة غير رسمية ـ قبل ذلك بوقت طويل ٠٠ امتد من ايام المجموعات التى تكونت من جماعات صغيرة من رجال الحراسة الى أن تطورت الى جيش حديث استطاع ان يكسب « حرب الأيام الستة » ٠

ان التكوين الحقيقى للجيش ٠٠ بدأ مع قيام منظمة «الهاجاناه» ـ وهى كلمة عبرية معناها الدفاع ٠ وقد اطلق الاسم على المنظمة السرية المسلحة التى أقامها المجتمع اليهودى فى فلسطين فى ظل حكم الانتداب البريطانى ٠ فبعد صدور «وعد بلفور» تكونت أولى الكتائب اليهودية داخل اطار الجيش البريطانى الذى يقاتل فى مسرح أحداث الشرق الاوسط خلال سنوات الحرب العالمية الاولى ٠ وكانت هذه الكتائب مكونة من متطوعين ومجندين يهود ٠٠ من فلسطين وبريطانيا وآمريكا زودوا الشباب اليهودى بفرصتهم الاولى لاكتساب مران عسكرى وتنظيم أفضل ٠ واستطاعت هذه الكتائب ـ ايضا ـ ان تجمع كمية معينة من الاسلحة الخفيفة التى ثبت فيما بعد أنها ذات فائدة كبيرة ٠

وفى أعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة ، فرض الانتداب البريطانى على فلسطين ، نيابة عن عصبة الامم ، وبدأ تطبيق اجراءات ـ وعد بلفور ـ الخاص بحق اليهود فى الهجرة والاستيطان فى فلسطين ، وخلق وطن قومى لليهود هناك ٠ ومنذ ذلك الحين ٠٠ بدأ التوتر بين العرب واليهود يأخذ طابعا سياسيا أكثر من ذى قبل ، وقد أثر الوضع الجديد تأثيرا واضحا على تطوير النظام العسكرى اليهودى ٠

وقد تميزت الفترة بين ١٩٢٠ و١٩٣٩ بسلسلة من الهجمات المتبادلة بين العرب واليهود ٠ أما موقف السلطات البريطانية ٠٠ فقد كان يسمى بموقف الحياد ، وبناء على ذلك ٠٠ أعلنت السلطات عدم شرعية المنظمات المسلحة التى اقامها المجتمع اليهودى ، ولكن اليهود ثابروا على تطويرها ٠٠ ومن ثم ظهرت « الهاجاناه » الى حيز الوجود تدريجا ، وتدعمت نتيجة لتدفق المهاجرين اليهود الذين بدأ وصولهم بأعداد كبيرة من كثير من البلدان ، وخاصة من شرق اوربا ٠

وفى البداية على الاقل ، كانت عملية تخطيط وتطوير المستعمرات الصهيونية الرائدة فى فلسطين ٠٠ محكومة جزئيا باحتياجات سياسية استراتيجية ٠ مثال ذلك ٠٠ أن اختيار موقع المستعمرات كان لايتأثر فقط باعتبارات النمو الاقتصادى ، بل ويتأثر أيضا بصفة رئيسية باحتياجات الدفاع المحلية ، وباستراتيجية التوطين على نحو شامل التى كانت تستهدف تأكيد الوجود السياسى فى أجزاء كثيرة من البلاد ، وبالدور الذى قد تلعبه مثل هذه المجموعات من المستعمرات فى الصراع الحاسم الذى قد ينشب فى وقت ما فى المستقبل ٠

وقد ادخلت هذه الاحتياجات فى التفكير العسكرى « للهاجاناه » واسلوبها فى تنفيذ سياستها ، عناصر جديدة متنوعة ـ بما فى ذلك استراتيجية عامة أكثر تجانسا اخذت فى اعتبارها الظروف المحلية ،

وتخطيطا شاملا ومرونة أكبر واستخداما للمدافع الاوتوماتيكية الخفيفة على نطاق أكثر اتســـاعا . ومع تزايد التوتر بين اليهود والعرب .. كانت امكانيات الهاجاناه تتزايد هي الأخرى . وفي تلك السنوات .. أسهمت مبادرتان مشجعتان من جانب البريطانيين في التطور بالهاجاناه الى حد كبير . وكانت المبادرة الأولى وهي الرسمية .. هي انشاء بوليس شرعى للمستعمرات اليهودية يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية :

- **عدد ضئيل من الوحدات المنظمة تقوم حكومة الانتداب البريطاني بدفع أجورها وتزويدها بالاسلحة .**
- **عدد أكبر من رجال البوليس ذوى طابع خاص .**
- **وحدات متحركة يقتصر وجودها على منــاطق معينة .. وتقوم حكومة الانتداب البريطاني أيضـــا بدفع تكاليفها .. لتكون مسئولة عن حراسة الطرق والحاصلات ، ودعم المستعمرات ، ووضع الكمائن في طريق رجال العصابات العرب .**

أما المبادرة الثانية .. فكانت غير رسمية ، ولكنها مع ذلك لا تقل أهمية عن الأولى .. تلك هي ان « رجال العصابات العرب » كانوا قد أنزلوا خســـائر فادحة بخطوط أنابيب شركة بترول العراق الممتدة الى معامل التكرير في حيفا . ونتيجة لذلك .. شــكلت وحدة يهودية انجليزية مشتركةعرفت باسم « الفرق الليلية الخاصة » بقيادة الكابتن « وينجت » لحماية هذا الخط الحيوى . وهكذا تعاون « وينجت » مع وحدات الهاجاناه المماثلة التي كانت تعمل بالفعل .

وكانت هاتان القوتان من رجال البوليس ــ الاولى شرعية والاخرى شــبه شرعية ــ تخضعان لادارة الهــاجاناه ، وتستخدمان كغطاء للتدريب والعمليات العسكرية .

* * *

ومع نهاية عام ١٩٣٦ ، أصبح واضحا أن حرب العصابات لن تنتهى بالانهيار النهائى للحشود العسكرية لأى من الجانبين : اليهود أو العرب ، اذ ان كليهما كان يعتبر غير شرعى في نظر السلطات البريطانية . وقد أدى هذا الى أن تقوم « الهاجاناه » بالتركيز على تكتيكات حرب العصابات مع استغلال وحداتها القليلة ــ التي تعترف بريطـانيا بشرعيتها ــ الى أقصى حد ممكن . وبمرور ســـنوات ٣٧ و ٣٨ و ١٩٣٩ ضاعفت الهاجاناه من مجهودها لاقامة مستعمرات ــ سابقة التحصين ــ تمثل برج مراقبة للقيام بالأعمال العسكرية ، وكان الانجـاز الأعظم يتمثـــل في تطوير المنظمة العسكرية اليهودية على أساس مناطق جغرافية استراتيجية . ولهذا فانني مقتنع بأنه يمكن **القول بأن الصهيونية قد كسبت الحرب الفلسطينية في الثلاثينات (أى قبل أن تنشب رسميا فعلا بـ ١٨ سنة) ، ولـكن العرب هم الذين كسبوا الصراع السياسى .**

وعندما بدت بوادر احتياج بريطانيا الى العرب فى الحرب العالمية الثانية ، التى أصبحت وشيكة ، ازدادت قدرة العرب على المساومة ،وانتزعوا من بريطانيا «الكتاب الابيض» (١٩٣٩) الذى تعهدت فيه بريطانيا بتثبيت العدد النسبى بين العرب واليهود فى فلسطين لغير صالح الطائفة اليهودية بشكل دائم ، وذلك عن طريق الحد الخطير من هجرة اليهود . وهكذا لاح انه ـ بالرغم من علاقة العمل الطويلة التى تربط بين اليهود والبريطانيين فى فلسطين .. فان صداما سافرا لم يكن من الممكن تجنبه على أية حال .

وأدى قيام الحرب العالمية الثانية الى وضع اليهود فى مازق خطير : ان بريطانيا تحارب ألمانيا النازية ، ولذلك يجب ان يقف معها اليهود . ولكن بريطانيا تحد من هجرة اليهـــود الى فلسطين .. ولذلك يجب أن يحاربها اليهود. ان اضعاف بريطانيـــا فى جبهة حيوية ـ مثل الشرق الأوسط ـ سوف يؤدى الى اضعافها فى حربها ضد ألمانيا النازية ، وهى العدو المشترك .

لقد حـــدد الزعيم « دافيد بن جوريون » رئيس اللجنـة التنفيذية الصهيونية هذا الموقف المتناقض على نحو لا ينسى حينما أعلن : « ســوف نخوض الحرب ضد ألمانيا كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض .. وســـوف نقاوم الكتاب الابيض كما لو لم يكن هناك حرب » .

كانت هذه السياسة .. هى نقطة تحـول جديدة فى تاريخ المنظمة العسكرية اليهودية فى فلسطين . لقـد قررت القيادة العليا للهاجاناه ـ بموافقة الهيئة التنفيذية الصهيونية العالمية ـ أن تقوم بتشكيل قوةضاربة سرية مســـتقلة تضم تسع سرايا واسمها «البالماخ» لكى تعمل فى صف بريطانيا ودول الحلفـــاء فى الشام ، وقد جاء هذا القرار متفقا مع قرار الحلفاء بغزو سوريا ولبنان فى أغسطس سنة ١٩٤١ . ونظرا لأن الحلفاء لم يكن لديهم وقت كاف للاستعداد لهذا الغزو ، فقد طلبوا الاستعانة باول سريتين من (البالماخ) كمرشدين ومخربين ووحدات متقدمة .. الى جانب القيام بعمليات التجسس خلف خطوط العـــدو ، وتم تنفيذ جميـع هذه العمليات بنجاح ، مما بعث الارتياح البالغ فى قيادة الحلفاء فى المنطقة .

ومنذ ذلك الوقت ـ حتى انتصار الحلفاء فى العلمين ـ استمر هذا التعاون غير الرسمى الذى انطوى على الاعتراف بالأمر الواقع ، وان كان فى الحقيقة مؤقتا ، بقوات (البالماخ) غير القانونية من قبل الســـلطات البريطانية ولم يحدث قط أن انضم أعضاء (البالماخ) الى الجيش البريطانى، وكان هذا بناء على رغبة مشتركة من الجانبين ، ونتيجة لاصرار (البالماخ) على ان تظل مستقلة عن البريطانيين .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، انتهت معها الميزانية الضخمة التى كانت بريطانيـــا تنفقها على (البالماخ) مقـابل التعاون المشـــترك ، وأصبحت هناك مشـــكلة .. كيف يمكن التمـويل . وقد تم حل هذه

المشكلة بتقسيم (البالماخ) الى فصائل ترابط فى المستعمرات اليهودية المختلفة ، بشرط ان يقضى افراد القوة جميعهم خمسة عشر يوما من كل شهر فى العمل فى زراعة المستعمرات ، والنصف الآخر فى التدريب ، وبحيث أن ما يكتسبونه من عمل نصف الشهر يكفى لاعالتهم الشهر بأكمله .

ولكن نهاية الحرب ادت الى مشكلة اخرى : وهى ضرورة التفرغ لمحاربة البريطانيين بعد أن انتهى التعاون معهم • وهكذا بدأ التنظيم العسكرى فى فلسطين يواجه البريطانيين • لم يكن هدف هذه الاعمال العسكرية هو تدمير القوات البريطانية فى فلسطين ، فهذا غير ممكن وغير مطلوب • ولكن الهدف الحقيقى كان تقويض مركزهم واحساسهم بالامن ومكانتهم الادبية ، وفوق هذا كله •• اقناع الحكومة البريطانية مرةأخرى والى الأبد •• انه بدون موافقة اليهود لاتستطيع بريطانيا الاحتفاظ بفلسطين كقاعدة آمنة عاملة فى هذه المنطقة الحيوية (وبذلك تتساهل بالنسبة لمسالة اعداد المهاجرين اليهود المسموح لهم بالقدوم الى فلسطين •• حيث ان اليهود ما زالوا حتى الآن اقلية ضمن السكان) • ان الاستعدادات العسكرية التى حصلت عليها من قبل بمساعدة بريطانيا خلال سنوات الحرب لمقاومة دول المحور ، أثبتت الآن انها عظيمة الفائدة فى العمل ضد البريطانيين انفسهم •

* * *

وفى تلك الفترة .. كان التفكير العسكرى (للهاجاناه) يقضى بعدم التخلى عن المستعمرات النائية بأى ثمن ، ومهما كان طول خطوط المواصلات والامدادات •• وذلك لكى تمتص جزءا **من الضغط العربى على المراكز اليهودية ، ولاستخدامها كقواعد لعمليات العصابات خلف خطوط العدو (العربى) •• كما انها ستصبح بمثابة اهداف نهائية لبلوغها عندما يحين الوقت لشن حرب شاملة فى المنطقة بأسرها ، كما كان تفكيرنا العسكرى يقضى ايضا بتجنب الاشتباكات المباشرة مع البريطانيين بعد أن حددوا موعدا لجلائهم عن فلسطين ، حتى لا نعرقل هذه الخطط •**

وفى هذه المرحلة ايضا •• أصبحت (البالماخ) رأس رمح (للهاجاناه) وجزءا منها ، كما بدأ العمل على تكوين أسلحة منفصلة للبحرية والطيران•• وكذلك تعبئة حرس داخلى يضم الرجال والنساء والشبان ، الذين تقل اعمارهم عن ١٨ سنة للقيام بأعمال الحراسة الداخلية فى المدن والقرى •

وعندما بدأت الجيوش العربية فى غزو فلسطين بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ كان التأثير السيكولوجى للغزو مثبطا للغاية • وهنا رفضت « الهاجاناه » اتباع استراتيجية دفاعية ، رغم انها لم تكن تضمن تماما نجاح الهجوم • ان التركيز على الدفاع كان معناه أن تخسر الحرب ، لأن المبادرة فى هذه الحالة سوف تكون فى يد العرب ، وسوف يسمح لهم ذلك باختيار زمان الهجوم ومكانه •

ومع ذلك فان العدو (العربى) ظفر بمكاسب هامة فى جبهتين خلال تلك المرحلة من حرب ١٩٤٨ · فبالنسبة للمصريين ·· استطاعوا أن يتقدموا على بعد ١٢ كيلو مترا من « ريحفوت » ، وأقام السوريون رأس جسر عبر الاردن فى الجليل الاعلى ، كما رابطت قوات شرق الاردن فى مدينتى الرملة واللد العربيتين · فى هذه المرحلة أمكن التوصل الى هدنة مدتها شهر واحد ، بناء على نداء من الامم المتحـدة ، وهى هدنة نفذها الجانبان اعتبارا من ١١ يونيو ١٩٤٨ · وينبغى اعتبار هذه المرحلة نصرا اسرائيليا ان لم يكن حاسما ·

لقد أصبحت دولة اسرائيل الآن معلنة رسميا ، وأصـــبحت « الهاجاناه » هى الجيش الرسمى للدولة ، الذى أصبح اسمه « زحال » ·· أى جيش الدفاع اليهودى ، كما استطاع الجيش ــ أثناء الهدنة ــ أن يحصل على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وبريطانيا · وكان معنى ذلك ·· ان المرحلة التالية ــ التى تبدأ عند انتهاء فترة الهدنة ــ سوف تكون هى المرحلة الحاسمة · ان التفكير العسكرى فى الجيش الاسرائيـــلى كان يصر دائما على أن يتمتع بميزة البدء بالهجوم والاحتفاظ لنفســه بزمام المبادرة ، بمجرد أن تنتهى فترة وقف اطلاق النار الذى فرضته الأمم المتحدة ·

ورغبة فى عدم انتهاك قرار الامم المتحدة ·· وادراكا من الجيش الاسرائيلى بأن الجيوش العربية اعتادت أن تبدأ هجومها نهارا ·· فقد قرر الاسرائيليون أن يسبقوا العدو بمجرد ســاعات قليلة ، ويشــنوا هجومهم فى اللحظة التى تنتهى فيها الهدنة رسميا ·· أى عنــد منتصف الليل · وبذلك بدأنا نحن الهجوم واحتفظنا بزمام المبادرة ·

وعلى الرغم من أن عددا أكبر من القوات أصبح يشترك الآن ضــد هدف واحد ، الا أن تكتيكات حرب العصابات لم تغفل تماما من العمليات العسكرية الاسرائيلية · وبوجه عام ·· فان كل أهداف حرب التحرير هذه تحققت جميعها · ولو لم تفرض الامم المتحدة وقف اطلاق النار للمرة الثانية فى ١٩ يونيو ١٩٤٨ لكان من المحتمل أن يستمر الهجوم الاسرائيلى دون هوادة تقريبـا · لقد استمر الوقف الثـانى لاطلاق النـار حتى ١٠ أكتوبر ١٩٤٨ ، وهنا قامت القيادة العسكرية الاسرائيلية بتصميم عملياتها العسكرية ، على أساس أن هناك احتمالا لمزيد من تدخل الامم المتحدة فى صورة وقف اطلاق النار ، لهذا ·· فان كل عملية عسكرية يجب أن تكون قائمة فى حد ذاتها الى جانب كونها جزءا من خطة شاملة ·

وفى جميع المعارك التالية ·· كانت القيادة العسكرية الاسرائيلية تصر على انه ، فى جميع عمليات الهجوم ، يجب عدم فقدان مرونة حرب العصابات والقدرة على الارتجال والقدرة على الحركة والمناورة واستخدام تكتيكات « الاقتراب غير المباشر » · ودق أسفين قوى فى جنوب رفح بالقرب من

الحدود الاسرائيلية المصرية ، بهدف فصل قطاع غزة كله عن مؤخرته ، مع ترك الخط الحديدى دون أن يمس ٠٠ أملا فى ان يضعف هذا من عناد العدو المصرى يشجعه على الانسحاب عائدا الى مصر ٠ عند هذه المرحلة، وافقت الحكومة المصرية على الدخول فى مفاوضات الهدنة بشرط أن يرفع الاسفين الاسرائيلى ، وتم هذا ، ولكنه كان خطأ ٠٠ لأنه أضعف بشدة من مركز المساوم الاسرائيلى فى المفاوضات التالية ، فتم توقيع اتفاقية الهدنة فى جزيرة رودس فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ تاركة قطاع غـــزة فى أيدى المصريين ، وتبعتها اتفاقيات هدنة مع الدول الاخرى ٠

* * *

٠٠ ان الجيش الاسرائيلى صنعته الظروف ٠ وهذا ينطبق عليه فى هذه المرحلة من تاريخه بقدر ما ينطبق عليه فى المراحل التالية ٠ ولكن تطوره الاساسى فرضه عليه العدو ٠ وبعض نواحى نجاحه كان مرجعهـا أخطاء العدوالعربى وضعفه ٠ ومع ذلك.. فان معرفة السبيل الى استغلال ضعف العدو ــ وأعنى استخدامه بصورة بناءة ــ يعد موهبة فى حـد ذاته ٠ وبالنسبة لجيش اسرائيل ٠٠ فان استخدام هذه الموهبة كان يتطلب الى جانب جهاز مخابرات متطور للغاية ، قادة وجنودا ليســوا مدربين ومنظمين جيدا طبقا للمستويات العسكرية المألوفة فحسب ، بل أيضـا مدربين بدنيا ومعنويا لمواجهة مقتضيات حرب متغيرة ٠

بقيام دولة اسرائيل الجديدة ٠٠ بدأت تضطلع بمشروعات لاستيعاب المهاجرين الجدد وتنمية الموارد الاقتصادية وتحسين الكفاءة العسكرية ٠ ولم تكن الخدمة العسكرية تعتبر على نطاق عام غاية فى حد ذاتها ، بل شرطا لا مناص منه للبقاء ٠ لذلك ٠٠ اتخذقرار حكيم يقضى بالاحتفاظ بجيش عامل صغير قدر المستطاع ، يتكون أساسا من المجندين وتشكيل دائم للقيادة مع الخبراء والفنيين المطلوبين ٠ وتقرر أن يتكون السواد الاعظم من أسلحة الجيش المختلفة من قوات الاحتياط المدربة التى تعين استدعاؤها للتدريب والمناورات لبضعة أسابيع قليلة من كل عام وفى أية حالة طارئة ٠

وكانت الفجوة ، فى كميات الاسلحة ، بيننا وبين العدو مشكلة أخرى، الا ان حلها كان يعتمد على أن نواجه هذا الكم بتفوق فى الكيف تفوقا كبيرا ومن ثم كان لزاما سد هذه الفجوة بتحقيق مستويات أعلى بكثير فى الخبرة العلمية والتكنولوجية والفنية ٠٠ وبتنظيم افضل وتطوير لخدمات الميـدان وعن طريق المهارة فى الاستراتيجية والتكتيكات ٠

وبالاضافة الى ذلك ٠٠ فقد كان هناك مبدأ خطير آخر لابد من مراعاته: وهو الاحتفاظ بزمام المبادرة دائما فى الجيش الاسرائيلى ، واعطاء أهميـة كبرى للمفاجأة بالهجوم ، لآن هذا هو الحل الوحيد لمشـكلة الضعف الجغرافى الاسرائيلى ، وهـذا يؤدى الى التركيز على قوات الطيران ٠ ان مسرح الحرب الاسرائيلية العربية فى أساســه برى ، بمعنى ان معاركه

الحاسمة سوف تدور فى البر ، ولكن التفوق الجـوى هو الذى يفتح الباب أمام حسم أى حرب بريا . لقد بدأ التفكير العسكرى الاسرائيـلى يركز النية للقوات البرية على الوحدات المدرعة التى يمكنهـا أن تقطع مسافات طويلة بسرعة ، وعلى سلاح المشاة تسانده الطـائرات ، ثم قوات طوارىء كبيرة فيها من صفات الجيش الحجم الكبير ، ومن صفات الفرق الخاصة ، المرونة .

واعتمد التفكير العسكرى الاسرائيلى أيضا ، على تطوير جهازالمخابرات من الطراز الاول ، وربطه بالعناصر المختلفة لقوات الجيش الاسرائيلى ، ودعما لهذا الجهاز .. كان لابد من اقامة شبكة فنية للانذار المبكر . أما أهمية هذا الجهاز فتبدو واضحة حينما نعلم أن الهجوم لا بد أن يكون دائما طابع العمليات العسكرية الاسرائيلية .. مهما كان الثمن السياسى الذى ندفعه فى سبيل ذلك .. كان لا بد أن تعتمد النظريات العسـكرية الاسرائيلية على « هجـوم مضاد سـابق لهجوم العدو » أو « هجوم مضاد توقعى » كما كان يسمى أيضا . وبالنسبة للعمليات العادية ، فلابد من الاعتماد على استراتيجية الانتقام الديناميكية .

كان هذا هو الاساس العسكرى عندما نشبت حملة سيناء سـنة ١٩٥٦ ان وضع الامن الاسرائيلى كان معناه شن حرب توقعية . وللتهيئة للنصر كان لا بد من ضمان تفوق عسكرى محـدد على الجبهة المصرية . الأمر الذى تطلب حشد قوات ضاربة كافية على هذه الجبهة ، من مدرعات للمشاة مزودة بالآلات الميكانيكية ووحدات استطلاعية خفيفة وقوة جوية تكتيكية ورجال مظلات ومدفعية وميدان .. حتى على حساب اضـعاف جبهات أخرى مختلفة . على ذلك كان يمكن القيام بهذه المخاطرة بفضل التعبئة الكاملة لقوات الاحتياطى ، والاحتفاظ بوحدات متحركة كبيرة فى المؤخرة لاستخدامهـا اذا اقتضت الضرورة ذلك . وتعين (فى حـرب ١٩٥٦) علينا استغلال عنصر المفاجأة الى أقصى الحدود بالنسـبة للاستعدادات وللجبهة ذاتها وتوقيت الهجوم وأسلوبه . وتمت التعبئة بسرعة وفى صمت .. فأطلقت شائعات بأن الأردن على وشـك التعرض للهجوم بينما كانت القوات الرئيسية فى واقع الأمر تحتشـد فى سـاعة الصفر تقريبا عند نقط انطلاقها على حدود سيناء .

وكان الهدف من عمليات انزال جنود المظلات ـ التى تمت سـنة ١٩٥٦ خلف خطوط الجيش المصرى ـ هو اتخاذ سيناء كنقطة للمساومة فى مفاوضات السلام مع مصر ، اذا ما قدر اجراؤها .

ولأن ما يعنينى هنا هو تطور قوة الجيش الاسرائيـلى ونظرياتـه العسكرية .. فاننى لن أسرد وصفا تفصيليا لحملة سيناء .. منتقلا الى الفترة بين حملة سيناء فى ١٩٥٦ ، وحرب الايام الستة فى ١٩٦٧ .

فى السنوات السابقة على سنة ١٩٦٧ ـ كان هناك رأى متشائم ،كان

يمكن أن يقودنا الى أخطاء قاتلة • هذا الرأى يقول ان الوقت ضدنا ••• ولصالح العرب • ان هذا الرأى كان يعتمد على أن السكان فى الدول العربية يزدادون بمعدل مخيف ، وأن مستوى معيشتهم فى ارتفاع مستمر وأن عدد شبابهم الذين يتلقون تعليما ثانويا وجامعيا يزداد باطراد •• بمعنى أن هناك تحسنا كبيرا فى النوع كان يحدث فى المجتمع العربى ، ولن يمضى وقت طويل حتى تلحق بنا الدول العربية ، وما أن يضاف الكيف الى تفوقهم العـــددى حتى تصبح قوتهم العسكرية قادرة على التغلب على اسرائيـــل وتدميرها •

وكان رأيى الخاص •• هو أن ما يهم، هو كيفية استفادة المرء من الوقت كنت مقتنعا بأننا أقوى بكثير مما كنا عليه فى الاختبارين السابقين سنة ١٩٤٨ و ١٩٥٦ • وهكذا فان الوقت حتى لم يكن ضدنا ، وانه أن يكون بالضرورة فى المستقبل القريب ضدنا لفترة جيلين على الاقل • وكان من رأيى ، أن هناك ارتباطا وثيقا بين التقدم الاجتماعى والتطور من ناحية ، والقدرة على تطبيق الخبرة العلمية والتكنولوجية التى تتطور بسرعة أكبر من النظام الاجتماعى • ولهذا فان وضع أسلحة حديثة معقدة للغاية فىأيدى مجتمع متخلف •• لايدل بالضرورة على زيادة فى القدرة العسكرية • وقد يبرهن بعكس ذلك على انه عائق وليس عاملا مســاعدا • ومن الواضح أن الزيادة السريعة فى سكان الدول العربية هى نقمة وليست نعمة •

ان الاخطاء القاتلة ، التى كان يمكن أن تقودنا اليها النظرة المتشائمة، تتراوح بين ضرورة الاعتماد التـــام على الرادع الذرى ، بانتاج القنبلة الذرية مثلا ، والاعتماد التام على دولة كبرى •

وبالنسبة للحالة الاخيرة •• فقد كانت مرفوضة تماما ، لأن اعتمادنا على دولة واحدة كبرى•• سوف يتضمن املاء سياسيا لأساليب ووسائل حل النزاع العربى الاسرائيلى بصورة قدتكون فى صالح أعدائنا• وبالاضافة الى ذلك •• فانالقوة الكبرى التىستضمن وجودنا •• قد لا تكونبالضرورة متفقة معنا دائما فى تقدير الحالة الفعلية للأمور . أما السبب الآخر فهو أن نتيجة الحرب فى أيامنا وفى عصرنا ، تتقرر فى الايام القليلة الاولى ، بل وفى الساعات القليلة الأولى أحيانا ، وبالتالى فان مساعدة حلفائنا لنا قد تأتى متأخرة ، ومن ثم لن تجدى فتيلا •

وبصفة عامة •• فانه ـ حتى الأيام السابقةعلى حرب ١٩٦٧ ـ اعتمدت النظرية العسكرية الاسرائيلية على أن اسرائيل لا بد أن تقوم فورا بحرب وقائية فى واحدة من الحالات الست التالية :

١ ـ عند حشد القوات الهجومية العربية على نحو يشكل خطرا عـلى اسرائيل •

٢ ـ حين يصبح واضحا أن العدو يستعد لشن هجوم جوى مفاجىء ضد قواعد اسرائيل الجوية •

٣ ـ في حالة التعرض لهجوم جوى ٠٠ حتى وان كان محصورا فى مكان محدد ضد منشآتنا النووية ومؤسساتنا العلمية ٠

٤ ـ حين تصل حرب العصابات الى النقطة التى يصبح معها الدفاع السلبى والاجراءات الانتقامية عاجزة عن مواجهتها ٠

٥ ـ اذا دخلت الاردن فى تحالف عسكرى مع دولة عربيـــة اخرى وسمحت للقوات العسكرية الأجنبية بالتمركز فوق أراضيها وخاصـــة على الضفة الغربية من نهر الأردن ٠

٦ ـ اذا اغلقت مصر مضايق تيران ٠

فى هذه الحالات ، أو فى أية واحدة منها ، كان لا بد من تطبيق نظرية « الهجوم المضاد التوقعى » فورا ٠٠ حتى ولو تعرضت اسرائيـــل لادانة الامم المتحدة ٠ الهجوم أولا ٠٠ ثم تقديم تفسير الى العالم بعد ذلك وهذا هو ما حدث فى سنة ١٩٦٧ ٠

* * *

فى الأيام القليلة السابقة على ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت لدى المخابرات الاسرائيلية المعلومات الحديثة عن التشكيل العسكرى للدول العربية ، وعن مواقع القوات ونواياها ، ومن ثم تسنى للقوات العسكرية الاسرائيلية أن تعدل من خططها طبقا لخطط العدو ٠

وفى ظل الظروف التى ظهرت بعد انسحاب قوات الامم المتحـــدة من سيناء واغلاق مضايق تيران فى مايو ١٩٦٧ ، قررت حكومة اسرائيل تأجيل ردها العسكرى على مضايق تيران ريثما يتم القيام بمحـــاولة دبلوماسية خاصة ٠٠ للتأكد مما اذا كانت الدول البحرية الكبرى مستعدة لفك الحصار المصرى بالقوة ٠

وكان فى رأيى ٠٠ ان هذا خطأ عسكرى وسياسى على حد سواء، لأن حرية الملاحة أصبحت اعتبارا ثانويا ، بينما التحدى الخطير يتمثل فى حشد القوات الهجومية فى سيناء الذى أعقبه دخول الاردن فى حلف عســكرى مع مصر ٠ وفى تلك الايام ٠٠ لم تكن اسرائيل تقوى على انتظار هجوم مصرى كبير قبل أن تشن هجومها المضاد ٠

كانت سيناء ٠٠ تمثل الخطر الرئيسى من حيث القوة العسكرية ٠ وكان تهديد الاردن استراتيجيا ـ جغرافيا ، اما تهديد سوريا فكان يتمثل فى قدرتها على الازعاج ٠ ولهذا كان ـ من الصائب ـ توجيه الجهد الرئيسى ضد مصر بمفاجأة استراتيجية ، لأن الجيوش (المصرية) كانت على أهبة الاستعداد ، والنوع الوحيد من المفاجأة الذى كان لا يزال ممكنا ، هو على المستويات التكنيكية والتنفيذية ، أى فى الميدان ٠٠ فى مسرح الحرب ٠

ولم يكن خافيا ٠٠ ان التفوق فى الجو هو مفتاح النصر ، حتى وان كان فى حد ذاته لا يضمن النصر • وتمكنت قواتنا الجوية من مباغتة السلاح الجوى المصرى ٠٠ رغم أننا كنا قد فقدنا منذ وقت طويل ميزة المفاجـأة الاستراتيجية • وجدير بالذكر ان السلاح الجوى الاسرائيلى لم يستطع مباغتة القوات المصرية ، الضحية الأولى للمبادرة العسكرية فحسب ، بل ايضا القوات الجوية الاردنية والسورية والعراقية •

وكان الحرص كبيرا ٠٠ على أن تكون سيناء مصيدة كبيرة للجيش المصرى •

ان شبه جزيرة سيناء ٠٠ يمكن أن تكون منطقة حاجزة بين مصر وأسرائيل ونقطة انطلاق لأى هجوم مصرى على اسرائيل • لكنها يمكن أن تصبح أيضا فخا للقوات المحتشدة فيها لشن هذا الهجوم • وقد حاولت القوات البرية الاسرائيلية ــ وخاصة المدرعات والمشاة ــ أن تعوض نفسها عن ضياع عنصر المفاجأة الاستراتيجية باستخدام سلسلة من المفاجآت التكتيكية ، وتلك التى على مستوى العمليات •

وكانت الجبهتان ــ الاردنية والسورية ــ تعتبران من الدرجة الثانية من حيث الاهمية حين بدأت الحرب • وضاعت عدة أيام من القرار السياسى من جانبنا بالنسبة لشن الهجوم على الجبهة السورية ، بسبب المغالاة فى تقدير قدرة السوريين على الصمود ، ولأنه لم يكن من المتوقع موافقـــة المصريين على وقف اطلاق النار بمثل هذه السرعة ٠٠

وفى رأيى ٠٠ أنه كان يجب على اسرائيل ان تشن هجوما على الجبهة السورية بمجرد أن تم ابطال فاعلية القوات الجوية العربية بما فى ذلك السورية • لو تم هذا ــ فى الوقت المناسب ــ لأمكن تحقيق هدف سياسى آخر عظيم الفائدة الى جانب المكاسب الواضحة الاخرى ، **فقد كان يمكن للقوات الاسرائيلية أن تجرى اتصالا مباشرا مع جماعة الدروز ، التى طال قمع دمشق لها ، وتقديم يد العون لها لتقيم جهازا سياسيا للدروز ــ أى دولة درزية** مستقلة ــ وهكذا كان يمكن لدولة من الدروز أن تكون بمثابة دولة صديقة حاجزة بين اسرائيل وكل من سوريا والاردن ، وهكذا تسهم كثيرا فى استقرار المنطقة •

لقد أثبتت حرب الايام الستة ، بصـــورة حاسمة ، بعض الفروض الاساسية المعينة التى تمسكت بها خلال الفترة السابقة وهى :

أولا : اننا فى حرب ١٩٦٧ تجنبنا ما اقترفناه من أخطاء فى حرب ١٩٥٦ ٠٠ حينما حظينا فى حرب سيناء بالتأييد العسـكرى من بريطانيا وفرنسا ٠٠ فاننا خسرنا كثيرا على الجبهة السياسية ، وهذا هو ما لم يحدث فى حرب الايام الستة •

ثانيا : ظهرت اسرائيل بانها أقوى من الجيوش العربية مجتمعة. وكان هذا مرجعه الى أن النظام الاجتماعي العربي ـ بغض النظر عن التقدم الذى حققه ـ قد فشل حتى الآن فى أن يتقدم بالقدر الكافى فى ميدان التكنولوجيا العسكرية الحيوية . ولم يكن هناك أى وفاق اجتماعى أو شعور بالوحدة الوطنية داخل آية دولة عربية . بل كانت السمة المميزة السائدة هي الغش والكذب ، فكان الحكام يكذب كل منهم على الآخر .. والوزراء يدبرون المؤامرات للاطاحة برفقائهم ، والضباط ينزعون الى خديعة رؤسائهم كما يخدع الجنود ضباطهم . ولم يستطع كبار المسئولين فى الحكومة أن يكونوا امناء كل منهم مع الآخر .. أو حتى مع أنفسهم .

وبالمقارنة .. كانت اسرائيل مثالا للانسجام والحضارة . فهى أساسا متحدة ، وبالرغم من مشاحناتها الداخلية العنيفة ، فانها تتسم بالتفكير المستقل وتحظى بمساندة التضامن اليهودى فى جميع انحاء العالم ، واثبتت أن الكيف ـ على مستوى الفرد والمجتمع ـ يتفوق على الكم .

ثالثا ـ كذلك برهنت حرب الايام الستة بصورة قاطعة .. على أن نظرية الهجوم المضاد التوقعى قد ضمنت بفاعلية أن تنتزع اسرائيل زمام المبادرة من العدو . ولقد تعلمت من هذه المرة ـ والى الابد ـ أنه لا بديل لاسرائيل في حربها مع أعدائها العرب سوى أنها تمسك بزمام المبادرة مع رفض الدفاع السلبى بشدة .

والآن ، حين أرى الموقف بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ـ فان هناك وقفة هائلة نحو اعادة تسليح الجيوش العربية مرة أخرى . ففى مستهل عام ١٩٦٩ استعاد سلاح المدرعات المصرى ـ بفضل الامدادات السوفيتية السخية ـ ما كان عليه من قوة عشية حرب الايام الستة ، وأصبح السلاح الجوى المصرى بنسبة ٥٠٪ ومن المؤكد أنه خلال سنة بعد ذلك سوف تبلغ المدرعات المصرية ١٥٠٪ والسلاح الجوى المصرى ٢٠٠٪ من قوته قبل الحرب .

ومع أن هناك الآن خطوطا واضحة لوقف اطلاق النار ، الا أنه فى رأيى انه ـ فى مواقف معينة ـ سوف يكون من واجب اسرائيل ـ بل وستجد نفسها مضطرة بجدية ـ الى أن تبحث ضرورة عبور خطوط وقف اطلاق النار ، سواء كان هجوما مضادا توقعيا على نطاق ضيق أو واسع .. فى غزو قصير الأمد أو فى عملية أكثر امتدادا .. وهذه هى المواقف الرئيسية :

- **أولا : فى حالة التعرض لهجوم محدود أو شامل .. أو فى حالة اكتشاف أن العدو يستعد بنشاط لهجوم جوى أو بالصواريخ واسع النطاق على أهداف حيوية فى اسرائيل .**

- **ثانيا : فى حالة تعذر وقف نشاط الارهابيين بوسائل محدودة**

● ثالثا : فى حالة تدخل العدو فى ملاحة اسرائيل فى البحـــار المفتوحة وفى المضايق ، أو الممرات الضيقة للبحر الاحمر ٠

● رابعا : بهدف تحقيق المعونة لحلفاء ظاهرين او مستترين ، فعليين او محتملين فى دولة او اخرى من الدول العربية ٠

● خامسا : فى حالة تغيير الوضع الراهن لدولة مجاورة على نحـو يهدد اسرائيل بخطر محقق ٠

كتب إسرائيلية ممنوعة من التداول



مستقبل إسرائيل

تأليف : شاؤول فريدلاندر

بالنسبة لنا ــ نحن الاسرائيليين ــ فان الكراهية المنصبة على الاسرائيلي تجعله يبدو كالغريب تماما فى نظر العربى ٠٠ وكانه ركيزة لقوى الشر فى العالم أجمع ، فضلاً عن اتسامه هو بالقسوة والخداع الشيطانى ٠ وهكذا يرى العرب ان اسرائيل دائمة الحديث عن السلام منـــذ عشرين عاما ، ولكنها هاجمت جيرانها مرتين فجاة ٠

وبالاضافة الى ذلك ٠٠ فان الضمير العربى يزداد يوما بعد يوم اقتناعا بأن اسرائيل أداة للاستعمار الغربى ٠ وهكذا يصبح احتمال الهزيمة العربية اقل قسوة ، اذ انها لا تاتى على يد الدولة اليهودية الصغيرة وحدها ، بل على يد الغرب الاستعمارى كله ٠ ان هــذا التفسير العقلى للأحداث يسمح للعالم العربى بأن يؤمن بالنصر النهائى ٠٠ نظرا لأن تقدم التاريخ سيؤدى الى انهيار الامبريالية الغربية ان عاجلا او آجلا ٠

ومن الصعب أن نتحدث عن سياسة عربية مشتركة ، حتى بالنسبة للمشكلة الفلسطينية ، الا أن هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ قد عجلت ببلورة اتجاهات متباينة تتعلق بالتكتيك الواجب اتباعه تجاه اسرائيل ٠ ففى العالم العربى اليوم هناك ثلاثة مواقف تكتيكية بالنسبة لاسرائيل ٠

الموقف الأول : تؤمن به مجموعة يصعب تقدير اهميتها ، وهى مستعدة للبحث فى حل سلمى ، وهى تعتبر أن المفاوضات هى الوسيلة الوحيــدة لاستعادة جزء من الأراضى التى فقــدت فى يونيو ١٩٦٧ ٠ وعلى مستوى رؤساء الدول ، يتخذ كل من الرئيس التونسى بورقيبة وحسين ملك الأردن هذا الموقف ٠

الموقف الثانى : يؤمن بأنه « لا تفاوض ولا اعتراف ولا صـــلح مع اسرائيل ، وكذلك لا مساومة بشأن مستقبل أراضى وشعب فلسطين » ٠ وهذا الموقف بسيط ، اذ يرى أن الوقت فى صالح العــرب وأنه يمكن استعادة جميع الأراضى التى فقدت فى يونيو ١٩٦٧ ، بفضل اعداد سياسى وعسكرى صبور ٠

الموقف الثالث : يؤمن بأن نشوب حرب تقليدية جديدة مع اسرائيل امر غير ممكن فى المستقبل المباشر ، لهذا فان أصحاب هذا الموقف يؤمنون بأن الحل هو حرب العصابات ٠ وهــذا القطاع من العرب نفد صبره من الأساليب الدبلوماسية حتى باعتبارها تكتيكا مرحليا ٠ وأبرز الذين يمثلون هذا الموقف منظمة « فتح » ٠٠ أشهر حركات المقاومة الفلسطينية ٠

ولكن ما هى سياسة اسرائيل تجاه المواقف العربية ؟

لقد قيل ان اسرائيل ليست لديها سياسة خارجية حقيقية ، لأن هذه السياسة تتحدد بصفة جوهرية وفقا لاحتياجات أمن الدولة الملحة • وذلك صحيح الى حد ما • ولكن هناك ، من البداية ، موقفان متطرفان ومختلفان بالنسبة للرأى العام داخل اسرائيل ، وهما :

الموقف الأول : يؤمن به مجموعة من اليساريين ودعاة السلام المخلصين وهم مستعدون بدون شك، الى تقديم كافة التنازلات كمبادرة أولية من قبل اسرائيل ، مثل الأراضى المحتلة بما فى ذلك القدس القديمة وقبول جزء من اللاجئين على أمل أن يختفى شك العرب تجاه هذه النوايا الطيبة ، واعلان الجانبين المتخاصمين عن استعدادهما للتفاوض من أجل الوصول الى صلح قانونى • ولا تضم هذه المجموعة سوى اقلية ضئيلة ، الى جانب أعضاء حزب « ركاح » الشيوعى الموالى للسوفييت ، وجماعات صغيرة للغاية مثل جماعة « ماتزين » • وكل المؤمنين بهذا الموقف لا تزيد نسبتهم من مجموع السكان على ٢٪ او ٣٪ •

الموقف الثانى : وهؤلاء هم الذين يرفعون شعار المطالبة بكل أرض اسرائيل •

وهى التى تمتد ــ من النيل الى الفرات • وهذه المجموعة تضم عناصر من اليسار واليمين ، لم يكن بينها أى اتصال قبل حرب يونيو ١٩٦٧ • ولكن هدفا مشتركا جمع بينهم فجأة • وأعضاء هذه المجموعة يمكن تقديرهم بعشرة فى المائة من السكان •

ولكن ، بينما يمكن تصور زيادة المؤمنين بالموقف الأول ، فان من المحتمل جدا أن تحدث زيادة واسعة للمؤمنين بالموقف الثانى •

الموقف الثالث : وتؤمن به الأغلبية الكبرى من السكان ، وتعبر عنه الحكومة رسميا بناء على المبدأ الأساسى التالى : « ان اسرائيل مستعدة للتخلى عن جزء من الأراضى المحتلة •• مقابل اعتراف صريح من البلدان العربية بها وتوقيع معاهدات صلح رسمية معها •• بشرط أن تلبى الحدود الجديدة احتياجات أمنها » ونظرا لأن الأراضى المحتلة تشكل ميزات رئيسية بالنسبة لاسرائيل فى حالة حدوث مواجهة عسكرية جديدة ، فان الجلاء عنها لا يمكن أن يكون شرطا مسبقا للمفاوضات ، بل لا بد من توقيع معاهدة صلح أولا •• ثم بعدها يتم الجلاء •

لقد رأينا من قبل نظرة العرب الينا ــ نحن الاسرائيليين ــ والآن ، فان نظرة الكثير منا ــ نحن الاسرائليين ــ الى العرب يحكمها شعور بالتفوق ، لأن كثيرا من الاسرائيليين يعتبرون المجتمع العربى بدائيا ومتخلفا •• بل وفى حالة انحلال • فاذا كانت هذه هى النظرة المتبادلة ، فهل يمكن أن يكون للدول الكبرى موقف يفرض على الطرفين حل النزاع ؟

ان من الصعب تقييم الاثر الحقيقي للدول العظمى على النزاع الاسرائيلي العربي . لقد خلقت دولة اسرائيل بفضل توافق موقف كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وكان الروس هم الذين مكنوا الاسرائيليين من الصمود خلال الشهور الاولى من حرب عام التحرير في ١٩٤٨ . كما أن الأمريكيين هم الذين أجبروا القوات الاسرائيلية على الجلاء عن منطقة العريش في سيناء في نهاية تلك الحرب نفسها .

وفى ١٩٥٦ أدى التوافق بين موقفى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى انقاذ مصر من الانهيار (كما سبق أن أدى الى انشاء اسرائيل فى ١٩٤٨) وتحولت هزيمتها الى نصر سياسى ونفسى . وكان الروس هم الذين تسببوا فى اثارة سلسلة الحوادث التى انتهت الى حرب يونيو ١٩٦٧ ولكن ليس بامكان أى من الأمريكيين أو الروس منذ ذلك الوقت أن يبدلوا الموقف الجديد الناتج عن النصر الاسرائيلي . ويبدو لى أن أزمة عام ١٩٦٧ وآثارها قد أوضحت حدود سلطة الدول العظمى فى الشرق الأوسط ، مهما كان نفوذها الحقيقي في هذه المنطقة فى الماضى ، وترجع هذه الحدود الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بتحييد أحدهما الآخر .

ولو بدانا بمصالح الاتحادالسوفيتي فى المنطقة .. فان هناك أهدافا عاجلة متعددة له ، هى منع الغرب من تثبيت اقدامه مرة أخرى في مصر وسوريا في حالة تغيير نظام الحكم بهما ، وتحييد وجود الاسطول السادس الأمريكي ، والالتفاف حول التنظيم الدفاعي لحلف شمال الاطلنطى وكذلك اجبار الامريكيين على تقسيم الشرق الأوسط الى منطق نفوذ مما سيدعم الوجود السوفيتي فى الأجل الطويل .. ومن ثم فان الابقاء على التوتربين اسرائيل والدول العربية، يعتبر شرطا لازما لتعاون هذه البلدان معها . كما أن من شان حسبة اضافية أن تشجع موسكو على استغلال التوتر ، اذ من غير المستبعد أن يتوقع الروس دخول الولايات المتحدة في مرحلة انعزالية جديدة عقب تسوية النزاع الفيتنامي ، وانسحابهم من كافة مواقعهم المحيطة بهم للاحتماء داخل القلعة الأمريكية . ولا شك أن الروس مخطئون في هذا الاعتقاد .. ويعتقد الاتحاد السوفيتي أن المجال سيكون عندئذ خاليا امامه في الشرق الأوسط وبصفة خاصة ، ان الابقاء بصفة منتظمة على التوتر فى المنطقة سيؤتى بثماره .

ولكن مثل هذا الموقف له مخاطره ، أبرزها حدوث تصعيد فى حالة نشوب نزاع محلي . ولنتصور مثلا وقوع حادثة في منطقة قناة السويس تؤدى الى استئناف القتال بين اسرائيل ومصر . فمن الصعب على الاتحاد السوفيتى أن يسمح بوقوع هزيمة عربية ثانية ، اذ أن ذلك قد يهدد بالقضاء على المراكز التى اكتسبها فى العالم الثالث ، نتيجة للضربة التى ستلحق بمكانته .

ويبدو أن سياسة « الكرملين » تهدف الآن الى الابقاء على حالة محمومة

من التوتر، لا نستبعد معها ــ كما رأينا ــ وقوع تدخل من الاتحاد السوفيتي في ظل بعض الظروف، كما تهدف الى تحاشي التدخل عسكريا بقوة بسبب مخاطر تصعيد الموقف ، واستغلال خيبة الامل التي تشعر بها البلدان العربية للتغلغل فيها على مستوى كبير ، والسعي الى التوصل لحل وسط للنزاع في الشرق الأوسط مع الولايات المتحدة في ظل بعض الظروف العالمية دون التخلي عن المواقع التي اكتسبها في العالم العربي ٠

واذا كانت روسيا تؤيد موقف العرب ايجابيا ، ولا يستبعد قيام العرب بعمل عسكري محدود ٠٠ فان أي ضغط روسي قد يضع اسرائيل في موقف صعب ، ولكنه لن يكون كافيا في حد ذاته لاجبار اسرائيل على تغيير سياستها ٠ **اذن ما هو موقف أمريكا ؟**

ان موقف أمريكا تحكمه تناقضات وضروريات متعارضة ٠ ان مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في البلدان العربية هي أكبر جدا من مصالحها في اسرائيل ٠ وبينما تفرض مصالح أمريكا عليها ان تتخذ موقفا مختلفا ٠٠ فانها تؤيد اسرائيل لأسباب أخرى غير مجرد المصالح ٠٠ أسباب عقائدية ٠٠ وأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية لأمريكا نظرا لأهمية الناخبين اليهود في الحياة السياسية الأمريكية ٠ ومن المؤكد ان رفض أمريكا اتخاذ موقف معاد من الدولة اليهودية ، قد سهل من مهمة الروس في مصر وسوريا ٠

وبالنسبة للموقف الآن ٠٠ فمن الجائز أن يكون الامريكيون مستعدين للقيام بتنازلات في الشرق الأوسط ، وأن يحاولوا فرض تسوية على اسرائيل عن طريق المفاوضات ، وفقا لما يشترطه الاتحاد السوفيتي ٠٠ وذلك في مقابل سعيها الى التوصل الى اتفاق مع موسكو في الشرق الاقصى وبشأن مشكلات نزع السلاح ٠ ولكن يحتمل أيضا أن انسحاب أمريكا من فيتنام قد يدفعها الى المراهنة على أنها لن تضحي بمصالح البلدان التي كانت تساندها في المناطق الاستراتيجية الاخرى ٠

وهناك احتمال ثالث ، وهو أن التدخل السوفيتي في تشكوسلوفاكيا وفشل المفاوضات الخاصة بفيتنام قد يتسببان في زيادة التوتر العالمي واتباع أمريكا لسياسة أكثر تشددا في الشرق الأوسط ٠

ويبدو أن الولايات المتحدة ، تهدف الى تحاشي نشوب نزاع مسلح في المنطقة ، والابقاء على مصالحها القائمة واستعادة مكانتها في العالم العربي ، كما تهدف الى تشجيع الظروف المؤدية لتفاهم عالمي مع الاتحاد السوفيتي وفي الوقت نفسه ، عدم التضحية بالمصالح الحيوية لاسرائيل ٠ أن أمريكا لا تود اضعاف اسرائيل بصورة قد تعرض وجودها للخطر ٠٠ ولكن لايبدو أن وزارة الخارجية الامريكية تعتقد ان مبدأ التوقيع على معاهدة الصلح يعتبر ضرورة ملحة ، ويبدو أيضا أن أمريكا لا توافق على موقف اسرائيل بالنسبة للقدس ٠ وقد استغل الضغط الامريكي ، بصفة خاصة ، احتياجات اسرائيل الملحة في مجال التسليح الجوي ، وأجبرها على التخلي عن المفاوضات

المباشرة على الاقل في المرحلة الاولى للاتصالات مع العرب • ولكن الامر لم يكن متعلقا بمصلحة حيوية لاسرائيل، على عكس معاهدة الصلح• وقدتجبر واشنطون اسرائيل نظريا على الرضوخ على طول الخط ، ولكن هذا الاحتمال نظرى بحت •• اذ يجب أن نضع الرأى العام الامريكى فى الاعتبار •

ويبدو أن اقصى ما يمكن أن تفعله أمريكا ضد اسرائيل •• هو أن تظهر تشددا أكبر فى الأمم المتحدة أو مجـال تزويدها بالأسلحة . **ولن يكون ذلك كافيا لحمل اسرائيل على تغيير سياسة تعتبرها نابعة من مصالحهـا الحيوية • مصالح لا يمكن لاسرائيل أن تتخلى عنها الا اذا أقدمت الولايات المتحدة على مباشرة ضغط شديد جدا عليها • غير انه من المستبعد تصور وقوع هذا الضغط •**

وهكذا •• فان من المحتمل أن يؤدى العمل الدبلوماسى لروسيا وأمريكا الى اجبار الدول العربية واسرائيل على تعديل بعض من مواقفها التاكتيكية • بل ان هناك احتمالا فى أن يؤدى هذا العمل الى بدء اجراء مفاوضات ••ولكن من المشـكوك فيـه أن يؤدى الى تخلى الطرفين المعنيين عن مواقفهمـا الأساسية .

وتدفعنا هذه الاعتبارات العامة فى ذاتها •• الى بحث حالتين خاصتين ، وهما موقف اسرائيل تجاه مصر وموقفها تجاه الأردن •

ففى بداية سنة ١٩٦٨ تردد الحديث عن احتمال التوصل الى تسوية مؤقتة بين مصر واسرائيل ، وخلال الشهور التالية اتضح التاكتيك المصرى بصورة أكبر • ومنذ ذلك الوقت يسير المصريون على خطين متوازيين، يجب الاعتراف بأنهما لا يخلوان من الفعالية • فهم من جهة •• يثيرون من وقت لآخر بعض الحوادث فى منطقة قناة السويس ليثبتوا للعالم أن الموقف الراهن يشكل تهديدا للسلام ، وأن جلاء اسرائيل عن الاراضى المحتلة يعتبر الوسيلة الوحيدة لضمان الهدوء . ومن جهة أخرى يشيعون مشروعات مختلفة تتضمن بعض التنازلات ، مع علمهم مقدما بأن أسرائيل سترفضها ولا يمكن أن توافق عليها .. مما يضع اسرائيل فى موقف دفاعى على الصعيد الدبلوماسى وفى هذه الأثناء تستعد مصر لاحتمال نشوب حرب جديدة .

أما بالنسبة للأردن •• فان من المحتمل ، بل ومن المقبول ، التوصل الى معاهدة صلح فى هذه الحالة الخاصة والمحدودة ولكن هذا الأمر غير مؤكد على الاطلاق لأن هناك أربع عقبات رئيسية . فأولا ــ اعتراض مصر . ان اسرائيل تعرف ان أى سلام على المدى البعيد مع العالم العربى يجب أن يمر بمصر . وان التوصل الى اتفاق مع الأردن وحده يحتمل الا يكتب له الاستقرار . واذا كان موقف القاهرة مهما بالنسبة لاسرائيل، فانه أكثر أهمية بالنسبة للملك حسين .. لخوفه من العناصر الموالية لمصر داخل الأردن ، ومن المنظمات الفدائية .. هذه هى العقبة الثانية . وأخيرا هناك عقبة احتياجات الأمن الاسرائيلى ، وعقبة القدس .

وهكذا ٠٠ فاننا نواجه نوعا من الديناميكية المستقلة للنزاع بيننا وبين العرب • هناك (رفض) يهودى فى مواجهة (الرفض) العربى • وحتى الآن كان العرب هم أكثر من خسر فى هذا التسلسل من الرفض ، ولكن الخاسرين سيكونون من الجانبين فى الأجل الطويل • وهكذا فانه من غير المحتمل على الاطلاق ظهور امكانيات سلام حقيقى بين اسرائيل والعالم العربى ٠٠ أو على الأقل مع مصر ٠٠ أهم دولة فى العالم العربى • اذن ٠٠ فى هذه الحالة ٠٠ طالما ان احتمالات السلام منعدمة ٠٠ هل هناك احتمالات للحرب ؟

ان الهزيمة المصرية أمام اسرائيل فى سنة ١٩٦٧ كانت فادحة • وبالاضافة الى الأسباب العسكرية والسياسية التى وضعت الجيش المصرى فى موقف صعب جدا من البداية ٠٠ فان هناك عوامل أخرى نفسية • ان أخطر عامل سيكولوجى فى الهزيمة العربية يكمن فى ضعف الصلات الاجتماعية التى تربط بين العربى وأخيه العربى ، ونتيجة لهذا العجز فى البنيان الاجتماعى ، يجد كل جندى عربى نفسه يحارب فى الأوقات الحرجة للمعركة كفرد معزول لا باعتباره عضوا فى مجموعة • لذلك فان كل فرد يميل الى الاهتمام بنفسه اولا ، فتتحلل الوحدة • وقد سئل قادة بعض الجماعات العسكرية عندما وقعوا فى الأسر عن اسماء رجالهم ، فقالوا انهم كانوا يكتفون بمعرفة اسم قادة السرايا ، وكانوا يعتبرون سؤالهم عن اسماء الرجال الذين خدموا تحت امرتهم اهانة لهم •

وصدم الاسرائيليون عندما لاحظوا الهوة التى تفصل بين الضباط بعضهم عن البعض ، وأحيانا كراهيتهم المتبادلة لبعضهم البعض ٠٠ حتى وهم فى الاسر • فقد كان كل منهم يلوم الآخر بانه لم يقم بواجبه ، كما لو كانوا هم قد تصرفوا بطريقة مرضية •

وتشير دراسات أخرى خاصة بالمجتمع العربى ٠٠ الى أن العامل الثانى الذى ساهم فى انهيار العرب هو موقفهم تجاه الحقيقة والواقع • ان المرء ليصعق من كثرة الأكاذيب التى يرددونها فى حياتهم العامة . ومن امثلة تلك الكذبات الكبرى .. هذه المزاعم التى قالت ان الطيران المصرى دمر نتيجة لهجمات أمريكية وبريطانية . وقد حدث فى سيناء أن وقعت بعض الوحدات المصرية فى الأسر نتيجة لانباء مضللة اذاعهـا راديو القاهرة عن انتصار الجيوش العربية ، فقد كانت سياسة الاعلام المصرى ابان الحرب ضد المصالح المصرية بأكثر مما هى معها .

ولكن ٠٠ هل تعتبر نقاط الضعف هذه ملازمة حقا للمجتمع العربى وتقاليده الثقافية واتجاهاته السيكولوجية العميقة ؟ وهل تستطيع اسرائيل ان تستمر فى اعتمادها على نقاط الضعف هذه ؟ اننى أشك فى ذلك • فاذا أمكن لاسرائيل ان تعتمد فى الاجل القصير والمتوسط ــ اى فى السنوات المقبلة ــ على نقاط الضعف العربية السابقة ، فانه من الخطر ان تعتمد على ذلك لفترة أطول •

ان من الممكن ـ بل من المحتمل ـ أن يشن العرب حربا جديدة ضد اسرائيل ، في شكل هجوم مفاجيء • أن الذى يجعل هذا الاحتمال نظريا بأكثر مما هو واقعى •• هو مدى قدرة العرب على التغلب على المخابرات الاسرائيلية التى قد تكتشف مثل هذه الخطة في الوقت المناسب ،والتغلب على الرادار الذى قد يكشف الطائرات المصرية •• بعد أن أصبح عليها منذ يونيو ١٩٦٧ أن تقطع مسافة كبيرة نسبيا لبلوغ الاراضى الاسرائيلية وأخيرا فانه قد يكون من الصعب تدمير الطيران الاسرائيلي وهو رابض على الأرض لأسباب فنية عديدة ، منها مثلا حالة الطوارىء شبه الكاملة التى تطبق على هذا السلاح •

ومن ناحية أخرى •• فان اسرائيل لا يمكنها ان تفرض الصلح على العرب عن طريق احراز انتصارات جديدة • ان اسرائيل أملت مرتين ـ ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ فى فرض السلام على العالم العربى عن طريق هزيمته عسكريا، ولم يتحقق املها في المرتين ، وقد يستطيع الجيش الاسرائيلى أن يدمر الجيوش العربية في القتال ، أو أن يحتل في الحالات القصوى كلا من عمان ودمشق والقاهرة ، بل انه قد يتمكن من البقاء لفترة ما فى عمان ، ولكن لا يمكنه أن يبقى فى دمشق ، أو فى القاهرة بصفة خاصة •• وقد اضطرت اسرائيل منذ حرب الأيام الستة واحتلال الأراضي الجديدة •• الى مد فترة التجنيد الالزامى الى ثلاث سنوات ، فضلا عن أن جنود الاحتياطى يستدعون للخدمة العاملة شهرين كل عام تقريبا • ان هذا أقصى ما يمكن أن يقدمه سكان البلاد واقتصادها • ومن الواضح أن هناك استحالة فنية بالنسبة لجيش بعدد جيش اسرائيل في مد رقعة الأراضى التى يحتلها لفترة طويلة ، خاصة بالنسبة للمناطق المكتظة بالسكان كمشارف دمشق ودلتا نهر النيل• وهذه معطيات تعرفها اسرائيل كما يعرفها العرب ، وقد تقودنا الى استنتاج بسيط ، هو أن هناك حدودا لفعالية استخدام قوة اسرائيل العسكرية •

بعد ذلك هناك سؤال : هل يحتمل تدخل الاتحاد السوفيتى عسكريا لصالح العرب ؟

ان هذه الفكرة قد تبدو طبيعية داخل الجيش السوفيتى ، عندما نعرف أنه ابان الغزو السوفييتى لتشيكوسلوفاكيا •• خرجت انباء تشير الى أن الجنود الروس كانوا قد اخبروا قبل ذهابهم الى تشيكوسلوفاكيا انهم متوجهون الى مصر لمحاربة اسرائيل •

ولكن من المعقول هنا أن نقول ان أقصى ما يستطيع الروس أن يفعلوه بشكل مباشر هو التدخل المحدود جدا •• وحتى هذا الاحتمال ضعيف للغاية نظرا للوجود الامريكى فى المنطقة • اذن •• هل تتدخل أمريكا ؟ ان الواضح انها قد تتدخل فى حالة واحدة فقط ، هى عدم السماح بتدمير اسرائيل ، ولكن هناك احتمالا اقل بالنسبة لتدخل أمريكا فى حالة وجود

عمل عسكرى محدود يهدف الى اجبار اسرائيل على الجـلاء عن الأراضى المحتلة ٠

والآن ، نظرا لأنه من غير المحتمل اقرار سلام قريب بين اسرائيل ومصر أقوى جاراتها العربية ، فان الدولة اليهودية ستكون مضطرة الى تركيز جل اهتمامها لفترة طويلة على مشكلات الأمن ٠ ان أمن اسرائيـل يتوقف بطبيعة الحال على مجموعة من العوامل من بينها الحصـول على أسلحة جديدة أو صنعها ، والمفاهيم الاستراتيجية لهيئة أركان الحرب وتدريب القوات المسـلحة وتنظيم الامدادات والتموين بالجيش وتنظيم اقتصاد الحرب وأجهزة المخابرات العسكرية وغيرها .. وهذه موضوعات نتركها للاخصائيين لنركز على بعض المشكلات الأساسية .

من هذه المشاكل مصير الاراضى المحتلة ٠ فلو بدأنا بالمرتفعـات السورية التى تحتلها اسرائيل الآن ، فاننا سنجد انها تطل مباشرة على القرى الاسرائيلية الواقعة فى منطقة بحيرة طبرية ووادى نهر الاردن ٠ وخلال عشرين عاما دأب السوريون على مهاجمة السـكان الاسرائيليين فى الوادى وعلى ضفاف البحيرة بصفة متقطعة ، من فوق هذه المرتفعات التى كانت تبدو وكأنها غير قابلة للسقوط ٠

ومن الواضح ان هـذا الموقف يجب الا يتكرر ٠ ان من بين الحلول الممكنة لهذا الموقف نزع سلاح مرتفعات جولان ووضعها تحت اشراف دولى ولكن المعروف أنه من الصعب أن نعتمد ـ كاسرائيليين ـ منذ مايو ١٩٦٧ على دوام الاشراف الدولى ، خاصة وان كثرة تغير نظام الحكم فى سـوريا قد يجىء مرة بحكومة تضمن الابقاء على نزع سـلاح هذه المنطقة ، ومرة أخرى بحكومة تلغيه ٠

ومن ثم ، فانه من الواجب وجود اشراف اسرائيلى ٠ ان الاشراف عـلى جولان لا يعتبر ضمانا بالنسبة لأمن قرى وادى الاردن فحسب ، ولكنـه سيضمن للاسرائيليين أيضا بأنهم باحتلالهم لهذه المنطقة الصغيرة التى تقل مساحتها عن الف كيلومتر سيجعلونها منطلقا استراتيجيا أساسيا للزحف جنوب دمشق فى حالة استئناف القتال مع سوريا ، ومهاجمة الأردن من الخلف ٠ كما أن الاشراف على مرتفعات جولان ، يعنى أيضا الاشراف على نهر بانياس وسد المخيبة ، مما يسمح بمنع أية محاولة عربية جديدة لتحويل مياه نهر الاردن (الذى يعتبر مصدرا آخر للنزاع) ، ومبـاشرة الضغط على الأردن اذا ما لزم الأمر ٠ فضلا عن أن خط انابيب شركة ارامكو الناقلة للبترول السعودى الى مصافى سوريا يمر بهذا الاقليم ، مما يعتبر ضمانا هاما للابقاء على السلام فى أيدى اسرائيل ٠

وهكذا يبدو أن الاشراف على المرتفعات السورية ، يعتبر ورقة أساسية بالنسبة لنا ــ نحن الاسرائيليين ــ ولننتقل الآن الى صحراء سيناء ٠ ان وجود اشراف مصرى من طرف واحد على سيناء كلها قد يسمح لحكومةالقاهرة

اذا ما رغبت فى استئناف القتال ـ كما فعلت فى ثلاث مرات فى الماضى ـ أن تحشد قواتها بالقرب من الحدود الجنوبية لاسرائيل ٠٠ مهددة فى كل وقت بشطر النقب الى قسمين والتوغل صوب منطقة تل أبيب الساحلية ٠ وقد تقرر اغلاق مضيق تيران من جديد ٠ ففى حالة وقوع هجوم جوى مصرى ترتفع فترة الانذار من أربع دقائق الى سبع وعشرين دقيقة ٠ وبينما كان فى امكان أجهزة الرادار المصرية الموجودة فى العريش ونقاط أخرى من شمال سيناء قبل يونيو ١٩٦٧ أن تتتبع من الناحية النظرية كل حركة جوية فى اسرائيل ، فانها فى هذه المرة أجهزة الرادار الاسرائيلية الموجودة على ضفاف قناة السويس هى التى يمكنها أن ترصد التحركات الجوية فى الدلتا والقاهرة ٠ وفى حالة شن المصريين لهجوم برى ضد اسرائيل ، فسيكون عليهم أن يعبروا أولا عائقا هاما هو قناة السويس الذى يدعمه خط من التحصينات ، ثم عبور ما يقرب من مائتى كيلو متر من الخطوط المصرية، أصبحت بعض المراكز الحيوية المصرية (ولا سيما بور سعيد) على مدى ضربة مدفع من الخطوط الاسرائيلية ٠

وهذه العوامل العسكرية تعطى لاسرائيل ايضا ميزة سياسية ضخمة٠ فامام التهديد المصرى ، أصبح بامكانها الآن أن تلتزم استراتيجية دفاعية وتتفادى الادانة التى كانت توجه اليها عندما كانت تشن هجمات وقائية وهى الهجمات التى كانت ضرورية حتى يونيو ١٩٦٧ ٠ ولنضف الى ذلك الميزة السياسية التى يمثلها بالنسبة لاسرائيل الاشراف على احدى ضفتى قناة السويس ، والميزة الاقتصادية الناجمة عن امتلاك حقول البترول فى سيناء (التى يعتبر انتاجها الحالى ضعف الحاجة الجارية لاسرائيل الى هذا الخام) وكذلك مناجم المعادن المختلفة ٠

ويعتبر الوضع القائم الحالى بالنسبة لوجهة نظر امن اسرائيل مثاليا فى قناة السويس وسيناء ، ولكنه يستبعد أية امكانية للسلام مع مصر ٠ اذن ما هو الحل ؟ ان هناك عدة حلول وسط تفرض نفسها ، من بينهـــا مثلا تقسيم سيناء الى قسمين ، بخط يبدأ من العريش شمالا وينتهى بشرم الشيخ جنوبا ، على أن يخضع نصفها الشرقى للاشراف الاسرائيلى، وكذلك قطاع غزة الذى يجب أن يخضع كله ـ مثل الضفة الغربية فى الاردن ـ لاشراف اسرائيل ٠ وكل هذه الحلول على أساس توقيع معاهدة صلح مقدما مع الدول العربية ٠ أما لو لم يحدث ذلك فان بقـــاء الاشراف الاسرائيلى العســـكرى على الأراضى المحتلة الآن يضمن لاسرائيل مزايا استراتيجية اساسية ذكرناها من قبل ٠

واذا كان السلام غير ممكن مع مصر ، والنهاية غير متوقعة لمنظمـات المقاومة الفلسطينية ٠٠ اذن ، هل هناك حل نهائى لهذه الازمة ؟

ان هناك مبدئيا ، مزايا واضحة لتوقيع معاهدة صلح بين اسرائيـل والأردن ، حتى فى حالة رفض مصر واعتراضها ، ان التوصل الى تسوية

بين اسرائيل والاردن سيثبت أولا ان بالامكان قيام تعايش بين الدولة اليهودية واحدى الدول العربية في الشرق الاوسط • وعندئذ يحدث شرخ في الجبهة المشتركة التي يقيمها العرب منذ عشرات السنين ضد العمل الصهيوني ودولة اسرائيل ، كما تضعف حركة حرب العصابات ابتداء من غرب الاردن وشرقه • كما انهناك احتمالا في أنينضم لبنان والسعودية الى الحل السلمى ، وبذلك تنشأ في الشرق الاوسط منطقة خاصة للنفوذ الامريكي وتتمتع أيضا بحماية الولايات المتحدة ، وتضم كلا من اسرائيل والاردن ولبنان والسعودية • وعندئذ يمكن لاسرائيل أن تكسب من جديد عطف الرأى العام الغربى ، كما أن فرنسا سترفع بدون شك القيود المفروضة على تزويد اسرائيل بالأسلحة ، ولن يكون الجيش الاسرائيلي قلقا على حدوده الشرقية في حالة نشوب حرب جديدة مع مصر • وأخيرا •• فان الاقتصاد الاسرائيلي سيجد منافذ واسعة في البلدان المجاورة • ولا شك أن هذه المزايا الرائعة تبرر أن تعيد اسرائيل جزءا من غرب الاردن وأن تقدم تنازلات في القدس •

في الواقع ان أى ثمن تدفعه اسرائيل للاردن لن تكون له قيمة قبل التوصل الى اتفاق مع مصر• ان أى تسوية منفصلة مع الملك حسين سوف تظل دائما محفوفة بالمخاطر وغير دائمة الاستمرار ، طالما لم توافق عليها مصر ، لهذا فان قيام اسرائيل بالتخلى عن أمور هامة في مجال الأمن كثمن للتوصل الى اتفاق منفصل مع الاردن ليس له مايبرره في الوقت الحاضر، لأن على اسرائيل في جميع الأحوال ، ان تحتفظ باشراف عسكرى كاف على غرب الأردن لتتمكن من اعادة احتلال المنطقة في بضع ساعات في حالة قيام حكومة معادية في عمان •

واذا كان مستقبل علاقة اسرائيل بالمنطقة كلها ما زال محفوفا بالمخاطر •• فهل توجد مخاطر مماثلة بالنسبة لمستقبل المجتمع الاسرائيلي نفسه ؟ في الواقع ان هناك مشكلتين أساسيتين يجب على اسرائيل أنتحلهما في المستقبل القريب ، حتى لا تتقهقر الى مستوى مجتمع من مجتمعات المشرق العربى وهما :

- معدل اندماج اليهود الذين من أصل افريقى أو شرقى في مجتمع تكنولوجى حديث •

- مشكلة تكوين الصفوة الحاكمة •

أما بالنسبة للمشكلة الأولى ، فانه حتى حرب الايام الستة •• كان المجتمع الاسرائيلي ، ينقسم الى معسكرين تزداد الشقة بينهما : « الموسرين وهم اليهود ذوو الاصل الاوروبى•• والفقراء وهم ذوو الاصل الشرقى• وبعكس مشكلة الزنوج في أمريكا ــ التي تمثل مشكلة ١٠٪ من السكان ــ فان اليهود الشرقيين في اسرائيل يمثلون أكثر من ٤٥٪ من السكان • ويتدهور وضعهم يوما بعد يوم •

أما مشكلة الصفوة الحاكمة .. فان مستقبلها متشائم بالدرجة نفسها حيث ما زالت غالبية الصفوة السياسية والاقتصادية ، تتألف حتى الآن من يهود من أصل روسي ، وبولندى . أما الصفوة العلميـة ، فيسيطر عليهـا الأصل الأوربى والأمريكى .

وهنـاك بعد ذلك .. مشكلة الابقـاء على التماسـك الاجتمـاعى الاسرائيلى ، وهى هنا مطروحة على مستويين : حل للقضاء على الهـوة التى تفصل بين اليهود الشرقيين والاوربيين من ناحية ، ثم حل مشـكلة السكان العرب داخل الاراضى التى تحتلها اسرائيل من ناحيـة أخرى . ان المشكلة الأولى زادت حدة عندما ظهرت فترة هدوء نسبى على الحدود فى السنوات السابقة على ١٩٦٧ . فعندما اقترب المجتمع الاسرائيلى من أن يكون مجتمعا (طبيعيا) أوشـكت تلك المشـكلة على الانفجـار ، وطبقت سياسة اقتصادية انكماشية عجلت من اتجاه التفكك الاجتماعى. ان انتصار يونيو ١٩٦٧ قد أعاد التماسك الى المجتمع الاسرائيلى ولكن المشكلة ما زالت تهدد بالانفجار ، ويمكن حلها بواسـطة هجرة يهـودية واسعة تأتى من الدول الغربية . ولذلك فربما يكون من مصلحة اسرائيل دائما ان تلجأ من وقت لآخر ، الى تقوية الاتجاهات المعادية للسـامية فى الغرب .. بهدف تنمية الرغبة فى الهجرة اليها .

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



الجيش.. والسياسة فى إسرائيل

تأليف : عاموس بيرلموتر

هذا الكتاب
وهذا المؤلف

بالنسبة للجيش الاسرائيل ، فان ابرز شخصيتين مثلتا السلطة المدنية فى منصب وزير الدفاع كانا دافيد بن جوريون وموشى دايان . ومع ان هذا الكتاب يعتبرهما مدنيين .. الا ان الخط الفاصل بين المدنيين والسياسيين ليس بهذا الوضوح القاطع فى اسرائيل، نظرا لان الحركة الصهيونية حرصت من البداية على ان تقيم مجتمعا عسكريا اشبه بمجتمع « اسبارطة » القديم . مجتمع من المحاربين ، الذين يقومون باعمال عسكرية .. حتى وهم بملابس المدنيين .

وهذا الكتاب يحلل ـ من وجهة نظر اسرائيل طبعا ـ العلاقة بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية فى اسرائيل ، بناء على المفهوم السابق للحدود بين السلطتين . ونظرا لندرة المؤلفات التى تتناول هذا الموضوع ـ خصوصا من وجهة نظر اسرائيل ـ فان هذا الكتاب « العسكرية والسياسة فى اسرائيل » يكتسب اهمية مضاعفة من حيث موضوع الكتاب ، ومن حيث مؤلفه .

ان المؤلف « عاموس بيرلميوتر » اسرائيلى من مواليد تل أبيب ، حصل على البكالوريوس ثم الماجستير ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا الأمريكية . وقد خدم فى وزارة الدفاع الاسرائيلية كعضو فى لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية . كما انه كان زميلا باحثا فى معهد الدراسات الدولية فى «بيركلى» حتى ١٩٦٧ ، ويعمل الآن زائرا بمركز الشئون الدولية بجامعة هارفارد الأمريكية ، مع احتفاظه بجنسيته الاسرائيلية ، ومساهمته فى ابحاث وزارة الدفاع الاسرائيلية .

* * *

كان الانتصـار المفـاجىء الذى احرزه « زاحال » ـ جيش الدفاع الاسرائيلى ـ سنة ١٩٦٧ نتيجة لفلسفة تعتبر أن المجهود الحربى أداة لبناء الأمة منذ بداية الحركة الصهيونية فى فلسطين . وفى عام ١٩٤٨ أدت حرب التحرير الاسرائيلية الى القاء الضوء على الجيش ، ومنذ ذلك الوقت أصبح لقادة الجيش نفوذ بين النخبة الحكومية والاقتصادية التى التزمت بادخال الأساليب الحديثة فى الجيش بسرعة . وقد ادى انتصارنا العسكرى على المصريين فى ١٩٥٦ وانتصارنا على مصر والأردن وسوريا فى ١٩٦٧ الى دعم سمعة الجيش .

وبالرغم من ان جيش اسرائيل النظامى لا يزيد على ثمانين الف جندى الا أن سبع اجمالى السكان اليهود ، وعددهم مليونان ونصف مليون ، يعتبر احتياطيا عسكريا فعالا • لهذا فمن الطبيعى أن نتساءل عن أثر الجيش على الحياة السياسية فى اسرائيل •

ولكى نفهم هذا الأثر ، لابد أن نفهم الدور الذى تم تحديده للجيش الاسرائيلى من البداية لكى يقوم به بالنسبة لأمن اسرائيل وسياستها •• ان هذا الدور يمكن تلخيصه فى (نظرية التطويق العربى) التى أعدت فى البداية تحت اشراف بن جوريون •• وأصبحت من يومها هى المبدأ الذى يحكم عمل وتفكير جيش الدفاع الاسرائيلى ـ زاحال •

ان هذه النظرية تعتمد على الأفكار التالية :

● أولا : ان العرب يحاصرون اسرائيل جغرافيا •

● ثانيا : ان مهمة الجيش هى أن يحاصر العرب عسكريا ، لكى يلغى تأثير هذا الحصار الجغرافى •

● ثالثا : ان هذا الحصار يعتمد على الحصول باستمرار على أحدث الأسلحة • ومهمة القيادة السياسية أن تضمن دائما وجود دولة ـ او أكثر ـ قادرة على امداد اسرائيل بأحدث الأسلحة هذه •

● رابعا : ان نجاح السياسة لا يقاس بالحصول على سلاح حديث فقط •• ولكن بالحصول على المعلومات التى تمكن الجيش من صناعة هذا السلاح الحديث محليا ، حتى لا يظل الجيش تحت رحمة الدولة الموردة ، والتى قد تتعارض مصالحها مستقبلا مع مصالح اسرائيل ••

ان بن جوريون ، باعتباره أول وزير دفاع لاسرائيل ، كان هو بالطبع أول من أشرف على تطبيق هذه النظرية • ان موقف بن جوريون كان قائما على اساس انه طالما احتفظت اسرائيل بتفوقها العسكرى الذى يسميه هو ـ لأسباب سياسية ـ توازنا عسكريا على قوات الدول العربية مجتمعة •• وطالما استطاعت اسرائيل أن تحمى حدودها وتتوسع فيها عن طريق الغارات الانتقامية ، فانها ستكون فى أمان • وهذا الوضع الدفاعى قائم على أكثر من مجرد الحد الادنى لاعتبارات الأمن القومى • فالمقصود به السماح بقيام مناورات عسكرية مرنة على الحدود • حتى يمكن صد أى هجوم عربى فوق الأراضى العربية • ولا بد فى جميع الأحوال أن تتم جميع الأعمال العسكرية فوق أرض العدو العربى •• وليس فوق أرضنا فى اسرائيل • ان هذا معناه الانتقام السريع • ومعنى الانتقام هو اقامة السلام عن طريق القوة •

ولقد حرص موشى دايان ـ وزير الدفاع الحالى فى اسرائيل ـ أن يطبق هذه المبادىء باعتباره تلميذا مخلصا لبن جوريون • ان مفهوم دايان للعلاقات العربية الاسرائيلية ينبع من الافتراضات التالية :

- **أولا : ان الحد الأقصى لمهمة الجيش هي أن يكسب الحرب ٠٠ ان ولاء الجيش لابد أن يكون لمهنته ، وليس لمساندة أي حزب سياسي ضد حزب آخر ٠ ان الجيش هو مجموعة من الفنيين المتخصصين ، وتخصص افراده هو القيام بالأعمال العسكرية لتحقيق اهداف سياسية تحددها القيادة المدنية ٠**
- **ثانيا : ان الحد الأدنى لمهمة الجيش ، هو الدفاع عن حدود اسرائيل ٠**
- **ثالثا : ان الدولة كلها ـ اسرائيل ـ هي حدود ٠**
- **رابعا : ان الجيش يجب أن يعمل على أساس أن هناك دائما تدميرا وشيك الوقوع ٠**
- **خامسا : ان سياسة العرب بالنسبة للتسلل هي (حرب فدائيين) ضد اسرائيل ٠**
- **سادسا : ان سياسة اسرائيل هي تحويل الأمر الواقع الى حالة دائمة ٠٠ وتحويل الهدنة الى صلح ٠**
- **سابعا : ان غرض الغارات العسكرية التاديبية هو تنبيه الدول الكبرى حتى تقوم بالضغط على العرب من أجل الصلح مع اسرائيل ٠**

لقد ظلت المبادىء السبعة السابقة دليل عمل الجيش الاسرائيلي منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ ٠ أن التغيير الوحيد الذى طرأ على الموقف بعد ١٩٦٧ يتعلق بالمبدأ السابع فقط نتيجة للانتصار الاسرائيلي في الحرب ، أصبحت **سياسة اسرائيل الآن تتنافى مع اعطاء أى دور للدول الكبرى ، بينما اصبح العرب هم الذين تتوقف قدرتهم العسكرية والسياسية على ما تريده الدول الكبرى ٠**

والمهم الآن أن نتذكر أن (نظرية التطويق العربي) التى عمل الجيش الاسرائيلي على أساسها دائما قد ترتب عليها في التطبيق اجراءات كثيرة تحدد طريقة العمل داخل الجيش نفسه ٠ ان وجود جيش محترف ، وضرورة احتفاظ هذا الجيش دائما بمستوى عال من التخصص ، قد أدى الى نتائج عديدة ٠٠ من بينها مثلا ضرورة **الاحتفاظ بمستوى سن منخفض في القيادات العليا بالجيش ، حتى تكون القيادات دائما من الشباب ٠ لقد تم وضع حد أعلى للأعمار بالنسبة للخدمة بالجيش ٠ خصوصا في المراكز القيادية بحيث تكون القيادة دائما محترفة وشابة ، وبحيث تتاح لها فرصة الترقية بسرعة حتى يسمح للمواهب الجديدة بالظهور دائما ٠**

ونتيجة لهذا ٠٠ فان رؤساء أركان حرب الجيش الاسرائيلي يتولون مناصبهم في المتوسط لمدد تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس سنوات ٠ لقد تعاقب على الجيش فيما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ سبعة رؤساء لأركان

الحرب ، استقال أحدهم بعد سنتين ، وواحد بعد سنة واحدة ، وواحد بعد انتهاء مدة السنوات الثلاث • ان رؤساء الأركان السبعة بلغت أعمارهم ــ فيما عدا اثنين منهم ــ أقل من أربعين عاما عند تعيينهم •

ان القاعدة نفسها موجودة بالنسبة لكبار الضباط • ومتوسط الأعمار منخفض نسبيا ، اذ يبلغ من ٤٠ الى ٤٤ سنة لمن في رتبة بريجادير جنرال ومن ٣٥ الى ٤٠ لمن فى رتبة كولونيـل ، ومن ٣٠ الى ٣٥ لمـن فى رتبة ليفتنانت كولونيل ، وذلك فى سنة ١٩٦٦ •

ولأن هذا الكتاب يهتم أساسا بسـيطرة المدنية على العسكريين فى اسرائيل بالرغم من الدور غير العادى الذى يقوم به « زاحال » فان هناك حادثا من المـاضى القريب سوف نستخدمه للدلالة على تغلب المدنيين على السلطة العسكرية •

فعندما قام الرئيس المصرى ناصر فى ٢٤ مايو ١٩٦٧ بحصار خليج العقبة واجهت الحكومة برئاسة « ليفى اشكول » هذا التحدى بالدبلوماسية فى بادىء الأمر • ولكن المبادرة الامريكية بدعوة الدول البحرية للمساعدة فى رفع الحصار أدت الى ما اعتبرناه كاسرائيليين كارثة دبلوماسية • ويومها طالبت الصحافة وضغط الجمهور على الحكومة من أجل القيام بعمل عسكرى وقبل نشوب الحرب بعشرة أيام ، طالب زعماء أحزاب المعارضة ومعظم الصحف الاسرائيلية بتشكيل حكومة طوارىء يتم فيها ائتلاف جميع الأحزاب • لقد مارست المعارضة السياسية ضغطا قويا على الحكومة لفصل منصب وزير الدفاع عن منصب رئيس الوزراء (وكان أشكول يشغلهما معا) • وطالبت أيضا بتعيين موشى ديان « بطل سيناء ١٩٥٦ » فى هذا المنصب . واجتمع حزب (الماباى) ــ وهـو الحزب الرئيسى فى الائتلاف ــ عدة مرات •• وعارضت لجنته التنفيذية ــ وخصوصا السكرتير العام وقتها جولدا مائير ــ فى انضـمام الجنرال دايان . وبعـد عدة أيام من الضغط اسـتطاعت المعارضة أن ترغم زعامة الحزب على تشـكيل حكومة وحـدة قومية مع تعيين دايان وزيرا للدفاع .

وخلال تلك الفترة (من ١٥ مايو حتى ١٥ يونيو) لم يصدر عن الجيش وأركان حربه أى عمل يقصد به تحدى مجلس الوزراء • ان كل ما فعله الجيش هو الضغط على رئيس الوزراء من أجل الاقدام على عمل عسكرى ، وقام اسـحق رابين ــ رئيس أركان الحرب ــ بالدعوة الى التعبئة العامة وبالرغم من أن هيئة أركان حرب الجيش كانت مستاءة من «أشكول» ولا تثق فى كفـايته وتعتبره مفتقرا الى الحزم •• الا انهـا ظلت خاضعة للسلطة المدنية • وحتى عندما تم تعيين دايان وزيرا للدفاع ــ وهوالأمر الذى كان الجيش يريده فى الحقيقة ــ فان هذا التعيين تم بواسطة السلطة المدنية ، وأصبح موشى دايان نفسه ممثلا للسلطة المدنية فى منصب وزيرالدفاع •

وهذا التحديد الواضـح لدور السلطة المدنيـة بالنسبة للجيش لم

يستقر الا منذ سنة ١٩٤٨ . أما قبلها فلم تكن هناك حدود واضحة بين السياسية العسكرية ، منذ أن أنشئت «الهاجاناه» سنة ١٩٢٥، باعتبارها أول منظمة يهودية مسلحة في فلسطين لقد قامت (الهاجاناه) أولا للقيام بالاعمال المسلحة ضد العرب في فلسطين ولحماية الجالية اليهودية في فلسطين .. ولسنوات كثيرة لم تكن (الهاجاناه) محتاجة الا لكي تترك العرب يستنفدون جهودهم ضد بريطانيا ، باعتبارها سلطة الانتداب في فلسطين . لقد اتجه التمرد العربي في فلسطين في البداية ضد سلطات الانتداب البريطانية ، **وكانت القيادة اليهودية تعلم انها لو اتبعت السياسة نفسها التي طبقها العرب ضد الانتداب فسوف تحل كارثة باليهود ، لانه بمجرد قهر الانتداب فسوف يقف اليهود وحدهم ضد العرب . وهكذا سعى اليهود وقتها الى الاستفادة من هذا النزاع لمصلحتهم ، بأن تركوا العرب يحاربون البريطانيين ، بينما يقومون هم بالتعاون مع البريطانيين ضد العرب .**

وفي الوقت نفسه قام «بن جوريون» والوكالة اليهودية بدعوة اليهود للتطوع في الجيش البريطاني للعمل في صفوف الحلفاء ضد المحور . وهكذا تطوع ثلاثون ألف يهودي مع الحلفاء ليكتسبوا الخبرة منهم ، ويحصلوا على السلاح الذي استخدم فيما بعد ضد العرب والبريطانيين على السواء .

وفي مايو ١٩٤١ بدأت «الهاجاناة» في بناء قوة فدائية هي **«البالماخ»** لتكون أول وحدة عسكرية تضم نخبة عسكرية محترفة متفرغة متخصصة في العمليات الخاصة التي يقوم بها الفدائيسون ، **والتي تعتمد على الحرب الخاطفة والحركة السريعة واحراز أكبر النتائج بواسطة أقل عدد ممكن..** ونستطيع أن ندرك أهمية « البالماخ » بالنسبة لمستقبل الجيش الاسرائيلي بعد ذلك حينما نعلم انه في سنة ١٩٤٨ كان الجيش الاسرائيلي يضم ١٢ **ضابطا برتبة لواء .. من بينهم ثلاثة جاءوا من « البالماخ » وحوالى ٤٥ عقيدا في تلك الفترة كان ٢٠ منهم من ضباط « البالماخ » وكان أكثر من اربعين في المائة من الضباط في رتب مقدم ورائد مدربين في « البالماخ » ومنذ سنة ١٩٤٨ أصبح ثلاثة من قواد « البالماخ » رؤساء لاركان حرب الجيش وهم : موشى دايان، واسحق رابين، وحاييم بارليف . وفي حرب ١٩٦٧ كانت أركان حرب الجيش تضم ١٨ ضابطا ،من بينهم ١١ من ضباط « البالماخ » السابقين .**

ومع هذه الأهمية التي كانت تعطى «للبالماخ» .. الا أن «بن جوريون» باعتباره أول وزير دفاع اسرائيلي ، قرر في سنة ١٩٤٩ حلها وادماجها في الجيش كجزء من تحويل المنظمات المسلحة المختلفة الى جيش رسمي ، بعد اعلان قيام دولة اسرائيل .

وهنا نشأ أول خلاف في الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) بين بن جوريون **ومعارضيه . كان الخلاف هو : هل ننشىء جيشا شعبيا يعتمد**

على فرق الصاعقة والفدائيين وحرب العصابات التى تقوم بها « البالماخ » أم ننشيء جيشا محترفا؟ هل ننشيء جيشا سياسيا؟؟ أم جيشا متخصصا؟

وكانت الصيغة التى تم التوصل اليها هى : أن يكون الجيش صغيرا ومحترفا • ولكن مع وجود نظام ضخم للاحتياطى •• ونظام فعال للتعبئة السريعة جدا ، ونظام دقيق لضمان ارتفاع مستوى الاحتياطى عند التعبئة العاجلة ، وتم كذلك وضع الاساس لأن يقوم الجيش بمتابعة أحدث الاختراعات العلمية والتكنولوجية ، وأن يغرس روح « الهاجاناه » •• و « البالماخ » فى المجندين الجدد ، وأن يساعد الجيش فى اندماج المهاجرين الجدد ، ويهتم بالزراعة ويسهم فى مجهودات المستعمرات الزراعية •

لقد كان « بن جوريون » يؤمن بان المهمة الرئيسية للجيش هى القتال •• والهدف الوحيد له هو الانتصار وقت الحرب،وكان يرى أن على العسكريين أن يقصروا أنفسهم على تلك الوظائف الأساسية • لقد كانت هذه هى النظرية التى ارسى « بن جوريون » أساسها باعتباره أول مدنى فى وزارة الدفاع ، وهى نظرية أدى العمل بها الى تحديد واضح للعلاقات المدنية العسكرية ، والى تفادى تضييع مجهودات الجيش فى مهام ادارية أو اقتصادية مباشرة •• مما يحدث عادة فى الدول النامية •

ومع ذلك •• فان الجيش كان عليه أن يتدخل أحيانا ، ليس للعمل كبديل عن المؤسسات الاقتصادية والثقافية ، ولكن لمجرد سد الثغرات فقط، وفى الأحوال التى تتعلق مباشرة بكفاءة الجيش نفسه •

ففى ميدان التعليم مثلا.. كان مستوى التعليم ــ ولاسيما بالنسبة للضباط ــ يمثل قلقا عظيما للجيش ••ولكى يتم سد هذه الثغرة أقام الجيش مدارس خاصة ودراسات لتعليم المجندين الجدد بهدف القضاء على الامية فى الجيش • وهنا يبرز دور النساء فى الجيش لأول مرة • ومن ناحية أخرى أسقط اقتراح بادخال تخصص عسكرى فى المدارس الثانوية وبدلا من ذلك أقام الجيش أكاديمية خاصة لهذا الغرض •

وفى الوقت نفسه •• قام الجيش بانشاء وحدة خاصة هى (ناحال) ــ أى : شباب طلائع الرواد الاسرائيلى • ومهمة هذه الوحدة هى اعطاء فترة قصيرة من التدريب العسكرى للشباب لكى يتم تعيينهم بعد ذلك كمجموعات فى المستعمرات الزراعية التى تقع عادة فى الأماكن الحساسة على الحدود السورية أو المصرية •

وقد استلزم الدور الجديد أيضا •• أن يقوم الجيش بتأسيس صناعة كبيرة وبحث علمى معقد أدى الى انتاج المعدات الحربية والالكترونية التى يعتمد عليها أمن الجيش وبالتالى أمن الدولة •• ان هذه الطريقة تطورت الى صناعة الكترونات راقية ومعقدة ، وقد دعم ذلك مقدرة وزارة الدفاع على تنمية شركات الطيران والالكترونات بحيث أصبح عدد العاملين فى تلك

الصناعة الحربية أكثر من عشرين ألفا • ومنذ حرب ١٩٦٧ وسعت وزارة الدفاع صناعاتها الخاصة بالالكترونات والطيران والصواريخ الموجهة • كما قامت بخلق طبقة من الفنيين اللازمين لتلك الصناعات •• وفى الوقت نفسه فانه على مستوى الضابط العادى •• يقوم الجيش بتشجيعه على دراسة المهارات الادارية والاقتصادية المختلفة ، لكى يستطيع الضابط العثور على وظيفة ملائمة عندما يخرج من الجيش ، حيث يؤدى نظام الترقيات السرية ، والتقاعد فى سن مبكرة ، الى خروج الضابط الى الحياة المدنية مبكرا • ويركز أغلبية الضباط على دراسة الاقتصاد أو ادارة الأعمال أو عمليات البحث سواء بدراستها فى اسرائيل او فى الخارج (بريطانيا أو فرنسا أو امريكا) •

وبالنسبة للعلاقة بين الجيش ووزارة الدفاع، فقد استقرت عند مفاهيم معينة منذ سنة ١٩٤٨ • فبعد تشكيل « زاحال » أصبح لوزارة الدفاع الدور الثانى بعد الجيش ، واقتصرت مهمتها على الشراء ، وظل ضباط الجيش ينظرون الى الوزارة باعتبارها مجموعة من الكتبة والتجار • وفى الوقت الذى كان الجيش يتلقى أحسن الاهتمام ، كانت وزارة الدفاع تعانى من عدم الاهتمام وتتكون من السياسيين وطبقة الفنيين البارزين أمثال ليفى أشكول (أول مدير عام لها) وبنحاس سابير (ثانى مدير عام لها ووزير المالية الحالى) واسرائيل جاليلى (أول نائب لوزير الدفاع ووزير الاعلام الحالى) • وقد هجر كل هؤلاء الوزارة بعد سنوات قليلة فقط •• وهكذا اكتملت سيطرة بن جوريون باعتباره وزيرا للدفاع •

لقد عمل، بن جوريون، على رفع دور الجيش فوق الوزارة، فكان يترك اصدار التعليمات الخاصة بالجيش والوزارة للقادة • وبعد أن قام بن جوريون بتطهير الجيش من الضباط المهتمين بالسياسة ، وبعد أن حرم على الأحزاب السياسية أن تعمل داخل الجيش ، وبعد أن ازال اليساريين من كل المراكز التى شغلوها فى الجيش ، وضع نظاما للترقيات يقوم على أساس الكفاءة لكى يتمشى هذا مع تنمية روح الاحتراف داخل الجيش ، واصبح برنامج تدريب ضباط الجيش يتضمن كثيرا من مبادىء تدريب البالماخ (الصاعقة) على القيادة • واصبح بن جوريون ـ باعتباره وزيرا للدفاع وممثلا للسلطة المدنية ـ هو الذى يوافق على جميع التعيينات والترقيات ابتداء من رئيس اركان الحرب حتى رتبة ليفتنانت كولونيل (مقدم) • وكان الترشيح لمنصب رئيس أركان الحرب يتم بناء على توصية رئيس الأركان السابق ، وكذلك اللجنة الداخلية الخاصة وكبار المستشارين • أما تعيينات وترقيات كبار الضباط الآخرين فيرشحها رئيس الأركان ، ولكنه يعتبر سلطة نهائية فى اقل من رتبة ليفتنانت كولونيل •

واذا كان «بن جوريون» قد استطاع أن يحسم الصراع على السلطة بين المدنيين والعسكريين داخل وزارة الدفاع ، فان هذه الأزمة تفجرت عندما استقال بن جوريون فى نوفمبر ١٩٥٣ • لقد قام بن جوريون قبل

استقالته باختيار « لافون » لمنصب وزير الدفاع ·· ولكن في خلال شهور قليلة تجمع العسكريون ضده وفجروا أزمة عرفت فيما بعد باسم «فضيحة لافون » · ان هذه الفضيحة ـ التى ظلت على درجة عالية من السرية حتى سنة ١٩٦٠ ـ وما زالت غامضة حتى الآن ـ تتعلق اساسا بسلسلة من عمليات التجسس والتخريب ، كان الجيش والمخابرات قد أعداها للقيام بها فى القاهرة سنة ١٩٥٤ ·

كان السبب الرئيسى فى العمليات·· هو أن اسرائيل أحست فى سنة ١٩٥٤ بـــوادر تحسن فى العلاقات بين مصر وأمريكا ، وببداية تحول السياسة الامريكية نحـــو القـــاهرة · وفى الوقت نفسه فان السياسة الاسرائيلية كانت فى سباق مع الزمن لكى تكسب أمريكا كحليف لها فى صراعها ضد العرب ، وخصوصا ضد مصر ، لهذا قامت المخابرات الاسرائيلية بتصميم عدة عمليات نسف وتجسس تتم فى القاهرة ضد السفارة الامريكية والمنشآت الامريكية فى مصر ، بهدف القضاء مقدما على اى احتمال لتحسن العلاقات المصرية الامريكية · ولكن مصر كشفت شبكة التجسس والتخريب الاسرائيلية فى اللحظة الاخيرة وأعدمت زعمـاءها ، وفشلت العملية فشلا ذريعـا ·

وادى الفشل المدوى ·· الى تحقيق سريع داخل الجيش وداخل جهاز المخابرات ، تبين بعده ان العمليات نفذت بدون علم لافون وزير الدفاع · وهنا آثار «لافون» ازمة لانه اعتبر هذا العمل تحديا لسلطته المدنية ، ولكن المخابرات استطاعت ان تقدم وثائق مزورة ضده ، دعمها الجيش ، لكى يتم فى النهاية التخلص منه ·· وهذا ما حدث فعلا ، عندما اضطر لافون الى الاســـتقالة ·· فانتهت بذلك فترة من المنـــافسة بين وزير الدفاع والقيادة العليا للجيش ، وهى فترة استمرت ١٥ شـــهرا ، انتهت بعودة بن جوريون من جـديد الى وزارة الدفاع واستئنافه العمل مع تلميذه ـ موشى دايان ـ على تأكيد نظرياتهما من جديد بالنسبة للعلاقة بين الجيش والمدنيين ، الأول كوزير للدفاع ·· والثانى كرئيس لهيئة أركان الحرب ·

وبعد سنوات طويلة من الصراع·· أصبحت العلاقة المدنية والعسكرية الآن كما يلى : ان جماعة كبار الضباط فى جيش اسرائيل ليست لها أى مطامع سياسية كجماعة ، وهى تحتفظ بولائها لرئاستها المدنية · ولكن·· من ناحية أخرى·· تتمتع هذه النخبة بنفوذ ضخم فى شئون الدفاع والشئون الخارجية ، خصوصا تلك التى تتعلق بأمن الجيش أو بضمان قدرته على النجاح فى مهمته العسكرية · وهذا النفوذ يعتمد على أن الجيش مسئول عن الانتصار فى العمليات العسكرية ·· بينما السياسة مسئولة عن توفير الموارد ، وخلق الظروف التى تسمح للجيش بالتصرف بحرية · لهذا فاننا نجد أنه بينما عارض «بن جوريون» مثلا **فى قيام اسرائيل بالحرب سنة ١٩٦٧ لخشيته من التدخل السوفيتى لصالح مصر ·· فان رئيس الوزراء ووزير الدفاع وقتها ـ ليفى أشكول ـ اضطر أن يوافق على الحرب بناء على تقرير**

من مخابرات الجيش ·· قررت فيه ان الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يساعد المصريين بشكل مباشر · ومع وجود عوامل كثيرة خلف القرار ·· الا ان العامل الأول هو صدق تنبؤات تلك المخابرات فى الماضى·· ودقة المعلومات التى كانت تقدمها دائما عن موقف أعدائنا العرب ·

كما انه يجب الاشارة أيضا الى انه فى ظل وزير مدنى ـ هو أشكول ـ حصل الجيش على أحسن وأغلى الاسلحة فى تاريخه كله ، بينما نجد أن وزارة المالية عارضت مرتين ، ضد بن‌جوريون وموشى دايان، زيادة ميزانية الجيش · ووجود دايان الآن فى منصب وزير الدفاع لا يعنى أنه ممثل للعسكريين ·· لان الذى أعاد « دايان » الى السلطة قبيل حرب ١٩٦٧ كان هو الناخب الاسرائيلى ، وليس جنرالات الجيش الاسرائيلى ·

ان النظرية الاساسية هنا هى أن الجيش لا يتحرك كمجموعة سياسية ، ولكن كمجموعة متخصصة محترفة ، لذلك فان الجيش الاسرائيلى لم تكن له مطامع بالنسبة للصراعات السياسية فى اسرائيل · ان ما يحدث فى العادة ، هو أن الجيش يتحرك فى الدول النامية للاستيلاء على السلطة ، عندما يفقد ثقته فى « السياسيين الفاسدين » · لهذا فاننا نجد أنه بينما يحتفظ الجيش بولاء ضخم لبن جوريون مثلا ، فان بن جوريون فقد نفوذه غير العادى على الجيش عندما كون فى سنة ١٩٦٥ حزب « رافى » والشق على الحزب المدنى الرئيسى فى الحكومة ·

ولهذا يثور الآن سؤال ·· هو : هل اسرائيل دولة «امبراطورية» · وبالتالى : هل الجيش فيها هو جيش « امبراطورى » ؟

ان الدولة الامبراطورية تتميز أولا بما يلى :

● أولا : ثقافة سياسية وحضارية غير فعالة ويساندها الجيش · وهذا لم يحدث رغم انتصار الجيش فى ثلاث حروب متوالية ·

● ثانيا : وجود مستوى منخفض للمؤسسات السياسية · وفى اسرائيل استقرت المؤسسات السياسية المدنية بشكل حاسم ·

● ثالثا : ضعف الاحزاب السياسية أو عدم فعاليتها · وهذا لم يحدث ·

● رابعا : عدم وجود هدف مشترك وتضامن ايديولوجى · وفى اسرائيل لم يؤد التوسع فى الجيش الى تهديد التفوق المدنى ·

● خامسا : النقص فى روح الاحتراف داخل الجيش لتغلب الاعتبارات السياسية · وفى اسرائيل لم يحدث هذا ولم‌تتحالف فئة الضباط مع أية فئة سياسية ··

وهكذا فان القدرة الاستيعابية للاقتصاد ، والاستغناء عن الضباط بسرعة ، ونجـــاح ادماج المحاربين القــدامى ، واعتماد الجيش على نظام الاحتياطى ، وتماثل الأهداف العسكرية والقومية ، وتأصل روح الاحتراف فى « زاحال » .. كل ذلك يمنع الجيش من التدخل الفعال فى السياسة . وبالاضافة الى ذلك ، فان الاحســـاس بشرعية الهياكل السياسية المدنيـة يقدم ضمانا فعالا لسيطرة المدنيين ، مع عدم استبعاد وجود الجيش كقوة ضاغطة .

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



الميراج ضد الميج

تأليف: بن بورا، يوري دان

هذا الكتاب

وهذان المؤلفان

فى حرب ١٩٥٦ لم تبدأ اسرائيل فى الهجوم ضد مصر ، الا بعد ان ضمنت غطاء جويا لها من بريطانيا ، وفى حرب ١٩٦٧ لم تحارب الا بعد ان تأكدت من وجود تعليمات لدى الطيران المصرى بعدم الحرب . ومع ذلك .. فالنتيجة هى النتيجة . لقد احتسب التاريخ على الطيران المصرى هزيمتين حتى قبل اول طلقة . وكان السبب هو نفسه فى كل مرة : ان الطيران المصرى وضع فى موقف صعب من البداية . موقف الشخص الذى احاطت السلاسل بيديه وقدميه .. لكى يتمكن شخص ثان من ضربه على راحته .

ومن الهواء .. خلقت اسرائيل أسطورة روجتها فى كل انحاء العالم . اسطورة تحاول دائما ان تقنعنا مثلا ان الطيار الاسرائيلى اكبر كفاية من الطيار المصرى ، وان التدريب الزائد فى جانب الطيار الاسرائيلى كان يقابله تدريب ناقص فى جانب الطيار المصرى . ان هـذا المنطق ضرورى بالنسـبة لاسرائيل .. لكى نقتنع نحن بالتالى بان هزيمة ١٩٦٧ كانت امرا لا مفر منه ، وقـدرا لا يمكن تفاديه . ولكن الحقيقة التى ستظل اسرائيل تخفيها ، وهذا الكتاب الاسرائيلى يخفيها ، هى : ان الطيران المصرى هزم فى الحرب .. قبل ان تبدأ الحرب !

وهذا الكتاب الاسرائيلى .. هو واحد من الكتب القليلة التى ركزت على الحرب الجوية بين مصر واسرائيل ، مع الاستشهاد بامثلة من حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وهو من الكتب التى انتشرت تماما فى العالم ، مع انه حتى الآن ممنوع من التداول فى مصر والدول العربية .. والكتاب اشترك فى تاليفه صحفيان اسرائيليان . الأول (بن بورا) ، عمل مراسلا لصحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية فى باريس . وهو يعيش فى اسرائيل منذ عام ١٩٤٥ ، وكان طالبا بالجامعة العبرية بالقدس ثم فى السوربون بباريس .

اما الثانى « يورى دان » .. فهو ايضا اسرائيلى عمل مراسلا حربيا لمدة سبع سنوات لصحيفة « معاريف » التى تصدر فى تل أبيب . وقد كان أحد جنود المظلات الذين اسقطتهم اسرائيل خلف الخطوط المصرية فى حرب ١٩٥٦ . ومنذ سنة ١٩٦٣ وهو يعمل مراسلا لصحيفة بباريس ..

* * *

فى الشهور التالية لانتصارنا فى ١٩٦٧ ــ بدأ المحققون العسكريون الاجانب فى تل أبيب يبحثون عن اجابة بالنسبة لسؤالين أساسيين: السؤال الأول هو : لماذا قررت القيادة العسكرية الاسرائيلية أن تبدأ هجوم الطيران

الاسرائيلي على مصر الساعة التاسعة الا الربع صباحا بتوقيت القاهرة • (الثامنة الا الربع بتوقيت اسرائيل) ؟ لماذا لم يبدأ الهـجوم قبل ذلك بساعة أو بعد ذلك بساعتين مثلا ؟

والسؤال الثاني، الذي اهتم به اخصائيو الطيران هو: كيف استطاعت الطـائرات الاسرائيلية أن تحقق عنصر المفاجأة بالنسبة للطيران المصري ، وكيف استطاعت كل طائرة ان تقوم بعدد كبير من « الطلعات » في يوم واحد ؟

أما بالنسبة للسؤال الأول ـ وهو تحديد ساعة الصفر بالنسبة لبدء الهجوم الجوى الاسرائيلي على المطارات المصرية يوم خمسة يونيو ـ فقد تم تحديده بناء على الأسباب الثلاثة التالية :

● **أولا : ان مصر كانت تتوقع هجوما مفاجئا عند أول ضوء في النهار وأن دوريات الحراسة التي يقوم بها في كل صباح تشكيلان من الطائرات** الميج ٢١ ـ منذ أعلنت مصر التعبئة العامة ـ كانت تشير بوضوح الى الساعة التي كان المصريون يعتبرونها ساعة القدر • وكان العنصر المفاجيء لهم من الناحية المنطقية •• هو اختيار ساعة متأخرة قليلا عن الساعة التي كانوا يتوقعونها •

وقد ارتكب المصريون هذه الغلطة نفسها سنة ١٩٤٨ ، عندما كانوا يرون أن الحرب يجب أن تبدأ مع أول ضوء من النهار •• وليس قبل ذلك او بعد ذلك •

● **ثانيا : كانت تقارير الارصاد الجوية الاسرائيلية •• تشير الى أن بعض الضـباب ، الذي كان يغطي مدخل الدلتا ، قد لا ينقشع الا حوالى الساعة الثامنة ، وكانت الرؤية اذن في هذه الساعة ستكون أفضل مما هي قبل ذلك •**

● **ثالثا : ان العادة جرت في معظم القواعد الجوية المصرية ، على تقديم وجبة افطار ثانية في الساعة التاسعة وثماني دقائق بتوقيت مصر • وفي تلك اللحظة •• يتراخى الطيـارون المصريون في يقظتهم ، ثم يتجمعون معا في (ميس) ويفطرون فيه •**

أما بالنسبة للسؤال الثاني ، المتعلق بكيفية نجاح الطيران الاسرائيلي في أداء مهمته ، فان هناك عناصر عديدة ، ومن بينها عناصر وفرتها القيادة السـياسية ، وعناصر أخرى وفرتها القيادة العسكرية ، وعناصر وفرتها أجهزة المخابرات الاسرائيلية بالنسبة لدقة البيانات التي قدمتهـا عن الاستعدادات العسكرية المصرية •• مقابل الجهـل المطلق الذي أظهرتـه المخابرات المصرية بالنسبة لمعلوماتها عن الاستعدادات الاسرائيلية •

ولو تركنا العناصر السياسية جانبا ، فاننا سنجد أن هناك مجموعة أسباب عسكرية ، كانت هي التي ساهمت بشكل مباشر في انتصـار

الطيران الاسرائيلي في معركته ضـــد الطيران المصرى خلال تلك الساعات المبكرة من خمسة يونيو سنة ١٩٦٧ • هذه الاسباب هي :

● أولا أن برامج تدريب الطيـــارين الاسرائيليين التي كان يجرى تنفيذها قبل ذلك بسنوات • كانت تصر على اســتخدام جميع الوسائل الفنية والتكنولوجية الحديثة في ميــدان العلوم الخاصة بالطيران والعلوم المرتبطة بها • وكان التدريب الفردى على المعــارك الجوية هو الأمر الذى كان يصدره قادة السلاح الجوى الاسرائيلي منذ نشأة هذا السلاح •

● ثانيا : ان السلاح الرئيسى ، الذى اعتمد عليه الطيران الاسرائيلي في حرب يونيو ، كان طائرات (الميراج) الفرنسية الصنع • وفي الواقع أن الاغلبية الكبرى للطائرات الاسرائيلية في تلك الحرب كانت فرنســية الصنع ولم تكن جنسية الطائرات هي العامل المهم •• ولكن التعديلات التي ادخلتها اسرائيل على تلك الطائرات لعبت هي الأخرى دورا هاما •

● ثالثا : أن المصريين لم يستخدموا طائرات الميج ٢١ التي كانت في أيديهم اســتخداما كاملا •• لأن طريقة عمــل وتنظيم ســلاح الطيران المصرى ـ قبل الخامس من يونيو ـ كانت توحى بأن هناك تأكيدات قاطعة لدى هذا السلاح بأنه لن يقاتل ، ولن يبدأ أى قتال ••• وأن كل المطلوب هو اعطاء مظهر القتال •• وليس القتال •

● رابعا : الصيانة • ان الاهتــمام الشديد بتنظيم وفعالية أجهزة الصيانة في القواعد الجوية الاسرائيلية كان شيئا أساسيا يركز عليه كل واحد من قواد سلاح الطيران قبل ذلك بسنوات طويلة • ان هذا الاهتمام أدى الى نجاحنا ـ كاسرائيليين ـ في اختصار المدة التي تفصل بين طلعتين للطائرة الميراج ، الى سبع دقائق فقــط •• بينما المدة التي حددها مصممو تلك الطائرة أصلا هي عشرون دقيقة •• لهذا لم يكن من الصدفة أن الطائرات الميراج استطاعت خلال الحرب أن تقوم باثنتى عشرة طلعة يوميا ، ولم تتطلب فترة محرك الطائرة سوى فترة زمنية تتراوح بين ساعة ونصف وساعتين، وذلك بدلا من الفترة التي كانت مقررة من قبل ••• وهي ١٢ ساعة •

● خامسا : عنصر المفاجأة • ان نجاح سلاح الطيران الاسرائيلي في مفاجأة طائرات العدو المصرى على الأرض •• لعب دورا حاسما في احراز النصر • لقد ساهم في ذلك •• دقة المعلومات التي حصلت عليها المخابرات الاسرائيلية بالنسبة لتنظيم ومواقع وتجهيزات القــواعد الجوية المصرية ، وكذلك بالنســبة للأخطاء القاتلة التي ارتكبها جهـــاز الرادار لدى العدو المصرى ، وبمعنى أدق••• كان أحد الاخطاء القاتلة التي ارتكبها المصريون•• هي وجود مناطق (محايدة) داخل الحدود المصرية لا توجد فيهـــا أجهزة رادار مصرية •

● سادسا : تسليح الطائرة الميراج • ان سرعة الطائرة الميراج هي ضعفا سرعة الصوت • إن هذه السرعة لا تسمح لأى طيــار في العالم أن

يحرك مدفعا ويستخدمه ضد طائرة للعدو ، تسير هي الأخرى بسرعة تفوق سرعة الصوت • ولذلك أصر الفرنسيون على أن السلاح الوحيد الذى لا يمكن أن يخطىء هدفه •• هو الصواريخ الموجهة بالاشعة الضوئية تحت الحمراء • وأصبح على اسرائيل أن تجهز طائراتها الميراج بهذا السلاح • ولكن تسليح الميراج بالصواريخ الموجهة •• كان بذخا لا تتحمله اسرائيل، نظرا لأن ثمن الصاروخ الواحد يصل الى خمسين ألف دولار • وكان البديل هو تجهيز كل طائرة ميراج بمدفعين من طراز ثلاثين ملليمترا ، وعدم استخدام الصواريخ الموجهة ، الا فى حالات الضرورة القصوى •• ومع تخفيض سرعة الطائرة الى الدرجة التى تسمح باستخدام المدافع • وقد أدى التدريب المستمر السابق ، الى تكيف الطيارين الاسرائيليين مع التعديلات الجديدة ، والى حصولهم على خبرة •• نقلها الامريكيون بعد ذلك الى طائراتهم الفانتوم فى مواجهتها لطائرات الميج ٢١ فى فيتنام •

● سابعا : اما السبب السابع والأخير •• فى نجاح الطيران الاسرائيل فى مهمته يوم خمسة يونيو ، فهو سر ظلت اسرائيل تحتفظ به مدة طويلة، مع أنه كان أحد الأسباب الرئيسية فى الانتصار الجوى الاسرائيلى فى حرب ١٩٦٧ • وهذا السر العسكرى له قصة بدأت قبل أن تبدأ الحرب بسنة كاملة ، وهى قصة لعبت فيها المخابرات الاسرائيلية الدور الرئيسى •

ففى شهر اغسطس سنة ١٩٦٦ ، أى قبل بداية حرب يونيو بعشرة أشهر كاملة ، نقلت وكالات الانباء العالمية خبرا غريبا •• يفيد بأن هناك طائرة ميج ٢١ يقودها طيار عراقى ، قد هبطت ذات صباح على أرض قاعدة جوية اسرائيلية فى مكان ما جنوبى اسرائيل • وكان هذا الطيار العراقى الهارب قد غادر قاعدة قريبة من بغداد ، ثم طار فوق المجال الجوى الأردنى دون تدخل ، ونزل بطائرته فى اسرائيل سالما •• وهى عملية ظلت المخابرات الاسرائيلية تسعى اليها قبل ذلك بوقت طويل • ان الطائرة السوفيتية (ميج ٢١) تعتبر من أفضل الطائرات المطاردة • وحتى ذلك الوقت •• لم يكن يعرف عنها سوى بعض الاوصاف السطحية التى سبق أن نشرتها المجلات المتخصصة فى شئون الطيران • لهذا •• فانها كانت صيدا ثمينا تسعى اليه أجهزة مخابرات الدول الغربية ، بالاضافة الى اسرائيل ، التى كانت تسعى فى ذلك الى معرفة الخصم الذى ستواجهه طائرات الميراج فى القتال •

لقد هبطت الطائرة الميج ٢١ فى اسرائيل ، وهى فى حالة سليمة تماما ، ويقدر بعض المراقبين المبلغ الذى دفعته اسرائيل للطيار العراقى بثلاثمائة ألف دولار • وبمجرد أن حدث ذلك •• طلبت أربع دول غربية من اسرائيل ــ ومنها أمريكا وفرنسا ــ أن تسمح لخبراء الطيران بتلك الدول باختبار هذه الطائرة الميج • وكان الأمريكيون خصوصا يطلبون ذلك •• لأن الميج ٢١ هى خصمهم فى فيتنام • ولكن اسرائيل لم تكن تريد اغضاب موسكو •• وبالاضافة الى ذلك •• فان اسرائيل كانت تريد الاستفادة بهذه

الطائرة لحسابها هي أولا ٠ ان العمل العاجل الذى قامت به اسرائيل ، هو تدريب الطيارين على الطائرة الميج ٢١ ، بعد أن أعطتها المخـابرات اسم (ميج ٧) ٠٠ وقد كتب أحد الطيارين الاسرائيليين تقريرا عنها يقول فيه :

(لقد طرنا على متن هـــذه الطائرة الميج ٧ قبل وقوع حرب يونيو ١٩٦٧ لمدة تزيد على مائة ساعة طيران ٠ انهـا طـائرة قتـال ممتازة فى الارتفاعات الشاهقة٠٠ ولكن من أهم الاكتشافات الفنية التىقمنا بها٠٠ هو ان طريقة الاشعال فى الطائرة الميج تقوم على أساس الاشعال بالبنزين) ٠

ان هذا التقرير ٠٠ يدعو الى القول بأن طيارى الميراج الاسرائيليينقد قضوا الساعات الطويلة في التدريب على توجيه مدافعهم الموجهة الى مخزن وقود البنزين المزودة به الطائرة الميج ، وهذا يفسرلنا النســـبة المرتفعة للطائرات الميج المصرية التى انفجرت وهى تطير فى الجو فوق جزيرة سيناء قبل أن يستطيع قائدها استخدام تشغيل المقعد المتحرك القاذف ٠

والواقع ٠٠ أن أهمية ســـلاح الطيران بالنسبة للتنظيم العسكرى الاسرائيلى ، قد بدأت مع بداية الدولة نفسها فى سنة ١٩٤٨ ٠ فمن مايو ١٩٤٨ حتى يناير ١٩٤٩كان الطيران الاسرائيلى الناشىء ،٠هو الذىاستطاع ان يوقف زحف المصريين فى حرب ١٩٤٨ بعـــد أن وصـلوا الى مسافة ٣٥ كيلومترا من تل أبيب ٠ من يومها٠٠ واسرائيل تعطى الاهمية القصوى لتطوير وتنمية سلاح الطيران بها ٠ وهذه الأهمية لم يستطع التعبير عنها فى الواقع الا الجنرال (نولكوفسكى) الذى عين فى ١٩٥٣ قائدا للسلاح الجوى ٠ ان قدوم تولكوفسكى الى السلاح الجوى أحدث انقـلابا فى الآراء التقليدية التى كانت سائدة بالنسبة للعقيدة وللاستراتيجية ٠ وكان عليه، ليس فقط أن يكافح ويناضل ضد عـــدم فهم السلطات المدنية له ٠٠ بل أيضا ضد عدم اهتمام هذه السلطات ، وعدم اهتـمام رئيس هيئة أركان حرب السلاح الجوى نفسه ، بكل ما يتعلق بشـــئون الطـــيران ٠ ان (تولكوفسكى) ـ من خلال عمله السابق فى الســـلاح الجـــوى الملكى البريطانى ٠٠ ومن أشتراكه فى معارك البريطانيين ضد الالمان فى الحرب الثانية ـ تعلم عدة مبادىء بسيطة تتلخص فى النقط التالية :

- **أولا : يجب تجهيز السلاح الجوى بطائرات حديثة دائما ، نظرا لأن الحرب الحديثة لا يمكن ان تخوضها الجيوش دون مساعدة فعالة من جانب أسراب الطائرات ـ المطاردة والمقاتلة ـ التىتحمى الأرض من أىهجوم معـاد ، وكذلك أسراب طائرات قاذفات القنابل المطاردة التى تقوم بنقل الحرب الى داخل أرض العدو ٠**

- ان صغر مساحة اسرائيل جغرافيا ٠٠ واحاطة الجيران العـرب بها ٠٠ يفرض عليها أن تضمن لسلاح طيرانها ميزتين أساسيتين : السرعة والفعالية ٠

- ان عنصر السرعة يتوقف على وجود الطائرات الحديثة جدا ، وعلى

درجة تدريب الطواقم البشرية ٠ أما عنصر الفعالية فيتوقف على الانسجام داخل سلاح الطيران ، وعلى تعدد استخدام الأجهزة ٠

أن المبادىء السابقة ٠٠ كان معناها البسيط في التطبيق هو المبدأ التالى : (يجب أعطاء الاولوية القصوى لسلاح الطيران ٠٠وذلك داخل اطار التطوير الحديث للجيش الاسرائيلى كله ٠٠ ويجب أمداد هذا السلاح بأحدث المعدات لكي يكون سريعا فيحول دون أى هجوم مفاجىء ٠٠ أو يفاجىء العدو فى الوقت المناسب ٠ لذا يجب أن تكون طائرات السلاح الجوى من (أسرة) واحدة ٠٠ وبحيث يمكن استخدام كل طائرة فى مهام عديدة ٠

وكان هذا المبدأ ٠٠ يفرض على (تولكوفسكى) أن يدخل فيمناقشات عديدة مع الحكومة لاقناعها بشراء أحدث الطائرات ٠ وخلال المناقشات ٠٠ كان يطيب له أن يكرر الشعار الذى تعلمه من عمله في السلاح الجوى الملكى البريطانى ، وهو الشعار الذى يقول : (لا يوجد سيجار يمكنه أن يتمتع بميزتين : الجودة ٠٠ ورخص السعر) لهذا فان على اسرائيل اذا أرادت طائرات ممتازة ٠٠ أن تدفع غاليا ٠ وهذا ماحدث فعلا عندما بدأت اسرائيل تحصل من فرنسا على طائرات (الميستير) قبل ١٩٥٦ ٠ لقد وقعت الحرب بعد أن تعهدت بريطانيا لاسرائيل بتقديم غطاء جوى لها ٠٠ وفى مقابل ذلك حظرت على اسرائيل أن تجتاز طائراتها خط قناة السويس ٠

ومع ذلك ٠٠ فان حرب ١٩٥٦كانت فرصة لكى يقوم (تولكوفسكى) بتطبيق نظرياته ٠ لقد قرر مثلا ٠٠ أن تتم جميع رحلات الاستكشاف أو المساندة أو المطاردة أو القذف بالقنابل على أساس استخدام طائرتين فقط فى كل تشكيل ، بحيث ، تقوم احدى الطائرتين بحراسة الثانية عند بدء الاشتباك فى القتال ، أو تغطى انسحابها عند الضرورة ٠ ان صيغة هذا (الزوج) الطائر تم تعميمها عند استخدام تشكيلات تضم أربع أو ست أو ثمانى أو ١٢ طائرة ٠٠ كما تفعل الدول الأخرى ٠

وفى سنة ١٩٥٨ ٠ عين الجنرال « ايزير وايزمان » قائدا للسلاح الجوى ٠٠ خلفا لتولكوفسكى ٠ واذا كان الآخر قد أدخل مبدأ تكتيكيا جديدا ، فان وايزمان قد أكد تطبيق هذا المبدأ ، وهو الآخر قد خدم من قبل فى صفوف السلاح الجوى الملكى البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية٠ لهذا٠٠ فان وايزمان هو صاحبشعار «ان السلاحالجوى الاسرائيلى يجب أن يضم افضل الشبان الاسرائيليين » ، وكذلك شعار آخر : « ان اسرائيل يجب حراستها من على ارتفاع أربعين ألف قدم » ٠

وفى الأسابيع القليلة السابقة على حرب ١٩٦٧ ، كان وايزمانيصف الوزراء الاسرائيليين بأنهم مستضعفون عندما لم يردوا على اغلاق ناصر لخليج العقبة فورا ٠ لقد وقف «وايزمان» ونزع من على كتفه الشريط الذى يرمز الى رتبته العسكرية كلواء جوى ، والقاه على منضدة رئيس الوزراء

**قائلا له : « انكم ـ اذا لم تهاجموا فورا .. فانكم تتجهون نحو الفناء » .
ان وايزمان كان يرى أن سلاح الطيران له مهمتان رئيسيتان : المهمة الاولى هى القضاء على قوة العدو الجوية . وعندما تتم هذه المهمة بنجاح.. يمكن أن تبدأ المهمة الثانية ، وهى تقديم المعونة الى القوات البرية .**

أما بالنسبة للمهمة الأولى ، فان النجاح فيها يتوقف أولا وأساسا على عنصر المفاجأة . فبالنسبة لاسرائيل ومصر مثلا .. من يقوم بالهجوم قبل الآخر .. هو الذى سيضمن جميع فرص التفوق الجوى ، وبالتالى سيضمن احراز النصر .

أما العامل الثانى بعد المفاجأة ، فهو ما يسميه الفنيون « قدرة الاستيعاب » ، أى قدرة البلد على تحمل الغارات الجوية . ان هذا معناه أن على اسرائيل أن تضمن وجود جهاز دفاعى مضاد للطائرات شديد الفعالية .. جهاز يبدأ من المخبأ .. وينتهى بأحدث الأسلحة المضادة للطائرات .. بحيث نضمن فى النهاية وجود ستار دفاعى لا تستطيع طائرات العدو المصرى ـ القادمة من أربع جهات ـ أن تخترقه .

والعامل الثالث ـ فى رأى وايزمان ـ هو عدد الطلعات التى تستطيع كل طائرة اسرائيلية أن تقوم بها فى وقت معين .. بالنسبة لعدد الطلعات التى تستطيع فيها طائرات العدو العربى أن تقوم بها فى الفترة نفسها الزمنية . ان هذا العدد يتوقف على نوع الطائرات الموجودة لدى اسرائيل، وعلى كميتها وسرعتها ومستوى صيانتها وكفاية طياريها ومواقع قواعدها.

ان هذه العوامل الثلاثة ، التى كان يراها وايزمان حاسمة لتحقيق النصر .. هى التى ظل يؤكدها ويعلنها منذ سنة ١٩٦٢ ، أى قبل حرب ١٩٦٧ بخمس سنوات . انه لم يكن يؤمن بالرأى التقليدى الذى يرى أن النصر يتوقف على التفوق العددى فى الطائرات ، بل انه كان يعلن دائما : « ان نسبة القوى هى العامل الاخير الذى يتوقف عليه مصير المعركة . ونحن فى حاجة الى طراز من الطائرات يستطيع أن يخترق نظام الدفاع المصرى المضاد للطائرات ، وأن تقوم هذه الطائرات بغاراتها وتقذف قنابلها رغم الرادار .. وأن تتفادى الصواريخ الموجهة من الأرض للجو ، ومن الجو للجو . وبمعنى آخر ، نحن نحتاج فى اسرائيل الى طائرة سريعة تكون قادرة فى الوقت نفسه على نقل القنابل . ان الطائرة التى تحمل عشرة أطنان من القنابل.. تكون مفيدة فقط حينما تساند القوات البرية، ولكنها لا تكون مفيدة فى الهجوم الخاطف السريع على أراضى العدو » .

وعندما جاءت حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ لتؤكد صحة آراء (وايزمان) .. كان هو قد رقى الى منصب رئيس عمليات هيئة أركان الحرب العامة فى الجيش ، بينما كان قائد السلاح الجوى قد أصبح الجنرال « موردخاى هود » .

أن « موردخاى هود » كان يقول للمقربين اليه قبل يونيو ١٩٦٧ :

« لن أندم قط على ذلك الاتفاق الشهير الذى تم عقده فى سبتمبر سنة ١٩٥٦ بين بن جوريون (رئيس وزراء اسرائيل) وسلوين لويد (وزير خارجية بريطانيا) فى « سيفر » بشأن العمليات الجوية ٠ لقد كان ذلك الاتفاق يضمن لنا الغطاء الجوى من جانب سلاح الطيران البريطانى ، كما أنه كان فى الوقت نفسه يحرم علينا اجتياز قناة السويس بطائراتنا٠ ومع ذلك كان فى استطاعتنا أنا وزملائى ـ ونحن نقود طائرات الأوراجان والتشكيل الأول من طائرات الميستير ـ أن نقرر مصير سلاح الطيران المصرى، لولا تلك العقبة التى وضعوها أمامنا بتحذيرهم هذا ٠ وكنا نستطيع بسهولة نسبية أن نقوم بما لم ينجح السلاح الجوى الملكى البريطانى «المتغطرس» فى القيام به بصورة مرضية ، الا وهو القضاء نهائيا على سلاح الطيران المصرى وهو جاثم على الارض٠٠ وكانت مصر حينئذ ستحتاج الى سنوات طويلة لكى تقوم من كبوتها بعد مثل تلك الضربة التى كنا نستطيع أن نكيلها لها ٠ »

والواقـــع ان « موردخاى هود » الذى كان هـــذا رأيه بالنســبة للطيران المصرى سنة ١٩٥٦ ٠ قد أصبح هو المسئول فى سنة ١٩٦٧ عن تنفيذها عندما قررت اسرائيل أن تبدأ هجومها ضد مصر ٠

فبمجرد أن اتخذ القرار بالحرب ٠٠ بدأ السلاح الجوى ـ مثل باقى أسلحة الجيش يستعد لساعة الصفر ٠ ولأن السلاح الجوى كان عليــه أن يقوم بالمهمة الأولى فى الحرب ، ولأن المفاجأة كانت أهم عنصر لنجاح تلك المهمة ٠٠ فقد تم ترتيب كل شىء يؤدى الى تحقيق النتيجة المطلوبة ٠

فبالاضافة الى الاستعدادات المتوقعة لبدء الحرب ، وبالاضــافة الى الطلعات الاستكشافية المستمرة التى قامت بها الطائرات بدون انقطاع ليلا، ونهارا ، منذ اتخذ ناصر خطوته الشهيرة بسحب قوام الامم المتحدة ٠٠ فان السلاح الجوى الاسرائيلى قام بخدعة قصد منها خداع العدو المصرى ، وتحويل نظره عن النوايا الحقيقية لاسرائيل فى حالة نشوب الحرب ٠

فبينما كان زوجان من طائرات ميراج الاسرائيلية تجوب بصفة مستمرة حدود غزة ، كما كانت تفعل منذ بداية حالة التوتر ، قام زوج ثالث من الطراز نفسه بالتحليق فوق شرم الشيخ، وكان هدفا لضرب مركز من جانب البطاريات المصرية المضادة للطائرات التى تمركزت فى الطرف الجنوبى من سيناء ٠ وقد استطاعت الطائرتان أن تلتقطا صورا فوتوغرافية تثبت ان لواء مصريا قد وصل الى هذا المكان لتعزيز الدفاع عنه ، وعادت الطائرات الميراج تحلق فوق شرم الشيخ أيام ٢ و ٣ و ٤ يونيو ٠٠ مما جعــل هيئة أركان الحرب المصرية تعتقد أن السلاح الجوى الاسرائيلى يستعــد لمهاجمة سيناء من الخلف ــ من جهة البحر الأحمر ٠

وكانت هناك خدعة أخرى من شأنها تضليل العدو المصرى ، وهى التى قام بها الجنرال موشى دايان ببراعة فائقة حينما أعلن يوم ٣ يونيو

فى مؤتمر صحفى قوله : « لقد مضى الوقت الآن وضاعت فرصة القيــام برد عسكرى تلقائى ٠٠ كما لم يحن الوقت بعد لاستخلاص النتائج من التمل الدبلوماسى الذى تقوم به الحكومة » ٠

وفى اليوم نفسه ـ السبت ٣ يونيوـ منح آلاف الجنود الاسرائيليين يوما للراحة قضوه فى المدن الكبرى وفى القرى ، كما رقص عدد كبير من الطيارين مساء الجمعة ومساء السبت على أنغام الموسيقى فى تل أبيب ٠ وفى مساء يوم الأحد ٤ يونيو نام كل الجيش الاسرائيلى فى ساعة مبكرة ٠ الا ان المواقع الامامية القريبة من غزة والواقعة على حدود سيناء ومحطات الردار المضادة للطيران قد لاحظت عصبية غير عادية من الجانب المصرى ٠ فقــد تحرك لواء مصرى مدرع ليلة ٤ و ٥ يونيو فى اتجاه الحدود ، ثم ظهـــر سرب جديد من طائرات الميج على شاشات الرادار عند بزوغ أول أضواء النهار وهبطت تلك الطائرات فى العريش ٠

وعلى ذلك ٠٠ فخطط الخداع الاسرائيلية ٠٠ نجحت تماما فى اقناع العدو المصرى بانه لا يوجد هناك خطر هجـــوم وشيك الوقوع من جانب اسرائيل بالاضافة الى أن تحركات المصريين لم تكن تحركات حرب ، بقدر ما كانت تحركات لاعطاء مظهر الحرب ٠

وهكذا كان الموقف عندما اعلن الجنرال «موردخاى هود» فى تلك الليلة قائلا لرؤساء هيئة أركان الحرب ٠ « الخطة كولومب جاهزة للتنفيذ » ساعتها أعطى «الجنرال رابين» رئيس هيئة أركان الحرب الاشارة المتفق عليها وهى « اذهبوا » فذهبوا ٠

وكانت الساعة وقتها هى السابعة و ٤٥ دقيقة (الثامنة و ٤٥ دقيقة بتوقيت القاهرة) ٠

٠٠ وهكذا نشبت الحرب ٠

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



الطريق إلى الحرب

تأليف: وولتر لاكير

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

الفكرة الرئيسية .. التى يعتمد عليها هذا الكتاب.. هى أن الاحداث التى سبقت حرب ١٩٦٧ اكثر اهمية من أحداث الحرب نفسها ٠ ان العقلية السائدة ، والافكار المنتشرة على جانبى خط القتال ، هى التى ادت فى النهاية الى الانتصار الضخم فى جانب ، والهزيمة الفادحة فى جانب آخر ٠ بهذا المفهوم ، فان الكتاب يتركز اساسا ، على الأحداث خلال الأسابيع الثلاثة السابقة للحرب ، ولكنه يحلل أيضا الظروف التى حالت دون تحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى العالم العربى ، مع تركيز على عرض الأوضاع الاقتصادية فى مصر قبل الحرب ٠ ومع الأهمية التى يعطيها الكتاب لعنصر المفاجأة فى جانب اسرائيل ، والضعف القيادى فى جانب العرب ٠٠ الا انه يعطى اهمية كبرى لما يسميه (الفوضاء الدعائية الهيستيرية) العربية .. وخصوصا مصر .. باعتبارها ـ فى رأيه ـ سببا رئيسيا ادى الى الهزيمة ٠ ان المؤلف ـ وولتر لاكير ـ كان رئيسا لتحرير مجلة (الشرق الأوسط) التى تصدر فى لندن ، وقد اصدر من قبل كتابين ، الأول بعنوان (الشيوعية والقومية فى الشرق الاوسط) ٠٠ والثانى بعنوان (الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط) ٠

وهذا الكتاب (الطريق الى الحرب ـ ١٩٦٧) ٠٠ هو واحد من الكتب التى كان محظورا حتى الآن ٠٠ تداولها فى مصر والبلاد العربية ٠

* * *

كانت حرب يونيو ١٩٦٧ ـ بين اسرائيل والدول العربية ـ واحدة من اقصر الحروب التى شهدها التاريخ واقلها دمارا ٠ ففى المجال الدولى لم يكن لها سوى تأثير غير مباشر ٠ ولا يزال الوقت مبكرا للغاية لكى نقرر ما اذا كانت ستعتبر نقطة تحول فى تاريخ الشرق الأوسط ٠ ولكن الشيء المؤكد ٠٠ هو انها من أهم المواجهات فى عصرنا هذا ٠٠ انها تضم كافة المقومات الضرورية : التحـولات غير المتوقعـة والاضـطرابات والنصر والمأساة ٠

اننى أريد ان اقول ـ فى هذا الكتاب ـ أن الأسابيع الثلاثة السابقة على الحرب هى أكثر أهمية من الحرب نفسها ٠ واريد أن اقول أيضا أن ما كشفت عنه الحرب هو أكثر خطورة ٠ ان هناك قضيتين : قضـية عربية ٠٠ وأخرى اسرائيلية ٠ وأنا هنا أحاول أن اؤكد ذلك بوضوح فى

كافة اجزاء هذا الكتاب . ان العالم العربى يعانى آلام ازمة كبرى ، بعد أن كشفت النكسة العسكرية في يونيو ١٩٦٧ عن مرض مستفحل للغـــاية ليس موجودا فى ساحة القتال فقـــط ، بل فى أجهزة الاعلام ايضا .

لقد قام الاعلام العربى .. بصبغ الآمال العربية بصبغة ثورية الى حد عدم القدرة على تحقيق هذه الآمال .. وكان لابد أن يؤدى هذا الى شعور بخيبة الأمل العميقة ، بل الى الفوضى في أغلب الأحيان . لقد كان رد الفعل العربى فيما بين سنتى ١٩٤٨ و ١٩٦٧ يتسم بعدم المنطقية ، بشكل يشبه فى بعض الحالات .. الثورة الثقافية فى الصين . ان موقف الصين من العالم الغربى ، شأنه شأن العالم الاسلامى ، كان على مر القرون يتميز بالتفوق والرضا عن النفس ، حتى جـاء القـرن التاسع عشر وأدركت الصين فجأة ان الغرب الحقير يفوقها فى القوة الى حد كبير ، وانه يزداد ثراء وقـوة على مر الأيام . لقـد تغير الموقف الشرقى الى منافسة جادة ، وكان المعتقد انه عن طريق الدراسة والمحاكاة ، سيكون من الممكن اكتشاف ، بل تطبيـــق السر الخادع لقوة الغرب . وبدلا من ذلك الموقف العربى ـ موقف الاعجاب والمحاكاة ـ قد حل محله موقف الاحتقار والرضا عن النفس .

لقد كانت الثورة الثقافية فى الصين ـ شأنها شأن ازمة العالم العربى ـ هى نتيجة لاستمرار الفجوة بين الطموح وتحقيق الطموح ، ومما أدى الى تفاقم الشعور باليأس فى العالم العربى .. هو أنه لا يضم ٧٠٠ مليون نسمة ، بل لا يملك قنبلة هيدروجينية .. والاعتقاد الذى انتشر قبل ١٩٦٧ بأن النظريات السياسية والاقتصادية يمكنها ان تصنع ـ بنفسها ـ المعجزات .

لقد أدت هزيمة العرب العسكرية ســنة ١٩٤٨ ـ الى سقوط جيل الملك عبد الله ونورى السعيد ، وقيام جيل آخر من القادة الأكثر وطنية وتطرفا ، بل الأكثر حيوية . ولكنه كان في الوقت نفسه أكثر مسئولية وأكثر طموحا ، بل أكثر كذبا وهيستيرية في أغلب الأحيان . لقد انتشر بين القادة العرب ـ فى الســـنوات السابقة على هزيمة ١٩٦٧ ـ شعور بالاحتقار لاسرائيل ، رددوه لأنفسهم ولشعوبهم .. مما أدى الى وقوعهم في النهاية فى (المطب) نفسه الذى حفروه هم . ولو أخذنا هنا مثـــالا واحدا ، فاننى ـ كيهودى ـ سوف أختار مجلة « القوات المسلحة » لسان حال الجيش المصرى ، عندما كتبت فى عدد ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٤ تقــول :

«ان اليهودى .. بروحه وشخصيته .. لايملك صفات الرجل الذى يحمل السلاح . انه بطبيعته غير مستعد للتضحية بحياته فى سبيل أى شيء ، حتى اذا كان هذا الشيء هو ابنه أو زوجته . فاذا كان هناك

اليوم رجل في اسرائيل يحمل السلاح ، فانه يفعل ذلك ، لأنه يعلم علم اليقين ، أن هناك رجلا آخر سيسبقه ويقف أمامه ، وليس خلفه ، للدفاع عنه عندما يحين الوقت .

واذا كانت هذه اللهجة التي تستخدمها مجلة عسكرية مصرية مع جمهورها العسكري ، فانه على الجبهة المدنية أيضا .. كانت الاذاعة المصرية تؤدي الدور نفسه ـ حتى في لحظات الأزمة والتعبئة والتحدي . ففي اذاعة صوت العرب مثلا يوم ١٦ مايو سنة ١٩٦٧ ـ نجد هذه العبارات :

« يا عرب .. هذه تفاصيل كاملة ودقيقة لقوة اسرائيل العسكرية تم الحصول عليها من مصادر تعلم تماما الحقيقة الكاملة عن اسرائيل . ان اسرائيل لديها عدد من دبابات شيرمان القديمة التي تم اصلاحها لكي تلائم ماكينات الديزل والمدافع الفرنسية عيار ١٠٥ ملليمترات ..وتستطيع اسرائيل وقت الحرب .. ان تعبيء خلال ثمان وأربعين ساعة ٢٥٠ الف جندي للقيام بواجبات الحراسة في الداخل ، ولكنهم لن يستطيعوا الاشتراك في المعارك التي تتدخل فيها الجيوش النظامية » .

ان هذه النظرة السيكولوجية العربية قبل ١٩٦٧ كانت مزدوجة، وكانت متناقضة في ازدواجيتها . فبينما كان الشعور باحتقار اسرائيل ـ كعدو ـ متأصلا .. فانهم كانوا ينظرون الى اليهودي باعتباره متمتعا بنفوذ واسع النطاق ، فهو يدير الأمور خفية في العالم الغربي بفضل ما يتميز به من دهاء بالغ واتصالات واسعة النطاق وموارد هائلة .. لقد كان اليهودي ـ في نظرهم ـ وراء كنيدي ، بل وراء عملية اغتياله أيضا ، وعموما فان له يدا في جميع الفضائح ومظاهر الفساد في العالم .

واذا كان هذا يصدق على العرب بصفة عامة ، فانه يصدق على مصر بالذات . وبعد حرب ١٩٦٧ ـ أدرك المصريون ان دعايتهم وتصورهم لليهود كان خطأ تكتيكيا فادحا ، اعلاميا ونفسيا ، ولكن الوقت كان قد فات والكارثة كانت قد وقعت فعلا ، دون أن يأخذ العرب درسا على الاطلاق من هزيمة ١٩٥٦ .

اننا لو اردنا ان ندرس أسباب حرب ١٩٦٧ ، اسبابها كهزيمة فادحة بالنسبة للمصريين .. وأسبابها كانتصار ضخم بالنسبة للاسرائيليين .. فان علينا في الواقع ان ندرس السنوات بين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . اندراسة اسلوب تفكير وتصرف وعمل الطرفين خلال تلك الـ ١١ سنة الفاصلة .. هو الذي جعل بعد ذلك الطريق مفتوحا الى كل من الهزيمة الفادحة والانتصار الضخم . لقد كانت الأخطاء التي ارتكبها العرب في تلك الفترة .. هي مزايا في جانب الاسرائيليين ، كما كانت الدروس

التى استفادها الاسرائيليون هى بدورها أوجه نقص فى العرب عندما حانت اللحظة المناسبة للتحدى فى سنة ١٩٦٧ .

لقد دخلت اسرائيل حرب ١٩٥٦ باتفاق سابق مع بريطانيا وفرنسا . واذا كانت المظلة الجوية البريطانية الفرنسية فى تلك الحرب قد جعلت مهمة اسرائيل أكثر سهولة .. الا أن العلاقة بين الدول الثلاث قد أدت ــ من الناحية السياسية ــ الى تشويه العملية بأكملها ، الأمر الذى أضر بالمصالح الاسرائيلية ٠٠ فمن الناحية العسكرية كان النصر العسكرى الاسرائيلى مؤثرا ٠ ولكن ، لما كان هذا النصر قد تحقق بالتواطؤ مع فرنسا وانجلترا ، فقد كان باستطاعة ناصر أن يقول ــ بطريقة مقبولة ظاهريا ــ ان مصر كانت تستطيع أن تهزم اسرائيل لولا التدخل الانجلو فرنسى٠ وعلى ذلك ٠٠ فان الدرس العسكرى لم يكن قاطعا على نحو ما كان الاسرائيليون يأملون . واذا كان الاسرائيليون قد خرجوا من حرب ١٩٥٦ وهم يعلمون أنهم انتصروا عسكريا وهزموا سياسيا ، فان مصر خرجت ــ وهى تعلم ــ انها انتصرت سياسيا ٠٠ وتتصور أنها انتصرت كذلك عسكريا ٠

اننا ــ كيهود ــ نعلم ان اسرائيل لم تجن حتى عام ١٩٥٦ سوى فترة راحة . غير ان اسرائيل استطاعت أيضا ان تخرج منها بدروس مستفادة سرعان ما بدأت فى تطبيقها . وبالاضافة الى العمل السياسى والعسكرى ، فقد كانت هناك أيضا حالة من الرخاء الاقتصادى ، وكثرت السيارات الجديدة التى تزحم المواصلات ، وأصبح مألوفا للكثير من الاسرائيليين القيام برحلة الى الخارج كل سنتين أو ثلاث سنوات ، وزادت معدلات النمو الاقتصادى وزادت الصناعة ــ فى عام ١٩٦٢ مثلا بنسبة ١٣٪ عنها فى العام الذى سبقه ٠٠ وحتى فى الزراعة ــ حيث التقدم بطىء للغاية ــ أمكن النهوض بها بنسبة ٨٪ ، وارتفع انتاج البيض بدرجة كبيرة ، بحيث أصبحت اسرائيل تصدر كميات كبيرة منه الى أوربا ، بالاضافة الى الفواكه والخضروات .

ولكن الصورة ، فى الواقع ، لم تكن مشرقة تماما ٠ لقد ارتفعت مستويات المعيشة بدرجة أسرع من الانتاجية ، وكانت البلاد تعيش نموا يتجاوز مواردها ، ولم يكن التقدم الاقتصادى متناسقا ٠٠ فقد كان هناك سوء تقدير خطير فى بعض الميادين ، وكان عدد المتعطلين يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ ألف ، وهى نسبة عالية للغاية من اجمالى الأيدى العاملة .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد أحدثت المشكلات السياسية والاجتماعية المزيد من الاهتمام . ففى مجال السياسة الاسرائيلية .. كان الميل نحو الانقسام والتفكك يتقدم بمعدل يدعو الى الانزعاج . وقد أصبح المثل القديم الذى يقول « ان وجود ثلاثة يهود ــ معناه وجود أربعة أحزاب سياسية ــ قريب جدا من الحقيقة ٠ لقد حدث الشقاق فى صفوف حزب الماباى ٠٠ وكذلك حزب حيروت ، بل الحزب الشيوعى أيضا ٠

وهناك أيضا استياء وضجر متزايد بين الجيل الصغير ، نحو الجيل الأكبر من القادة ـ الجيل العتيق من اليهود الذين جاءوا من أوربا الشرقية . ومما أكد هذه الفجوة هو أن سياسيي المدرسة القديمة لم يبادروا فى سرعة بأن يفسحوا مجالا للجيل الجديد . انزعجوا من افتقار هذا الجيل للمثل والمبادىء التى كانت فى أغلب الأحيان تصل الى حد السخرية السافرة .

ومن الممكن أن نستطرد فى ذكر نواحى القصور والفشل ، ولكننا ـ كيهود ـ يجب أن نعلم .. ان ماحققته اسرائيل ومافشلت فى تحقيقه، يجب أن يقاس على ضـوء ما حققته الدول الأخرى . فاسرائيل ـ بسكانها البالغ عددهم مليونين ونصف مليون ، كان اجمالى انتاجها القومى فى سنة ٦٦ / ١٩٦٧ يتساوى مع اجمالى الانتاج القومى لمصر التى يبلغ تعدادها ٣٠ مليونا .

وفى مقابل ذلك ، فلو أخذنا مصر فى فترة ما بين الحربين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) فسوف نجـد صـورة أخرى .. لقد خاضت مصر ثورتها الاجتماعية ، واختفت الطبقات الحاكمة من الباشوات واتباعهم ، وحلت محلهم الطبقة الجديدة من صغار الضباط والتكنوقراطيين . وقد أصبح من العادى أن يحصـل معظم الضباط على وظائف مدنية . وأصبح « صوت العرب » من العناصر السياسية الكبيرة فى كافة أرجاء الشرق الأوسط .

ومما لا جدال فيه .. أن الطبقة الجديدة كانت صادقة فى رغبتها فى تحقيق الانتعاش القـومى والاصلاح الاجتماعى ، وكان بعض أعضاء هـذه الطبقة من الرجال القادرين .. على حين كان البعض الآخر من الفاشلين . ولكن بصرف النظر عن الانجازات الضرورية ، فقد فقدت الطبقة الجديدة تدريجا مثاليتها والاحساس المشترك فيما بينها . لقد بدأت تؤيد الأمر الواقع ما دامت امتيازاتها التى تتمتع بها فى ظل النظام الجديد لم يمسسها أى ضرر ، وساعد على ذلك .. أن البوليس السرى أصبح يشـكل دولة داخل الدولة ، وهو جهاز لا يسـتطيع بطبيعته أن ينحرف فى مجتمع مفتوح ، ولذلك فلا بد له دائما من مجتمع مغلق، بحيث أصبح رئيس الدولة نفسه هو مثلا الذى يقدم الكثير من الصحف، وهو وحده الذى يعلم حقيقة ما يجرى .

ولكن مع ذلك .. فان الخبراء الاقتصاديين فى مصر، لم يكونوا راضين تماما عن الأوضاع الحقيقية فيما وراء الأرقام والتصريحات الخلابة عن الانتصارات الجديدة فى الجبهة الاقتصادية .

ان هذه الأشياء لم تتضح الا بمضى السنين ، ولم تظهر أضرارها الا بعد أن وقعت فعلا . وعموما فقد كان عام ١٩٦٠ هو أوج الناصرية . ولكن فى العام التالى مباشرة ـ ١٩٦١ ـ بدأ المد ينحسر . ففى شهر

سبتمبر انفصلت سوريا عن مصر ، وفي العام التالي اشتعلت الحرب الأهلية في اليمن ، وتدخل ناصر بستين ألف جندي في حرب ضروس. وبدأ العالم الثالث في التفكك .. فقد توفي نهرو واختفى كل من بن بيللا ونكروما وسوكارنو ، وبدأت تنمو معارضة متزايدة للناصرية .. حتى داخل العالم العربي .

وفي الوقت نفسه ـ وبرغم العلاقات الوثيقة بين مصر والاتحاد السوفيتي ـ فقد كانت لا تزال هناك علاقات طبيعية بين مصر وأمريكا ، رغم انها لم تكن علاقات ودية . وقد جاءت نقطة التحول في عام ١٩٦٤. ولم يكن هناك سبب معين واضح لهذا التدهور الذى لم يحدث فجأة . لقد كانت حرب اليمن أحد هذه الأسباب . وبالرغم من ان أمريكا كانت واحدة من بين الدول الاولى التى اعترفت بالنظام الموالى للناصرية هذا ، فقد ايدت أيضا السعوديين المؤيدين للملكيين فى اليمن . وقد وقعت عدة حوادث صغيرة اوضحت ان المصريين قرروا اثارة الامريكيين على قدر الامكان . فقد أحرقت الجماهير المكتبة الأمريكية فى القاهرة . ولم تسارع فرقة المطافىء ـ التى تقع على مقربة من مكان الحادث عبر الطريق الى التدخل . واسقطت طائرة مدنية امريكية ... وكانت السلطات المصرية بطيئة حتى فى تقديم الاعتذارات التى تتميز بعدم الاكتراث . وبالاضافة الى ذلك .. كان هناك تردد متزايد فى أمريكا لتقديم ـ او الاستمرار فى تقديم ـ مساعدة اقتصادية الى مصر . وقد أدى هذا الى اثارة غضب القاهرة بدرجة كبيرة .

اما بالنسبة للعالم العربى فى فترة ما بين الحربين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) فقد كان هناك غليان لم يسبق له مثيل . فاذا بدأنا بسوريا.. فاننا سنجدها على الدوام أكثر البلدان تطرفا . وتعتبر الانفعالات السياسية فى سوريا أكثر حدة منها فى البلدان العربية الأخرى وأكثر تعصبا . ذلك أن السوريين ـ على عكس المصريين ـ لا يشتهرون بروح الفكاهة . ان سوريا بلد يتسم بالتعاسة . لقد عاشت عدة انقلابات عسكرية خلال تاريخها القصير أكثر من أى بلد عربى آخر . والاحتكاك بين الجماعات الدينية والعنصرية لا يزال له أكبر الأثر على الحياة السورية .

وعموما .. فان العالم العربى ـ بل العالم كله ـ كان يشهد تصعيدا فى حدة المشاكل القائمة ، بحيث عندما وصلنا الى سنة ١٩٦٧ كان ربيع تلك السنة قد يصبح أكثر خطورة من أى عام سابق . لقد صعدت أمريكا حربها فى فيتنام.. وأصبح هناك خوف من أن يكون صيف ١٩٦٧ اكثر سخونة من الصيف السابق . وكان للاتحاد السوفيتى هو الآخر مشاغله الخاصة . لقد تتابعت تلك التطورات العالمية فى بداية تلك السنة ، بحيث أصبح من الصعب ـ ان لم يكن من المستحيل ـ تحقيق التقدم بالنسبة لأية قضية على الاطلاق .

وفي مايو ١٩٦٧ ـ كانت كافة العناصر التي تحتم اندلاع الحرب في الشرق الأوسط قد أصبحت موجودة ومؤثرة ، وأصبح هناك مزيد من التوتر لم يسبق له مثيل بين سوريا وإسرائيل انضمت اليه مصر ، وسرعان ما بدأت الأحداث المعروفة من طلب مصر سحب قوات الطوارىء الدولية ، الى اغلاق مضيق تيران •

ولقد نشبت الحرب في شهر يونيو نتيجة لسلسلة من الحوادث بدأت قبل ذلك الموعد بثلاثة أسابيع ، انها حالة تنطوى على الكثير من الشواهد التى تنم عن التصعيد •• ذلك ان حادثة تقود الى أخرى ذات نتائج مؤكدة •• كما أن التقديرات بدت أكبر مما كانت عليه في الماضي، فضلاً عن أن الارتجال والمصادفة قد لعبا دورا كبيرا ، كما ان التصريحات سرعان ما بدأت تتسابق لتصعيد الموقف من كلا الجانبين •

ولكن المشكلة على الجانب العربى •• كانت الضوضاء الهستيرية التى تصبح ضارة من النقطة التى يبدأ فيهـا أصحابها فى تصديقها ؛ لانها تدل على حالة نفسية سرعان ما ادت الى نتائج مادية فى ساحة القتال •

واذا كان أسلوب الاذاعات وأجهزة الاعلام العربية ـ وخصوصا المصرية ـ فى تلك الأسابيع الثلاثة ، اذا كان قد بدأ ناجحا وقتها •• فانه نجح لان المستمعين ارادوا أن يسمعوا دعاية من هذا القبيل ، وهى الدعاية التى خاطبت مشاعرهم أكثر من الأسلوب الغربى ، (أو حتى السوفيتى) غير العاطفى • ويتعين اجراء دراسة خاصة حول مسئولية اذاعة القاهرة في الكارثة التى حلت بمصر عام ١٩٦٧ • لقد كان هذا النوع من الدعاية هو مصدر قوة ظاهرية ، ومصدر ضعف حقيقى على السواء • وقد أمكن ادراك ذلك ـ ولكن بعد أن وقعت الهزيمة العسكرية •• فان مجلة (المصور) المصرية قالت بعد الهزيمة مثلا •• (لقد كنا نقول أشياء لم تكن نعنيها على الدوام ، ومن ثم عادينا كذلك أصدقاءنا) •• ومما لا شك فيه ان هذا صحيح ، الا ان عمل استقصاء حول اثار هذه الدعاية لا يتعين أن يكون محدوداً فى اطار الأثر الذى أحدثته فى الخارج• لقد وقع تأثيرها أساسا على العرب ، ومن ثم كان أصحاب الدعاية هم أولا وأخيرا ضحاياها • لقد أدت تلك الدعاية الى اثارة توقعاتهم الى النقطة التى يصعب عندها أن تتحقق الوعود • لقد أدت مثل تلك الدعاية الى تقوية الميل الداخلى لكثير من العرب نحو خداع انفسهم •

ان العرب يتمتعون بكثير من الصفات الجذابة (التى يفتقر اليهود الى بعضها) ، فهم يتمتعون بمقدرة تكاد تكون غير محدودة على ان يؤمنوا بما يريدون أن يؤمنوا به • ان هذه السمة من سمات الشخصية العربية لا يمكن التأثير عليها بقوة • انها توضح كل ما يتعلق بنشوب الحرب وما خلفت من آثار • ذلك أن الدعاية التى كانت تنبعث من القاهرة ودمشق وبغداد ، كالسيل المنهمر حول ما يتميز به العرب من

ثقافة وتقدم اقتصادى وقوة عسكرية .. قد قبلت بحماس لانها تنفق والحاجة العاطفية لشعب ابى .. تلك الحاجة التى قويت بدرجة كبيرة فى كثير من الاعتبارات فى القرون الاخيرة ، ولكنها لم تستطع ان تتمشى ومكانتها فى العالم الحديث ، وانما كانت تشعر باستياء تجاه هذا العالم. ومن هنا جاءت الحاجة الى خلق عالم خيالى .. حيث يمكن حل كافة المشكلات الهائلة التى يتعرض لها العرب . وفى ظل هذا العالم الخيالى يمكن بناء المشروعات الصناعية فى وقت قصير للغاية ، كما يمكن كسب المعارك دون اية خسائر ، والقضاء على الاعداء .. ففى هذا العالم الخيالى لا توجد مقاومة ولا توجد عقبات .. وقد ادت هذه الدعاية الى خلق التخيـــلات بين العرب حول قوتهم ودعمت ميلهم ـ الذى كان قويا على الدوام ـ الى تجـاهل الحقـائق غير المرضية . وفضلا عن ذلك .. فان هذه الدعاية لم تؤثر على الجماهير فقط ، وانما اثرت فى المدى الطويل على القادة انفسهم ، وانعكس ذلك بالطبع على ارائهم ، وعلى ما يصدرونه من احكام .

ومثلما كان للدعاية العربية فى ١٩٦٧ اثرها على العرب انفسهم ، فان المشكلة كلها ، حتى نشوب الحرب فعلا ، كان لها اثر عميق على الراى العام فى جميع بلاد اوربا وامريكا .. ولم يحدث منذ الحرب الأهلية الأسبانية أن كانت المشاعر منقسمة بمثل ما حدث فى الأسابيع الثلاثة السابقة على خمسة يونيو ١٩٦٧ .. ذلك ان هذا النزاع أصبح لفترة من الزمن مسالة داخلية خطيرة فى فرنســا وايطـــاليا ، بل كانت هناك مشاهد عاصفة داخل البرلمان الهندى .

ان وضع تحليل دقيق للرأى العام ـ ابان الأزمة ـ فى عدد من دول العالم لايمكن ان يتم الا فى صورة كتاب قائم بذاته ، بل وبما سلسلة من الكتب ، ولكن الاتجاهات العامة ظهرت وقتها بوضوح حتى من خلال عمليات البحث السطحية .

لقـد تلقى ناصر والســوريون تاييدا كبيرا ، بل متحمسا فى اغلب الأحيان من جانب العالم العربى وشمال افريقيا والعالم الاسلامى .. اما خارج نطاق هذه الدائرة ، فكانوا ينعمون بالبركات الرسمية من الكتلة السوفيتية والصين وبعض دول اسيا وافريقيا .. اما اسرائيل فقد كان هنـــاك عدد كبير من المتعـــاطفين معهـا فى اوربا والأمريكتين بالاضافة الى عدد اقل فى أجزاء من آسيا وافريقيا .

ان هـــذا السرد لتطورات الأزمة ينتهى صباح الخـامس من يونيو ١٩٦٧ .. وان ازيز طائرات الميستير والميراج التى اخذت ترتفع من المطارات الاسرائيلية ، يمكن أن يزود أحد المخرجين السينمائيين بنهاية دراماتيكية .. فى حين أن هذه النهاية غير مرضـــية من وجهة نظـــر المؤرخ للاحداث ..

ولكن ، من الواضح انها النهاية القاطعة لهذه الدراسة . اذ أن ذلك اليوم قد شهد سلسلة جديدة من الحوادث لم تظهر نهايتها فى الأفق بعد .. فقد حجبت الحرب والنصر الاسرائيلى السريع الفترة التاريخية التى سبقت النزاع ، فترة المخاوف والشكوك والتردد .. ولكن من الأشياء التى سرعان ما أصبحت فى طى النسيان ، ذلك الارتباك والقرار المشئوم الخاص بفترة التأهب للقتال .

لقد ادت الحرب الى تغيير نظرة الجميع الى الأزمة التى سبقت الحرب .. وذلك انها القت اضواء ضخمة على سياسة الحكومة الاسرائيلية ، الى درجة أن التردد أصبح يبدو وكأنه أمر مقصود .. وحتى الاخطاء أخذت شكل المناورات الروتينية .. وفى الواقع انه — برغم كل تصور — فإن نتيجة الحرب كما نعرف جميعا الآن ، لم تكن قط موضع جدل . ويحتمل الا تكون النتيجة قد تغيرت كثيرا لو أن الحرب قد نشبت فى الخامس والعشرين من مايو أو فى الخامس عشر من يونيو .

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



العرب وإسرائيل

تأليف: تشارلز دوجلاس هيوم

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

يقوم هذا الكتاب على نظرية اساسية ، هي ان الازمة بين اسرائيل والعرب هي اساسا مشكلة سياسية ، ولا يمكن حلها عسكريا . وما دام العرب ـ منذ ١٩٤٨ حتى الآن ـ لم ينفذوا فعلا اية حلول عسكرية ضد اسرائيل ، فمن المفهوم ان المؤلف يقصد بمنطقه هـذا .. ان يدحض الاساس الذى يعتمد عليه التفكير الاسرائيلى . ان المؤلف يقـول فى الكتاب بصراحة : ان اعتماد التفكير الاسرائيلى على استخدام الحلول العسـكرية فى كل مرة ، هو امر لا يحل فى النهاية اى شىء ولا يغير أى وجه من أساسيات المشكلة .

واذا كانت هذه تعتبر نقطة ايجابية فى تفكير المؤلف ، فان هناك نقاطا اخرى كثيرة يختلف فيها المؤلف مع تفكيرنا تماما .

ان المؤلف هو « تشارلز دوجلاس هيـوم » وهو انجليزى قام بتغطية اخبـار حرب ١٩٦٧ صحفيا باعتباره مراسلا حربيا لصحيفة « التايمز » البريطانية . لقد وصل الى اسرائيل قبل نشوب الحرب باسابيع قليلة ، واستمر هناك الى انتهاء الحرب .

وفى تحليل المؤلف لأسباب حرب ١٩٦٧ ، فانه يقول ان شيئا ما لم يكن ليوقف اسرائيل عن الهجوم .. اللهم الا ان تعلن أمريكا وبريطانيا انهما سوف تساندان العرب ، وهو الأمر الذى يرقى الى مرتبة الاستحالة من الناحية السياسية .

ومع وجود خلافات كثيرة مع النتائج التى انتهى اليها المؤلف فى فصول الكتاب ، الا ان المؤلف فى كتابه هذا .. يمثل نموذجا للاسلوب البريطانى فى تحليل مشكلة فلسطين ومشكلة الوجود الاسرائيلى فى الشرق الأوسط .

* * *

منذ قيام دولة اسرائيل فى مايو ١٩٤٨ نشبت حروب ثلاث بينها وبين جيرانها العرب ، ومـع انتهـاء كل حرب .. كان انتصار اسرائيل العسكرى أكثر مضاء من سابقه ، وهزيمة العرب أشد اذلالا من سابقتها، ومع ذلك .. فليس هنـاك ما يدل على أن جيل المنـازعات هـذا قد ولى وانتهى .

ولقد ترتب على كل حرب موقف متغير . فالحرب الاولى تمخضت عن قيام اسرائيل ، والثانية دعمت مركزها ، أما الثالثة (١٩٦٧) فقـد

حققت لهـــا امبراطورية ، غير أنه ليس هناك ما يدل على وجـود نهاية لكل هذا ، ان الشك فى النوايا الطيبة من كلا الجانبين .. والشعور بتغير ميزان القوى .. كلها اتجاهات مألوفة فى الفورة الاولى لفترة ما بعـد الحرب ، ثم لا تلبث تلك الاتجاهات أن تذوب وتتفتت تدريجا على صخرة المستحيلات السياسية فى الموقف العربى .

ان المشكلة بين اسرائيل والعرب هى مشكلة سياسية .. بلا حـل عسكرى . ولقد واتت الشرق الاوســط فرص أكثر مما واتت غالبيـة المناطق الأخرى في العالم لكي يكتشف بصفة قاطعة .. انه لا يمكن حل المنازعات بمجرد استخدام السلاح .

واذا كان النزاع بين العرب واسرائيل اكثر من مجرد صدام بين جيوش متصــارعة ــ او حتى بين مجتمعات متصــارعة تدعمهـا قوات عسكرية ــ فماذا عساه أن يكون اذن .

لعل من الضرورى ، استبعاد الاعتقاد الخاطىء بان هـذا النزاع مظهر آخر من مظاهر العداء للسامية من ذلك النوع الذى قد يجـده المرء فى نوادى الجولف البريطانية او الأمريكية .. انه ليس بالتحديد نتاجا لنفور عنصرى بين العرب واليهود ، فتاريخ الجماعات اليهودية فى العالم العربى ليس على نصف بشاعة تاريخها فى المجتمعات المسيحية أو الشيوعية فى اوربا . ومن الانصاف ان نقول بان الجاليات اليهودية انتعشت حضاريا وتجاريا فى جو تسوده درجة كبيرة من الامن فى العـالم العربى خـلال العشرين قرنا الأخيرة وهو ما لم يتوافر لها فى اوربا . ومهما قيل بشان حل مشكلة اندماج اليهود فى المجتمعات الأوربية ، فليس لهذا أية علاقة بمشكلة فلسطين ؛ لأن اختيار الصهيونية لفلسطين اعتمد على أن الشرق الأوسط يستطيع ان يمتص عنصرا جديدا تماما دون حدوث مضــاعفات شديدة .

لقد اصبحت اسرائيل تملك الآن كلا من القوة والقدرة على أن تبقى وسط منطقة معادية لها ، ولكن ليس لديها القوة ولا القدرة على تغيير هـذا العـداء دون أن تغير هى الأخرى نفســها . والنقطة التى أريد أن أوضــحها .. هى أن اسرائيل التى كانت العنصر اليهـودى فى المسألة الفلسطينية ، قـد تخطت مرحلة التبعية وأصــبحت العنصر الأقوى فى مستقبل فلسطين .

انها اذن مشكلة جغرافية أكثر مما هى مشكلة عنصرية . ذلك ان النزاع فى الشرق الاوسط أصبح قائما الآن بين دول ذات سيادة ، وليس بين ممثلين لاجناس مختلفة ؛ لهـذا السبب .. فان حل المشكلة العربية الاسرائيلية لايكمن فى حل مشكلة اليهود عالميا، وانما يكمن أكثر فى تحقيق توازن اقليمى محلى بين دول الشرق الاوسط واسرائيل واحدة منها .

ولقد تحقق توازن اقليمي بين القوى في المنطقة . ومع أنه حدثت تغييرات وربما تحدث تغييرات أخرى ، فان النقطة الجوهرية هي أن التوازن يعكس تركيب القوى المحلية ، ولا يتأثر بدرجة خطيرة بأية قوى خارجية .. ولا يمكن لأي حل الآن أن يتضمن الرجوع الى الموقف الذي كان سائدا حينما كان شعب آخر مسئولا عن المنطقة ـ أي قبل عام ١٩٤٨ ـ والا كان معنى ذلك المطالبة باعادة انتداب بريطانيا .. أو مطالبة الاتراك بالعودة أو حتى مطالبة الرومان بأن يفعلوا ذلك . ان المرء لا يستطيع أن يوسع نطاق بحثه لمشكلة ما أكثر من الاطار الذي تدور خلاله الأطراف الراهنة للمشكلة .. ان سلطتنا في المنطقة انتهت بانتهاء مسئوليتنا فيها ، ومعها تلاشت قدرتنا .

والقضية في الواقع ، ليست قضية الوجود الاسرائيلي في حد ذاته كسبب للنزاع . ولكن هذا الوجود يساعد على خلق ظروف يجدها العرب غير محتملة . فلو أن اسرائيل قامت كدولة عربية ، لما كان هناك نزاع .. اللهم الا بين اسرائيل والأردن حول استعادة تلك المناطق من فلسطين التي ضمتها الأردن بعد حرب ١٩٤٨ .

لقد انتهت حرب ١٩٤٨ بتسويات مؤقتة للحدود وباتفاقيات للهدنة، مما جعل هذه الحدود تصبح بعد ذلك مصدرا للنزاع المستمر ـ والواقع ان مشكلة الحدود كانت مجرد تعبير عن نزاع سياسي أعمق وأوسع بين الطرفين ، ولأن خطوط الهدنة كانت حقا غيرمنطقية وفي بعض الأحوال غير عملية بالمرة ، فانها سهلت للعرب التعبير عن استيائهم السياسي العام . لقد كانت حوادث الحدود فيما بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ هي دائما العملية التي يعبر بها العرب عن استيائهم ، كما انها أيضا كانت تعبيرا غير مباشر عن عدم قدرتهم على القيام بأي ضغط فعال على اسرائيل ـ وهو تعبير ان دل على شيء فانما يدل على خيبة أمل .

ومن ناحية أخرى .. كانت اسرائيل من حين لآخر ـ تكيف استراتيجيتها وفق اسلوب عسكري منعزل تماما عن العوامل السياسية الأخرى ، يدفعها في ذلك شعور بالثقة في تفوقها العسكري . وتجدر الاشارة هنا الى فقرة كتبها الجنرال «موشي دايان» رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي سابقا ووزير الدفاع الآن ، تناول فيها سياسة الردع الاسرائيلية ؛ لأنه يكشف في هذه الفقرة عن عدم المرونة ازاء مثل هذا الوضع . واذا كانت الاستراتيجية تدل على شيء ، فانما تدل على الافتقار الأساسي الى العمق في الفكر العسكري . ان ضرب فيتنام الشمالية بالقنابل الأمريكية يقوم أساسا على مبدأ رفع ثمن العدوان في مصدر العدوان . وهذا بالضبط موقف اسرائيل العسكري ، دون أن يدل ذلك على أي أمل قائم في ايجاد حل لمشكلة أمن الحدود .

يقول ديان في كتابه « حملة السويس » مفسرا سياسة الردع :

« كان الهـــدف هو أن نبين للعرب انه بينما قد تعجز اسرائيل عن حماية حياة كل سائق جرار يحرث الحقل بالقرب من الحدود ، أو أن تمنع بث الالغام بالقرب من طريق قرية .. فان الدولة المســئولة عن المخربين لن تفلت من العقاب .. وعندما تقوم قوة اسرائيلية بعمليات داخل الأرض العربية دون أن تتمكن الجيوش المحلية من أن تتحداها تحــديا جديا ، فان الفشل العسكرى للدول العربية يفتضح علنا أمام شعوبها . وهكذا ، فانه بدلا من أن يرتفع شأن الأنظمة العربية .. فان النتيجة النهائية لأعمال الفدائيين هي اهتزاز ثقة الشعوب بتلك الأنظمة وبقواتها المسلحة » .

ولقد احسنت بريطانيا للصهيونية احســانا كبيرا ، ومــع ذلك فربما تكون قد اساءت للعرب أشد الاساءة .. وربمــا ألقى هــذا على بريطانيا مسئولية أكبر لبذل مساعيها الحميدة ، وأن تفهم ان جانبــا ضخما من متاعب هذا النزاع يقع عبؤه عليها . بيد انه لم يكن العــرب من الضعف بحيث تستطيع اسرائيل ان تحطمهم .. كما أنهم لم يكونوا من القوة بحيث يدمرون اسرائيل . ومن ناحية أخرى ، فبينما كانت اسرائيل من القوة بما يجعلها ترد في كل غارة انتقامية ردا قاسيا . فانها لم تستطع ان ترد على نحو يجعل العرب لايعودون الى تكرار ذلك مرة أخرى .

لقد نشأ الخطر في هذا الموقف .. لأن كلا الجانبين كان مقتنعا بانه على حق ولم يكن أيهما قويا ماديا بما يكفى لدعم هذا الحق على نحو يحسم النزاع ..

ولقد كانت حرب ١٩٥٦ نفسها هى فى نوعها اجراء انتقاميا كبيرا قامت به اسرائيل ، تشـــمل كافة الدوافع النفسية والسياسية وكذلك الاقتصادية .. التى لم تكن موضـــع الاهتمام فى الســنة السابقة على الحرب .

وقد أدت حـــرب السويس ســنة ١٩٥٦ الى بعض التغييرات السياسية الكبرى فى المنطقة ، كما جلبت السلام على حدود اسرائيل . ورغم أن الجامعة العربية اعلنت عن مشروعات لمزيد من المقاطعة للبضائع الإسرائيلية .. فان العرب كانوا الجانب الأضعف ، وكانوا منقسمين على انفسهم ، ولجاوا الى حملات الدعاية ضد بعضهم البعض أكثر مما كانت هذه الحملات توجه ضد اسرائيل .

ولقد كانت السنوات التــالية بين حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ هادئة نسبيا بالنسبة لحوادث الحدود بين اسرائيل والدول العربية ، ولكن الموقف الأساسى ظل كما هو . ان رد الفعل التلقائى لاسرائيل اســـتمر معتمدا على تصور أن كل حركة سياسية تمر بغير رد ، وكل مناورة تمر بدون صد من جانب اسرائيل .. فان هذا يشكل خطرا ماحقا على مستقبل أمنها . بهذا الاسلوب تجمدت المشكلات السياسية فى المنطقة ؛ لأن أى تغيير محتمل لم يكن يفسر من جانب اسرائيل الا من زاوية عسكرية بحتة

.. ويبدو ان خيال الاسرائيليين الخصب قد تكيف مع سنوات من المناوشات على الحدود بحيث لم يعد يتقبل سوى مفهوم واحد هو : ان المشكلة فى جوهرها مشكلة عسكرية وليست مشكلة سياسية ، وانه لايمكن تسويتها الا عسكريا .

لقد كان هذا هو الأساس نفسه الذى قامت عليه حرب يونيو ١٩٦٧ انها لم تكن من نوع الحروب التى تنشب فجأة ؛ لأن كل حركة للأحداث كانت تسير سيرا سريعا منذ أوائل سنة ١٩٦٦ - ان هذا لايعنى دخول أى عنصر جديد على أساسيات المشكلة .. وانما يعنى أن الخطوط القائمة زادت عمقا ، وأن النقاش احتدم واكتسب مرارة أكثر ، وأن الامزجة انحرفت أكثر ، وأن المهاترات تبودلت أكثر .. فاذا بالاحداث تدور دورتها بين فعل ورد فعل ، حتى لم يعد هناك مجال للمناورة .

لقد دارت الاحداث فى مايو ١٩٦٧ دورتها المعروفة من طلب مصر سحب قوات الامم المتحدة ، الى قيام اسرائيل ومصر بالتعبئة ، الى اغلاق خليج العقبة ، الى الحرب . وبصرف النظر عن الاحداث نفسها ، فانه مما يثير الدهشة فى أزمة ١٩٦٧ هو أن القيادة المصرية لم تظهر كثيرا من الحكمة فى طريقة معالجتها للامور . صحيح انه كان من المحتمل ان يكون ميزان الشرعية فى جانب مصر . الا ان هناك علامات استفهام تكتنف الحكمة من متابعة تلك السياسة حتى لو قلنا ان القيادة المصرية كانت تمارس حقوقها . ان الدهشة من تصرف القيادة المصرية ابان الازمة تزيد خصوصا لو افترضنا انها كانت تعرف قوة اسرائيل ورد الفعل المحتمل من جانبها ازاء تسلسل الأحداث . وخلال فترة الاسبوعين السابقين على نشوب الحرب فى يونيو ١٩٦٧ ، فان تصرفات القيادة المصرية اظهرت من سوء التقدير أكثر مما أظهرت من عدم الشرعية .

ان الحروب تسفر عن تسويات غير طبيعية فى الشئون الدولية . وهى غالبا ما تشتعل عرضا أو نتيجة لسوء التقدير أكثر مما تشتعل طبقا لخطة موضوعة . ومن ناحية أخرى ، فان الدول المتحاربة يكون لديها فى العادة فكرة ما عن السبب الذى من أجله تبدأ الحرب - فاما انها تريد أن تكسب شيئا من وراء ذلك ، واما أنها تريد أن تمنع الجانب الآخر من أن يحرز شيئا . وفى كلا الحالين فان النتيجة قد تكون شيئا مختلفا جدا عما كان متوقعا أصلا من أى من الجانبين .

وعلى ذلك .. فلا بد أن يسأل المرء نفسه : ماذا كان الاسرائيليون يتوقعون أن يكسبوا من حرب ١٩٦٧ ، أو ماذا كانوا يعتقدون أنهم يمنعون العرب من احرازه ؟ وهل كانت اسرائيل تعتقد أن ثمة هدفا نهائيا وراء ما يمكن كسبه ، واذا كان الامر كذلك .. فما هو هذا الهدف ؟

ان اسرائيل تقول - من جانبها - انه لم يكن امامها من بديل فى سنة ١٩٦٧ غير الحرب . انني أعتقد أن هذا غير صحيح . وحتى تصل

الى هذه النتيجة لا بد أن نحلل التهديدات الحقيقية وأسوأ النتائج المحتملة فى حالة عدم حدوث رد فعل فورى ازاء هذه التهديدات على النحو الذى ردت به اسرائيل .

ان التهديدات التى تعرضت لها اسرائيل فى ١٩٦٧ ذات أوجه ثلاثة : **فأولا** — هناك التهديد العسكرى ، الناجم عن نية العرب المعلنة مرارا وتكرارا عن غزو اسرائيل — **وثانيا** — هناك التهديد الاقتصادى ، وهو الناشىء أيضا عن نية العرب المعلنة عن تدمير اسرائيل اقتصاديا أو شل اقتصادها . **وثالثا** — هناك التهديد السيكولوجى الذى اذا لم توقفه اسرائيل **فان العرب قد يصدقون خطتهم المبالغ فيها .**

تلك كانت التهديدات . فهل اشتدت فى عام ١٩٦٧ على نحو يستحيل معه تحاشى وقوع الحرب ؟

ان ازدياد خطر ما ، لا يجعل من حق أحد الاطراف المعنية بالضرورة أن يفترض انه لم يعد متبقيا سوى اتخاذ خطوة وقائية مباشرة ضد احتمال تزايد الخطر لمدى أبعد . لقد كان هناك خطر متزايد من نشوب الحرب خلال المواجهة فى كوبا بين روسيا وأمريكا ، وكان هناك خطر متزايد خلال أزمة برلين . وأحيانا هناك خطر يتزايد بدرجة كبيرة من احتمال نشوب الحرب بين اليونان وتركيا حول قبرص ، ومواقف أخرى كثيرة تبدو الوسائل الدبلوماسية فيها وقد اقتربت من الفشل التام ، بأكثر مما كان عليه الموقف بين العرب واسرائيل عام ١٩٦٧ .

اننى أعتقد بصفة عامة .. أن قرار اسرائيل بدخول الحرب فى١٩٦٧ لم يكن قائما على أساس ضخامة أو عدم ضخامة الخطر الذى تعرضت له فى تلك الفترة . اننى اعتقد أن القرار اعتمد على ثقة مطلقة من جانب اسرائيل بانها ستخرج من الحرب بوضع أفضل من ذلك الوضع الذى وجدت نفسها فيه فى مايو ١٩٦٧ . لقد اعتمد هذا على حساب معقول وموثوق به — بل وتأكد من انها ستنتصر فى الحرب .

اننا نعلم أنه مامن حكومة مسئولة تدخل فى حرب ما لم تكن على ثقة معقولة من النصر ، أو مالم تكن تواجه الموقف البديل وهو الهزيمة الكاملة دون اطلاق رصاصة واحدة . وطبيعى ان تقول اسرائيل انها كانت تواجه هذا الاحتمال نفسه فى مايو ١٩٦٧ ولكن الاسرائيليين درجوا على عدم التزحزح عن الاعتقاد بأنهم فى وضع يبدو فيه بقاؤهم القومى معرضا لخطر أعظم مما هو بالفعل .. لقد سبب لهم ذلك موقفا يجدون فيه فى كل مرة أن لا بديل عن اثنين : اما الهزيمة التامة أو النصر التام ، وذلك حتى ولو كان الموقف أقل كثيرا مما يبدو .

لقد كانت المعادلة العسكرية بين اسرائيل وجيرانها ، تصورها دائما كدولة صغيرة مكونة من مليونين ونصف مليون من البشر .. تحيط بهم حلقة معادية تضم أربعين مليونا من العرب كلهم تصميم على تدميرها ،أى

بنسبة ٢٠ ضد واحد ، لصالح العرب وضد اسرائيل · وقد يبدو هذا على الورق شيئا مثيرا للانفعال ، الا أن التقدير العسكري للقوى النسبية للدول المختلفة لايمكن أن يوضع على اساس عدد السكان أو حتى على أساس عدد الرجال المجندين في القوات المسلحة فحسب .

ان جهاز الحرب في صورته الشاملة ، أصعب كثيرا عند تقديره من مجرد الاعتماد على عدد السكان الاجمالي لدولة من الدول . ان تقدير مدى كفاءة الجهاز الحربي للدولة ينبغي أن يتضمن القدرة الصناعية للدولة ، مثلما يتضمن معها القوات المسلحة ومقدرتها على استخدام تلك المعدات ، وكذلك يعتمد على مدى كفاءة هيئة أركان الحرب في شئون الادارة . من حيث قدرتها على الحفاظ على القوات المسلحة في حالة من الانضباط وحسن الاستعداد والتموين من أجل المعركة .

وعامل آخر لا يمكن تجاهله ، وهو طبيعة الأرض التي يحتمل أن تجري عليها أية معركة ولعل اهم شيء هو أن يكون هناك هدف سياسي واضح لاغموض فيه أمام القوات المسلحة نفسها·· فرغم التوسع في فنون الحرب ، الا أن الجيش الذى يكون على درجة طيبة من التعليم والتثقيف يصبح ندا لخصوم أكثر عددا وقوة لو كانوا يفتقرون الى الحافز الضروري .

وعلى الورق ·· نجد انه على الرغم من عدد السكان ، فان آلة الحرب التي تملكها اسرائيل ليست بأى حال بنسبة ٢٠ الى واحد ضد اسرائيل، اذا ماقورنت بما لدى العرب · ذلك أن اسرائيل تستطيع ـ في مدى أيام قليلة بما لديها من نظام احتياطي بالغ الدقة ـ ان تضع في الميدان جيشا حديثا مدربا قوامه ٢٥٠ الف جندي .

وفضلا عن انعدام اى قلة عددية ، فان اسرائيل كانت لديها ميزات جغرافية وتكتيكية اخرى . فقد كانت لديها خطوط المواصلات الداخلية والقدرة على تحريك القوات بسرعة من جبهة الى اخرى ، والقيادة المركزية التى لاتتعرض ـ كما هو الحال بالنسبة للعرب ـ لحالة من التخبط والحيرة في حالة الطوارىء ، ازاء الأوامر المتعارضة والتصادم المحتمل في التوجيهات السياسية من مختلف الحكومات المعنية . كما أن المصاعب الجغرافية التي تواجه شن هجوم بري شديد مدعم على اسرائيل هي مصاعب ضخمة ؛ لانه كان ينبغي على خطوط المواصلات المصرية أن تمتد وراء الجبهة عبر صحراء سيناء .

والى هنا ·· فانني لم أشر بعد الى قوة السلاح الجوى . فالتفوق المطلق في الجو كان دائما شيئا تحافظ عليه اسرائيل في معاركها مع جيرانها العرب ·

لقد حاولت حتى الآن ·· أن أوضح أن فكرة تعرض اسرائيل في أى وقت من الأوقات لخطر (القائها في البحر) هي مجرد أسطورة ، حتى بمنطق

الاحداث السابقة على حرب ١٩٦٧ · ولو اتخذنا في الاعتبار قدرة العرب على الادعاء الباطل ـ على الأقل في دعايتهم ـ فانه من المهم مقاومة اغراء تقدير نواياهم المعلنة على علاتها · ان اسرائيل تستطيع أن تتمسك بوجود الرغبة الرمزية من جانب العرب في ازالة اليهود في فلسطين ، والعرب أنفسهم يساعدون اسرائيل في هذا الصدد عن طريق رفع الشعارات الدعائية التي يعلمون انهم عاجزون عن تحقيقها ·· ولكن الفحص الدقيق للموقف يثبت أن اسرائيل لم تتعرض أبدا لخطر جاد على وجودها، وان الطريق سوف يظل طويلا للوصول الى هزيمة اسرائيل وازالتها ماديا كدولة حديثة ·

وفي هذا كانت الاستراتيجية المعلنة للمصريين هي أن يتنازلوا اسرائيل عن طريق استثارتها لتخطو الخطوة الأولى وتضرب ، في الوقت الذي يكونون مستعدين فيه لتلقي الضربة ، ثم يكرون هم وينزلون بها ضربة قاصمة ، وكما تبين فيما بعد ·· فان عيب هذه السياسة هو ان القوات المسلحة المصرية على وجه الخصوص ، لم تكن في وضع تستطيع معه تحمل الضربة الاسرائيلية لقد فشلت بشكل محزن في (الاقلال الى الحد الأدنى من آثارها) · وكانت هذه الآثار مدمرة الى حد لم يترك للعرب فرصة ثانية ·

وعلى كل ، فان هذه السياسة التي أعلنها المصريون قبل حرب ١٩٦٧ كانت سليمة من الناحية النظرية ·· بشرط ان تكون هناك النية ـ ثم القدرة على تنفيذها، ولكن يبدو أن المخابرات الاسرائيلية التي استطاعت ان تتغلغل تماما داخل دوائر الحكومات العربية ، قد تحققت من ان القوات المصرية لم تكن حقا على استعداد يكفي لتغطية السياسة المعلنة في الصحف· ويحتمل ان هذه الدراية قد تسلطت على القيادة الاسرائيلية ورجحت قرار الضرب عن المخاطرة بتحمل هزيمة نفسية تسمح بتطور الموقف أكثر اذا افسح له المجال ·

الى هنا ، فانني حاولت أن أوضح أن الخطر العسكري الفعلي على اسرائيل لم يكن وشيكا في ١٩٦٧ ، سواء من ناحية تدمير اسرائيل أو من ناحية وقوع هجوم جوي على مدنها · لقد كانت اسرائيل قادرة على تخطي الفخ في ١٩٦٧ ؛ لأن المصريين لم يكونوا مستعدين لنصبه ؛ لذلك فانني اعتقد أن العامل الحاسم وراء قرار اسرائيل بدخول الحرب كان بغير شك عاملا نفسيا · اما أية اعتبارات أخرى تدعيها اسرائيل كأسباب للحرب فانها لم تكن تشكل أية خطورة في الموقف ·

لقد جلبت الحرب الاسرائيلية مكاسب اقليمية عظيمة · ولقد بينت اسرائيل في نهاية الأمر ان لديها القوة الكافية لشل العداوة العربية المحيطة بها · وأنا أعتقد ـ لذلك ـ أنه من غير الممكن ـ وخصوصا بعد انتصار ١٩٦٧ ـ أن توافق اسرائيل على أي تسوية في المنطقة تتضمن حلا وسطا لارضاء العرب · ان العرب والاسرائيليين يفكرون بمنهجين مختلفين تماما، ولكن العرب لا يستطيعون شيئا ، فقوة اسرائيل يصعب تحديها · ومادامت

اسرائيل ستحتفظ بقدرتها على الرد ـ وهو أمر سـوف تضمنه لها دائما الولايات المتحدة الامريكية ـ وثانيا باحتفاظها بالحدود الحالية ·· فانها لن تقدم أية تنازلات أساسية لحل المشكلة سياسيا ·

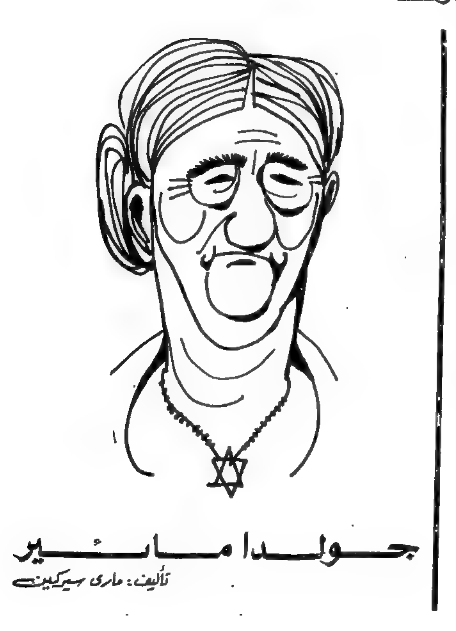
اننى أعتقد أن الاحتمال الوحيد لتسوية عادلة للمشكلة بين العرب واسرائيل ، يوجد فى الفرصة التى توافرت باستيلاء اسرائيل على الضفة الغربية لنهر الاردن · فلأول مرة منذ عام ١٩٤٨ أصبحت فلسطين كيانا واحدا من جديد · وأنا شخصيا أرحب بفشل أية تسوية قد تفصل مرة أخرى جزئى فلسطين ، لأننى لا أظن أن هذه التسوية ستدوم · ولذلك فاننى آمل ألا تتم الموافقة على أية اتفاقية تركز فقط على مسألة ضـــمان أمن اسرائيل العسكرى أو الاعتراف بها من جانب الدول العربية ·والفرصة المتاحة مرة أخرى هى ان نعالج مستقبل فلسطين كاملا؛ لأننا من قبل كنا نقبل التقسيم المصطنع بين الأردن من ناحية ، واسرائيل من ناحية أخرى، الأمر الذى جعل للمشكلة اتجاهين لا يمكن التوفيق بينهما ·

والواضح ان الحل المثالى ·· هو اقامة دولة ذات جنسية مزدوجة فى اسرائيل حيث تحتفظ الجماعة اليهودية بديناميكيتها دون أن يطغى عليها العرب ولا حتى الاغلبية العربية · وحيث يمكن اعادة توطين اللاجئين ومعالجة المشكلات الاقتصادية للمنطقة بما فيها مشكلة مصادر المياه كمشـــــكلة واحدة فى مجموعها ·

ولا يبدو أن هناك من الأسباب ما يحمل على الاعتقاد بأن العناصر المؤثرة فى اسرائيل ستنتهى اذا أصبح هذا البلد جزءا من دولة فى الشرق الأوسط ، أو دولة ذات جنسية ثنائية أو حتى دولة عربية تضم أقليـة يهـــودية · فبعد فترة جيل أو جيلين ، فان التطورات العنصرية تنبىء بأن اليهود الشرقيين والعرب معا سيفوقون اليهود القادمين من أوربا عددا ·

وأنا لا أرى فى الأفق القريب صورة اتفاقية ذات قيمة يمكن بواسطتها منع حدوث أزمة أخرى · وكل ما أستطيعه هو أن آمل ألا تكون هناك ازمة أخرى·· ويبدو أن احتمال بقاء التوتر طوال الحقبة القادمة هو الثمن الباهظ الذى يتم دفعه لاحتمال أن يجد العرب فى نهاية الحقبة أن اسرائيـــل قد تخلت عن طابعها الصهيونى باستيعابها الاجبارى لمثل هذا العدد الكبير من السكان العرب ·

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



جولدا مائير

تأليف: ماري سيركين

هذا الكتاب ..

وهــذه المؤلفة

.. حتى لو كان التاريخ يعيد نفسه فعلا ، فلا يمكن ان يتم ذلك الى هذه الدرجة . ان هذا الكتاب يشرح بالتفصيل فى أحد فصوله ، قصة المفاوضات السرية بين جولدا مائير والملك عبد الله ، والتى اجراها الملك الاردنى من خلف ظهر الدول العربية لتحقيق اطماعه الخاصة على حساب العمل العربى المشترك . ومن المثير للسـخرية فى هذا الكتاب ان بريطانيـا هى التى ضغطت على ملك الاردن لكيـلا يسـتمر فى مشروعه المشــترك مع الصهيونيين ، لأنها ـ باعتبارها حامية له ـ لا تريد ان « تحرقه » امام العرب . وبعد ٢٤ عاما تكررت الأحداث نفسها ، بين حفيد الملك عبد الله هذه المرة (حسين)(وبين نائب جولدا مائير (ايجال آلون) .

ان هذا الكتاب له اهمية كبرى من هذه الزاوية . وله ايضا اهمية اضافية من حيث انه يكشف لنا عن اسلوب تفكير وعمل وتطور واحدة من زعامات الصهيونية الحالية فى اسرائيل . وأخيرا فان الكتاب يشرح لنا كيف تقدم اسرائيل زعاماتها الى الرأى العام الأمريكى .. بمنطق امريكى .

ومؤلفة هذا الكتاب هى (مارى سيركين) ، يهودية صهيونية ، تحمل جنسية مزدوجة امريكية واسرائيلية . انها صديقة وزميلة قديمة لجولدا مائير ، وكانت هى المسئولة عن تشغيل أول محطة اذاعة سرية متنقلة اقامتها المنظمة الصهيونيـة فى فلسـطين قبيل حرب ١٩٤٨ بفترة وجيزة ، حيث تولت الاشراف على الارسال باللغة الانجليزية . وقد صدر الكتاب بعنوان « جولدا مائير » وأعيد طبعه فى أمريكا منذ ربع قرن .

* * *

كانت الحرب على الأبواب !

انها الحرب التى ستقرر ما اذا كان ممكنا قيام دولة يهــودية فى فلسطين أم لا . وهى الحرب التى أصبح من المحتم أن تنشب بمجرد أن ينتهى انتداب بريطانيا على فلسطين رسميا فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

وفى هذه الظروف اتفق الزعماء الصهيونيون فى فلسطين على قرار واحد : اجراء مفاوضات مع الملك عبد الله ملك الأردن .. لفتح ثغرة فى التحالف العربى المنتظر . قرار ثان : ان مهمة المفاوضـــات الجديدة

ـ والسرية جدا ـ ستقوم بها جولدا مائير ، رئيسة الادارة السياسية في اتحاد العمال اليهود بفلسطين ، وهو الجهاز الرئيسي للمنظمة الصهيونية في فلسطين ٠

كان السبيل الوحيد الذى لا يزال يتعين على اليهود اكتشـافه هو ما اذا كان بالامكان اقناع «عبد الله» ملك الاردن بعدم الانضمام للمغيرين٠ وقد كانت هناك معاملات ودية بين الملك عبد الله واليهـود في مناسبات سابقة ٠٠ وقد أعرب الملك علنا عن تأييده لجهود اليهود العمرانية في فلسطين مرات عديدة ، كما أنه دعا الى التوصل الى تسوية بين العرب واليهـــود بالوسائل السلمية ٠

وحينما بدا في شهر نوفمبر عام ١٩٤٧ أن الأمم المتحدة على وشك الموافقة على قرار التقسيم ، عقدت « جولدا مائير » اجتماعا سريا مع الملك عبد الله فى منزل «بنحاس روتنبرج» الواقع على مقربة من محطة الكهرباء فى «نحاريم» بالاردن ، وكانت المحادثات بينهما ودية ٠ لقد أكد عبد الله أنه لن يشترك في أى هجوم يشنه العرب على اليهود ٠ وأوضح أنه اذا وافقت الامم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين ، فانه سيضم الجزء العربى الى مملكته ، ووعد بتبادل مشاعر الصداقة مع اليهود ٠٠ وتحدث باستهانة عن قوة الدول العربية المجاورة ، وذكر أن مفتى فلسطين هو العدو المشترك وأكد لجولدا مائير أنه سيقبل قرار التقسيم بكل سرور ٠ وانتهت المقابلة باتفاقهما على عقد اجتماع ثان بعد أن توافق الأمم المتحدة على قرار تقسـيم فلسطين ٠

وعلى الرغم من هذه التأكيدات ٠٠ فقدكانت هناك نقطتان أثارتا قلق « جولدا » ٠٠ لقد سالها الملك عبد الله عن موقف اليهود من اقتراح يقضى بأن تتضمن مملكته دولة يهودية ، وعندما تلقى على الفور ردا سلبيا سقط الموضوع ، ثم أعرب بعد ذلك عن أمله فى ألا تكون الدولة العربية من الصغر بحيث تسبب له الاحراج ٠

ولم يعقد اجتماع ثان بين الزعيمين، كما كان مقررا، نظرا لاضطراب الاحوال، ولكن الاتصال ظل قائما مع الملك عبد الله٠ لقد تم تبادل المعلومات بينهما حول مدينة القدس التى عارض الجانبان فكرة تدويلها ٠ وحينمـــا انتشرت الشائعات بأن عبد الله على وشك الانضمام للدول العربية ، بعثت اليه جولدامائير برسالة تسأله فيها عما اذا كان اتفـاقهما لا يزال سارى المفعول أم لا ؟ ونقل رسـول من الملك عبد الله ردا مطمئنا الى « جولدا » لقد طلب منها عبد الله أن تتذكر ثلاثة أشياء :

١ ـ أنه رجل بدوى يحافظ على كلمته ٠

٢ ـ أنه ملك ٠

٣ ـ أن الوعد الذى يقدمه لامرأة لا يمكن انتهاكه ٠

وعلى الرغم من هذا الثالوث الرومانسى ، فسرعان ما حنث البدرى بوعده ٠٠ وانضم عبد الله للدول العربية ٠ وعلى الرغم من أنه لم يعد باقيا سوى بصيص ضئيل من الأمل ، فقد تقرر أن تحاول جولدا مائير اجراء مقابلة ثانية مع الملك ٠

وقبل أن تقوم « جولدا مائير » بمحاولتها الثانية للاتصـــال بالملك عبد الله بفترة قصيرة ، وصل مندوب منه للبحث فيما اذا كان اليهود على استعداد للتنازل له عن جزء من المنطقة ، التى أصبحت تابعة لهم وفقــا لقرار التقسيم الذى أصدرته الامم المتحدة ، لقد أستند الملك الى أن مثل هذا التنازل سيزيد من هيبته في العالم العربى ، لأنه سيحصل على مناطق أكثر من تلك التى خصصتها الأمم المتحـدة للعرب أساسا ٠ ووقتها قيل للرسول أن هذا الاقتراح غير مقبول ، ولن يتخلى اليهـود عن أى منطقـة من دولتهم ٠ وقيل له أيضا : ان الحدود التى قررتها الامم المتحدة لن تصبح سارية المفعول الا اذا استتب السلام ، ولسوف يقاتل اليهود فى حـالة وقوع حرب للحصول على أى منطقة تصل اليها أيديهم ٠

وعلى الرغم من هذا الحديث المتبادل الذى لايبعث على التفاؤل، فقد ساد الاعتقاد بأنه من الافضل بذل محاولة أخيرة للحيلولة دون نشوب عداوات مع الاردن ٠

وهكذا عقد الاجتماع الثـــانى بين « جولدا » والملك عبد الله فى الأسبوع الأول من شهر مايو عام ١٩٤٨ ٠

لقد رفض عبد الله فى هذه المرة ٠٠ أن يذهب الى « نحاريم » ، فقد كان هناك خطر من أن يذهب الى الحدود اليهودية ، اذ كان من الخطورة البالغة بالنســـبة له أن يقترب من الحدود اليهودية ، لأن أنباء الاجتماع السابق تسربت ، لهذا كان لا بد من اتخاذ اجراءات أمن غير عادية ٠

واقترح الملك أن ترتدى « جولدا » ثياب امرأة عربية ، وتذهب الى عمان ٠ وهكذا طارت «جولدا» من القدس الى تل أبيب لعقد اجتماع مع بن جوريون تقرر خلاله الاتصال بالملك عبد الله ٠٠ ولم يكن يعرف بخبر هـذا الاتصال سوى ثلاثة أشخاص فى البلاد ٠ واستقر الرأى على أن يصحب «جولدا» رفيق واحد ، هو «عزرا دانين» ، المستشرق اليهودى الذى ولد فى يافا ٠٠ والخبير فى الشئون العربية ٠٠ لكى يقوم بدور المترجم لها ٠

لقد تم الاتفاق على الاجتماع مع عبدالله يوم ١٠ مايو، وغادرت «جولدا» و «دانين» تل أبيب قاصدين حيفا، حيث حصلت جولدا على ثياب امرأة عربية وخمار وغير ذلك من المستلزمات ٠٠ وتدربت على التحرك بصورة مقنعة فى هذه الثياب العربية الفضفاضة ، واتجها من حيفا الى نحاريم ، ولم تكن

جولدا قد ارتدت الثياب العربية بعد ، وغيرا السيارة التى كانا يستقلانها عدة مرات حتى يظل مقدمهما فى طى الكتمان ·

وكان الملك قد أرسل سيارة الى «نحاريم» لنقل المبعوثين اليهوديين الى عمان · وحينما حل المساء ·· ارتدت جولدا ثيابها العربية وخمارها وبدأت الرحلة الى عمان· وكانت المجموعة المسافرة تأمل فى تجنب الفيلق العربى (الجيش الاردنى) الذى كان حراسه مرابطين على الحدود بالفعل · ولكن اذا حدث وأوقفهم الحراس فان « دانين » — مرافق جولدا — لم يكن ليجد صعوبة فى المرور لامكانه التصرف كرجل عربى ، نظرا لتحكمه فى اللغة العربية ·· ولمعرفته الوثيقة بعادات العرب · ومع هذا فقد كانت « جولدا » أطول وأثقل وزنا من المرأة العربية العادية ·

وعلى الرغم من أنه كان بوسعهما الانكماش فى مكانهما فى خضوع وهدوء أثنـاء الظـلام ·· إلا أنه كان يتعين — اذا ما أوقفهما الحراس — أن يحرصا على عدم توجيه أية أسئلة اليها ، كما أنهما وضعا ثقتهما فى تقاليد العرب التى كانت تحرم لمس امرأة عربية ·

وفى أثناء الرحلة التى استغرقت عدة ساعات ·· توقفت السيارة عشر مرات للتحقق من شخصية ركابها بدون أن تقع أية حادثة · ولم يذهب السائق بجولدا « الى قصر الملك ، ولكنه أوصلها الى منزل أحد أصدقاء عبد الله الأغنياء الذى كان يثق فيه تماما · ووصل الملك قبل مضى وقت طويل · وبدا عليه الود ·· ولكنه كان مكتئبا وعصبيا ·

لقـد أعادت جولدا على أسـماع الملك خلال الساعة التى استغرقها الاجتماع ، الوعد الذى قطعه على نفسه فى شهر نوفمبر · ولم يبذل الملك عبد الله أية محاولة لانكار تعهده ، ولكنه أضاف أن الموقف قد تغير · وقال انه كان يعتقد حينذاك أنه حر التصرف ·· ولكن الظروف لم تسمح له بمثل هذه الحرية ·

كانت لهجة الملك تدل على أنه يشير الى التوجيهات البريطانية · ومع هذا كان الأمل لا يزال يراوده ، بأنه يمكن تجنب الحرب رغم تأخر الوقت ·· بشرط ألا يعلن اليهود انشاء دولتهم ، وأن تتوقف الهجرة الى فلسطين لعدة سنوات قادمة· وأوضح الملك أنه سوف يستولى على فلسطين بدون تقسيم ويضمها الى الاردن بعد عام واحد بحيث يسمح للطائفة اليهودية أن يكون لها ممثلون فى برلمان بلاده ·

ووعد الملك بأن يعامل اليهود معاملة طيبة، تتمشى مع آرائه الليبرالية، وأنهى حديثه بالتصريح بأنه يرغب بحق فى اقرار السلام ، ويأسف للدمار الحتمى الذى ستتعرض له منجزات اليهود العظيمة فى مجال الزراعة والصناعة

اذا ما اندفع لهيب الحرب ، وأعرب عن فهمه للسبب الذى يحدو للعجلة فى انشاء دلتهم ٠

وأجابته «جولدا» بدماثة ٠٠ بأنه من العسير وصف شعب ظل ينتظر مدة ألفى عام بالعجلة، وربما كان اليهود فى غاية الصبر ٠ وأشارت «جولدا» الى أن علاقات اليهود بجلالته كانت ودية دائما ، وأنها تدعمت بمعارضتهما للمفتى ٠٠ عدوهما المشترك ٠ وقالت جولدا ان اليهود حققوا انتصارات خلال الخمسة أشهر الماضية ، بينما قوة المفتى فى اضمحلال ، كما أن اليهود صدوا المغيرين على أعقابهم ٠ وصرحت « جولدا » بأنه من الممكن التوصل الى تفاهم اذا ما تمسك عبد الله باقتراحه الاصلى ٠٠ الذى يقضى بضم المنطقة المخصصة للعرب ، حيث أصبح اليهود أكثر قوة من بضعة أشهر مضت ولن يترددوا فى القتال اذا فرضت عليهم الحرب فى أى مكان وبأقصى قدراتهم٠

وأجاب الملك عبد الله على هذا القول بأنه يدرك أن اليهود سيضطرون الى رد أى هجوم يتعرضون له ، ولا شك فى أنه يريد حقا وباخلاص تنفيذ اقتراحه الاصلى ، ولكن عدة أشياء حدثت منذ ذلك الحين ، فقد ألهبت حادثة « دير ياسين » مشاعر العرب ، وبالاضافة الى ذلك ٠٠ « فاننى كنت بمفردى حينذاك ٠٠ ولكنى الآن واحد من خمسة ٠ ليس أمامى خيار آخر ولا يمكن أن أتصرف على نحو مختلف » ٠

وتوسل الملك الى «جولدا» مرة ثانية بأن تدعو حكومتها الى اعادة النظر فى الأمر ٠ وأعلن أنه اذا وصله رد مقبول فى ١٥ مايو ، فانه سوف يجرى مشاورات مع المعتدلين العرب للمحافظة على السلام ٠

وعند ما طالبته « جولدا » و « دانين » ببراعة أن يتذكر أن اليهود هم أصدقاؤه الوحيـدون ، أومأ الملك برأسه وأجاب قائلا : « اننى أعلم ذلك جيدا، وليس لدىشك فى معرفتى بكم وفى ايمانى بنواياكم الطيبة، وأعتقد بكل جوارحى أن الله أعادكم ٠٠ أنا أعلم كل هذا وأؤمن به باخلاص ، ولكن الظروف صعبة ولا يجرؤ المرء على اتخاذ خطوات متهورة ٠ ولذلك أناشدكم مرة أخرى التزام الصبر » ٠

وأجابت « جولدا » على حديثه هذا بقولها : « ليست لدينا أية رغبـة فى تضليل جلالتك ٠٠ ونحن نرغب فى أن نوضح لك تماما أنه لا يمكننا حتى مجرد دراسة اقتراحك ، ولن يؤيد هذه الخطة أى من مؤسساتنـا أو حتى عشرة من اليهود الذين يتمتعون بأى نفوذ ، وبوسعنا أن نرد عليك هنا فى الحال ٠٠ بأن جلالتك اذا أدرت ظهرك لاتفاقنا الاصلى وأردت الحرب بديلا ٠٠ فستكون هناك حرب ٠ وعلى الرغم من الصعوبات التى تعترض طريقنا ، الا أننا نؤمن بانتصارنا وربما تقابلنا ثانية بعد الحرب ، حينما تكون هناك دولة يهودية ٠

وتحول عبد الله الى « داين » مرافق « جولدا » .. وتحدث معه بلهجة أبوية ، وطلب منه بوصفه مستشرقا أن يؤيد موقفه ، وقدم اليه « داين » أيضا بعض النصح ، وذكر عبد الله بأنه ليس لديه أصدقاء حقيقيون في العالم العربي ، وبأنه يعتمد على دبابات الفيلق العربي مثلما كان الفرنسيون يعتمدون على خط ماجينو ، ولكن اليهود سيحطمون هذه الدبابات .

وقد جرؤ «داين» على أن يقترح على الملك بأنه ربما يكون الوقت قد حان لانهاء العادة القديمة الجميلة التى تقضى بالسماح لرعاياه بتقبيل يده أو أطراف ثيابه ، وذلك أن سكان المدن يختلفون عن رجال القبائل من البدو ، ويجب على الملك أن يكون أكثر يقظة فيما يختص بحماية نفسه من الاغتيال .

وانتهت المقابلة والملك لا يكف عن الاعراب عن أسفه للدماء التى ستراق ، وقد تركت المقابلة انطباعا لدى « جولدا » و « داين » بأن عبد الله لم يكن سعيدا أو يشعر بالثقة ، وبأنه لم يكن يريد القتال ، ولكنه كان متورطا للغاية فى روابط مع العرب والبريطانيين بحيث أصبح من العسير عليه تخليص نفسه .

وبعد أن غادر الملك المنزل أعد الصديق العربى الغداء ، وصحبت زوجته « جولدا » لمشاهدة مكتبتها . ثم آن الأوان لبدء رحلة العودة المحفوفة بالأخطار .

وفى طريق عودتهما كان بمقدورهما رؤية معسكر « المفرق » حيث كانت القوات العراقية محتشدة فيه بالفعل . وقد أثارت كثرة عدد نقط المراقبة التى كان عليهما اجتيازها خوف السائق العربى الذى قرر أنه من الخطورة بمكان قيادة العربة الى « نحاريم » ، وقد ترك ركابه فى التلال على مبعدة ميلين من الحدود . وكانت الساعة الثالثة صباحا ، وكان الوصول الى « نحاريم » يستغرق نصف ساعة بشرط ألا يضلا طريقهما ولم تكن « جولدا » و « داين » مسلحين ، بل ان جولدا اعترفت بعد ذلك بأن الخوف قد ساورها . ولم يكن هناك أمل يرجى فى بقائهما على قيد الحياة اذا اعترض الحراس طريقهما ، ذلك لأنه ليس من عادة السيدات العربيات الفاضلات السير الهوينا عبر التلال فى منتصف الليل ومن حسن الحظ .. أن قابلهما أحد جنود «الهاجاناه» من نحاريم كان يبحث عنهما . وكان الظلام دامسا بحيث تعذر على جولدا التعرف عليه ، ولكنه زارها بعد ذلك بعام وقدم لها نفسه على اعتبار أنه الرجل الذى قادهما عبر التلال .

* * *

ان جولدا مائير ، التى قامت بهذا الدور الاساسى ، قبل سنوات طويلة من وصولها الى منصب رئيسة وزراء اسرائيل ـ كانت تقوم فى الواقع بمهمة سرية لا يعرفها الامريكيون حتى الآن .

ولا يمكن للأمريكيون أن يتخلوا عن اهتمامهم الشديد بمسز مائير كواحدة منهم ، اذ أنها تمثل فى نظرهم لونا جديدا وجذابا من قصـــص النجاح الامريكية • فقد نشأت مسز مائير فى ولاية « ميلووكى » ، وعملت كأمينة مكتبة ومدرسة • وللروس أيضا ذكرياتهم ، اذ تمكنت هذه المرأة التى تكره وضع الأصباغ على وجهها أو طلاء شفتيها كأى امرأة سوفيتية من الطراز القديم وهى تمشط شعرها من منتصف رأسها وتلفه خلف عنقها ـ تمكنت من اثارة اهتمامهم عام ١٩٤٨ حينما ذهبت الى موسكو كأول وزير مفوض لاسرائيل فى الاتحاد السوفيتى •

ان «جولدا مائير» هى الوحيد بين الزعماء الاسرائيليين البارزين من جيل الرواد التى جاءت من أمريكا ، بينما هى ولدت أصلا فى مدينة « كييف » السوفييتية الواقعة جنوب غرب روسيا فى ٣ مايو سنة ١٨٩٨• وكان معظم يهود روسيا يعيشون داخل نطاق « مناطق الاستيطان » ، وهى الاحياء الروسية التى كان مسموحا لليهود بالعيش فيها فى عهـــد القياصرة • لقد كان أبوهاـ واسمه «موشى مابوفيتش» يعمل نجارا وصانعا للأثاث الفاخر ، ولم يبق على قيد الحياة من أبنائه الثمانية سوى ثلاثة هم « شانا » كبراهم ، و « جولدا » ، وشقيقة تصغرها تدعى « زيبورا »•

وقد ترك « موشى » روسيا بمفرده فى عام ١٩٠٣ ، وهو يزمع أن يرسل لزوجته وأطفاله ـ حينما يستتب له الامر ـ كى يلحقوا به • وقد حدث هذا أخيرا فى سنة ١٩٠٦ ، حينما وصلت من الأب التذاكر اللازمة لكى يلحقوا به فى الولايات المتحدة ، التى قرر أخيرا أن يستقر فيها ، بعد أن ترك «نيويورك» واستقر فى مدينة «ميلووكى» الامريكية •

وعندما انتهت « جولدا » من دراستها الابتدائية ، وأرادت الالتحاق بالمدرسة الثانوية لكى تعمل مدرسة بعد ذلك ، رفضت أمها •• فقررت « جولدا » الهرب • وفعلا هربت سرا وسافرت لتقيم مع أختها « شانا » التى تقيم مع زوجها فى مدينة « دنفر » الامريكية •• حيث التحقت هناك بالمدرسة الثانوية • وبعد هربها بمدة بسيطة ، وصلهـــا خطاب من صديقة لها قالت فيه «انك تسألينني عن رأى من يعرفونك فى ميلووكى فى حادثة هربك • والحقيقة التى لا أريد بها أن تؤذى مشاعرك هى أن الجميع يعتقدون أنك فررت مع شباب ايطالى • »

وحينما أوشك العام الاول لجولدا فى دنفر على الانتهاء ، كـانت جولدا قد ضاقت ذرعا بسبب قيام شقيقتها بفرض وصايتها عليها • وفى احدى الامسيات ، وبعد شجار حاد بين الشقيقتين ، قالت جولدا « حسنا ســـوف أغادر المنزل » •• وانصرفت حيث اســتأجرت غرفة مع احدى العائلات اليهودية فى دنفر ، بينما تركت الدراسة لتعمل • وأخيرا عادت الى « ميلووكى » لاستئناف دراستها هناك بعد أن تأجلت لفترة طويلة ، بحيث تخرجت بعد عامين فى المدرسة الثانوية والتــحقت بدار المعلمين الابتدائية •

وحتى ذلك الحين ٠٠ لم تكن فكرة الصهيونية قد شدت انتباه جولدا، بالفعل ٠ ولكنها بعد قليل بدأت تشترك فى الحملة التى بدأت لاثارة يهود أمريكا وحملهم على التبرع بأموال كثيرة لليهود الذين سلبوا كل مايمتلكون فى الدول الواقعة فيما وراء البحار ٠

وفى سنة ١٩١٥ انضمت جولدا رسميا الى « بوعالى صهيون » أى عمال صهيون ٠٠ ذلك الحزب الصغير الواسع النفوذ الذى يضم فى معظمه العمال الصهيونيين الذين يتحدثون باللغة « البديشية » ومن بين سماتها المميزة انها لم تنضم تنظيميا الى هذا الحزب الا بعد أن التزمت بعضويته بصفة شخصية ٠ وقد اختارت الانضمام الى العمال الصهيونيين بدلا من الانضمام الى منظمة « ماداسا ٦ » التى كانت قد أنشأتها سيدة أمريكية أكبر منها سنا تدعى « هنرييتا زولد » ، لأن برنامج حزب عمال صهيون كان يدعو الى انشاء كومنولث هادفى فى فلسطين ٠

وفى هذا الوقت ٠٠ وصلها خطاب من «موريس بايرسون »وهو أحد المهاجرين الروس الشبان، الذى تعرفت به جولدا فى دنفر وأحبته هناك٠ ان انضمام جولدا الى حزب عمال صهيون أدى الى تعقيد حياتها الشخصية فى هذا المجال ، نظرا لأن موريس الذى ارتبطت به لم يكن صهيونيا ٠ وقد أوضح لها ذلكفى الخطاب الذىأرسله اليها من «دنفر» حينما كتبيقول « لست أعرف ما اذا كنت سعيدا حقا أو انى أشعر بالاسى لانضمامك للحزب الصهيوني ، ولأنك تبدين وطنية متحمسة ٠٠ ان فكرة خلق دولة يهودية فى فلسطين أو فى أى منطقة أخرى تبدو سخيفة فى نظرى ٠ وقد وصلتنى منذ بضعة أيام دعوة لحضور أحد الاجتماعات المخصصة لهـــذا الغرض ، ولكنى لم أحضر لأنى لا أبالى بوجه خاص بما اذا كان اليهود سيتعرضون للمتاعب فى روسيا أو فى الأرض المقدسة » ٠

وحينما تبعها موريس بعد قليل الى ميلووكى ، أوضحت له جولدا أنها لن تتزوجه الا اذا صحبها الى فلسطين ٠ لقد قررت جولدا الذهـــاب الى فلسطين لكى تصبح عضواً فى الكيبوتز ــ أو المستعمرة التعاونية ــ التى كانت تقوم باستصلاح مستنقعات « عيمك » أو وادى « أزور الدن » ٠ وكانت قد اتخذت هذا القرار قبل صدور وعد بلفور بعامين ٠ وفى وقت كانت فكرة انشاء وطن يهودى فى منطقة فلسطين القاحلة التى كان الاتراك يسيطرون عليها ، تبدو خيالية تماما ٠

وكانت المناقشــة تبدو وقتئذ حــول ما اذا كان يتعين أن يتعــلم اليهود اللغة « العبرية » أو اللغة « البديشية » ٠ لقد استقر الرأى فى فلسطين منذ البداية على اللغة العبرية ، ومع هذا كان الصهيونيونالعمال ينادون فى الولايات المتحدة بتعلم اللغة البديشية على أساس أنها اللغة الفعلية للطبقة اليهودية العاملة ٠ وعليه ، فانها أفضل من اللغة المقدسة الميتة ٠ وهكذا ظلت لغة « جولدا » البديشية أكثر غزارة وطواعيــة فى الاستخدام من اللغة العبرية التى تعلمتها بعد آن فى فلسطين ٠

وفى هذا الوقت ·· قابلت «جولدا» الرجل الذى كان من المفروض أن يمارس تأثيرا عميقا على تطورها السياسى والذى سوف تعمل معه كشريك وثيق الصلة فى الكفاح المشترك · وقد وصل «بن جوريون» الذى كان يبلغ من العمر ثلاثين عاما حينذاك الى أمريكا فى عام ١٩١٥ برفقة صـــديقه «اسحق بن زفى» بعد أن أبعدتهما الحكومة التركية عن فلسطين بتهمة تدبير مؤامرة صهيونية · ولم يحظ بن جوريون بقدر كبير من الاهتمام خلال رحلته الأولى لأمريكا· بل انه حتى حركة الصهيونيين الأمريكيين وجدت فى هذا اليهودى القادم من فلسطين ، وفى أرائه المتطرفة التى تنادى « بالعودة الى الوطن » سخفا غريبا وغير مهذب · وكان تلاميذه الوحيدون هم أعضـــاء حزب عمال صهيون الذين ينتمون فى معظمهم الى الطبقة العاملة ·

وفى هذه الفترة ·· تركت «جولدا» دار المعلمين الابتدائية بملووكى وعملت كأمينة مكتبة ، وبدأت تكرس وقتها كله ، خارج عملها ، للحركة الصهيونية العمالية ، وكان المرتب الذى تحصل عليه من الحزب أقل كثيرا حتى من المرتب المتواضع لمدرسة ولأمينة مكتبة · ولكنها تمكنت من أن تدير شئون معيشتها بالخمسة عشر دولارا التى كانت تحصل عليهـا أسبوعيا من الحزب ·

وكانت هناك مشكلة أخرى يتعين على جولدا حسمها فى الوقت نفسه تقريبا ، فاذا كان « موريس » لايزال مصرا على رفضه الذهاب الى فلسطين بعد الحرب، فلابد من قطع علاقتهما · وعلى الرغم من عدم اقتناع «موريس» ·· الا أنه استسلم لرغبة جولدا ، ووافق على السفر الى فلسطين · ولم يكن هناك أى مبرر آخر للتسويف فى عقد الزواج الذى طالما ألح لاتمامه · وتزوج الاثنان فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٧ ·

وقبل هذا التاريخ بأسابيع قليلة ·· كان قد صدر وعد بلفور· وقد أدى صدور وعد بلفور فى سنة ١٩١٧ الى تحويل الصهيونية من مجرد حلم غامض الى واقع سياسى · وكانت بريطانيا العظمى قد وافقت فى النهاية ــ قبل صدور الوعد بعدة أشهر ــ على تشكيل وحدة عسكرية يهودية خاصة ــ هى الفيلق اليهودى ــ للقتال من أجل تحرير فلسطين مع الكتائب الملكية البريطانية · وبعد دخول أمريكا الحرب سمحت الحكومة الامريكية بالتنجيد فى الفيلق اليهودى ، الذى تطوع فيه عدد كبير من الصهيونيين العماليين · وعندما شارفت الحرب على الانتهاء ، قررت جولدا تكريس نفسها كلية لمعالجة مشكلة دخول فلسطين · وهكذا أبحرت هى وأختها الى فلسطين فى ٢٣ مايو ســنة ١٩٢١ ــ بالباخرة حتى الاســكندرية ، وبالقطـار من الاسكندرية حتى تل أبيب ·

فى السنوات الاولى لجولدا فى فلسطين·· كان لابد عليها أن تعمل وفقا للبرنامج الكامل للصهيونى العمالى ، وهو برنامج يتطلب انجازه الانضمام الى عضوية مستعمرة تعاونية زراعية ، وبمعنى آخر الى عضوية الكيبوتز· وكان الصندوق القومى اليهودى قد قام فى ١٩٢١ بشراء أجزاء كبيرة من

الأرض في وادي عزريل المعروف باسم « عيميك » ، وكان الاقليم مليئا بالمستنقعات وتنتشر فيه حمى الملاريا وهي البول الاسود ، وكان يتعين تجفيف هذه الاراضى • وهكذا اختارت جولدا أن تقيم في كيبوتز «بيرحافيا»

وحينما وصلت جولدا الى بيرحافيا مع زوجها موريس، كانت واحدة من ثماني نساء بين أفراد الكيبوتز البالغ عددهم اثنين وعشرين رجلا • وسرعان ما برزت جولدا في الكيبوتز • وفى غضون ستة أشهر • أرسلت لتتلقى دراسة خاصة فى علم تربية الدجاج • وبعد عودتها أصبح البيض الذى تضعه الدواجن تحت اشراف جولدا مخصصا للبيع ، واستثمار ثمنه فى تحسين حال الكيبوتز •

فى خلال سنة •• أصبحت « جولدا » مندوبة الكيبوتز فى مجلس الهستدروت الذى شكل حديثا ، وهو نقابة العمال اليهود فى فلسطين • ولم يكن الهستدروت ــ الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين ــ نقابة عمالية عادية تهتم أساسا بالاحوال المعيشية لاعضائها • وقبل اقامة الدولة فى فلسطين ، كان الهستدروت بمثابة كومنولث عمالى • ومنذ البداية والهستدروت يعتبر نفسه وكالة عملية للتوطين تنحصر مهمته فى جذب المهاجرين الطلائعيين ومساعدتهم على استيطان فلسطين • ولم يكن هناك أى غرض ضرورى لتنمية البلاد يخرج عن اختصاصه • وحينما كان أصحاب المشروعات الخاصة يخشون من الاقدام على تنفيذ مشروعات تنطوى على مخاطرة أو تعتبر غير مثمرة ، كان الهستدروت يقدم رأس المال اللازم واليد العاملة المطلوبة من خلال مؤسساته الائتمانية وشركات البناء التابعة له • وكانت شركة البناء التعاونية وتسمى « سوليل بونيه » تقوم بشق الطرق في الصحراء ، وهى عملية لم يكن أى مقاول خاص على استعداد للقيام بها • ولم يكن أعضاء الهستدروت وأسرهم لايمثلون فقط أكثر من ٣٠ الى ٤٠ فى المائة من نسبة السكان اليهود ، ولكنهم كانوا أيضا أنشط العناصر فى البلاد •

هكذا أصبح الهستدروت بمثابة أداة لتحقيق حلم الصهيونية فى فلسطين • وكان معنى عضوية المرء فى اللجنة التنفيذية للهستدروت فى عام ١٩٣٤ أنه فى مقدمة الكفاح الصهيونى اقتصاديا كان أو سياسيا ، عبر الاعوام المصيرية التالية •

ان هذا هو ماحدث فعلا بالنسبة لجولدا ، التى بدأت عملها فى الهستدروت بتنظيم الادارة السياحية التابعة له ومهمتها الترحيب بالزوار المرموقين ، الى أن انتخبت لعضوية سكرتيرية اللجنة التنفيذية للهستدروت •• وبحلول عام ١٩٣٦ أصبحت مسئولة عن كافة برامج المعونة المتبادلة للهستدروت ، كما أصبحت رئيسة مجلس ادارة « كوبات حوليم » ــ أو صندوق العمال المرضى • وبعد فترة قصيرة أصبحت مديرة للادارة السياسية فى الهستدروت ، وتم ارسالها فى عام ١٩٣٧ الى الولايات المتحدة للدعوة الى جمع التبرعات لبناء ميناء خاص لليهود فى تل ابيب •

سافرت جولدا الى أمريكا وسط موجة من الاضطرابات الدامية اندلعت في فلسطين سنة ١٩٣٦ بين اليهود والعرب • وعادت لتصبح وسط المناقشات المتعددة بين اليهود الصهيونيين أنفسهم • لقد أدى الكتاب الابيض الذى أصدرته بريطانيا سنة ١٩٣٩ الى وضع حد للآمال التى كانت تتطلع نحو انشاء وطن قومي لليهود • لقد أسفرت المناقشات بين الصهيونيين عن اتجاهين أساسيين ، الأول يتزعمه «حاييم وايزمان» السياسى الصهيونى الذى لايريد اتباع العنف ضد بريطانيا ، والثانى يتزعمه «بن‌جوريون» • لقد قال بن‌جوريون: «ينبغى أن يتصرف اليهود كما لو كنا دولة فى فلسطين الى أن يتم انشاء الدولة اليهودية » • لقد انضمت جولدا الى بن جوريون • وحينما نشبت الحرب العالمية الثانية كان الشعار الذى رفعه بن جوريون وآمنت هى به هو « سوف نحارب الكتاب الابيض كما لو كانت الحرب غير قائمة ، وسوف نحارب العدو المشترك (العرب) كما لو كان الكتاب الابيض لا وجود له » •

هكذا ظلت السياسة الصهيونية فى فلسطين ابان الحرب • وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية •• بدأ الصهيونيون يركزون على خلق المتاعب لبريطانيا فى حدود هدف نهائى ، هو ارغامها على الانسحاب من فلسطين باعتبارها سلطة الانتداب • وفى ١٤ فبراير سنة ١٩٤٧ أعلنت بريطانيا أنها ستعرض المشكلة برمتها على الامم المتحدة • وعندما أثير مشروع تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب انقسم اليهود الى تيارين ، تيار مؤيد لمشروع التقسيم وتيار معارض ، وخلال فترة قصيرة أصبح لابد من أن ينتصر الجناح المتطرف • وهنا أصبح على الزعماء السياسيين والعسكريين للطائفة اليهودية أن يقوموا بتشكيل جهاز لمواجهة أعباء الحرب الحديثة • وقام عدد كبير من المبعوثين بالسفر الى نيويورك لمحاولة جمع الأموال المطلوبة من اليهود الامريكيين • وعاد المسئول عن خزانة الوكالة اليهودية من أمريكا يجر أذيال الخيبة ، وأوضح للزعماء الصهيونيين أنه من الأمور غير الواقعية أن يتوقع يهود فلسطين أن يدفع اليهود الأمريكيون مبلغا يتراوح بين خمسة وسبعة ملايين دولار •

لقد كان هذا التقرير مؤسفا ، فاذا تعذر شراء الاسلحة والحصول على الاموال للحفاظ على قوة الجيش ، اذن فقد ضاعت الحرب وضاعت الدولة اليهودية • لقد استقر الامر أخيرا على أن تسافر « جولدا مائير » الى أمريكا حيث بدأت تركز أحاديثها لليهود هناك قائلة : « ينبغى أن نطلب من يهود العالم أن ينظروا الينا بصفتنا نمثل خط الجبهة ، وأن يفعلوا فى سبيلنا مافعلته الولايات المتحدة فى سبيل انجلترا حينما كانت الأخيرة تمثل خط الجبهة فى الحرب العالمية •• ان الملايين التى سنحصل عليها فى غضون ثلاثة أو أربعة أشهر لن تكون لها أهمية ، فالمشكلة تنحصر فيما نستطيع الحصول عليه فورا • وحينما أقول أيها الاصدقاء فورا ، فليس معنى هذا فى مدى شهر أو اثنين من الآن ••• وليس بوسعكم الا أن تقرروا شيئا

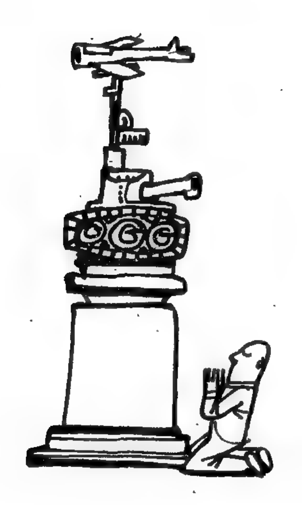
واحدا وهو ما اذا كنا سننتصر فى هذا القتال أو أن المفتى هو الذى سيخرج منتصرا » .

لقد طلبت «جولدا» من يهود أمريكا مبلغا يتراوح بين ٢٥و٣٠ مليون دولار فورا ، وهو مبلغ يبلغ خمسة أضعاف المبلغ الاجمالى الذى حدد من قبل .

من باريس.. بعث اليها أحدمبعوثى الهاجاناه بأنبوسعه شراءدبابات اذا ماحصـــل على عشرة ملايين دولار فورا . وأبلغته جولدا تليفونيا : « اشتر » . وارسل لها مبعوث آخر فى أوربا كان يحاول شراء ذخيرة يقول انه سيعود الى فلسطين ، وكان يحتاج أيضا الى عشرة ملايين دولار ، ولم تكن هناك فائدة من انتظار حدوث المســـتحيل . وأبلغته جولدا برقيا : « ابق فى مكانك » ، ووصله المبلغ المطلوب .

استطاعت جولدا أن تجمع خلال مدة الشهرين ونصف الشهر التى قضتها فى أمريكا مبلغ ٥٠٠ مليون دولار .. وحينما عادت الىفلسطينقال لها بن جوريون : « حينما يدون التاريخ فى يوم من الأيام .. سيقال ان امرأة يهودية استطاعت الحصول على الأموال التى جعلت قيام الدولة أمرا ممكنا » .

الجـــزء الثـالـث



و أخـــيرا ..

كلـمات ليســت أخـــيرة

بقلم : محمود عوض

كن اخى .. والا ساقتلك .

هكذا يقول « مناحم بيجن » زعيم حزب حيروت الاسرائيلى فى كتاب له بعنوان ((الثورة)) .

اما بن جوريون ــ زعيم حزب رافى ــ فيقول فى كتاب ((اسرائيل : سنوات التحدى)) : ان اسرائيل لايمكن ان تعيش الا بالقوة والسلاح

وفى رواية « الخروج » التى الفها الكاتب الصهيونى «ليون اوريس» .. يقول احد أبطال القصة : ((انه لشىء بشع حقا .. ان اطفالنا يعبدون المحاربين . اننا نبنى وجودنا على السلاح)) .

وفى مقـال نشرته صـحيفة «نير» الاسرائيلية ، قال الكاتب ناتان هوفش : « ان رجال الدين اليهـود قـد أداروا ظهورهم لكل تحذيرات الانبياء والحكماء ضد القوة .. وأصبحوا أكثر الناس حماسا واعجابا بالجيش وبالروح العسكرية ، وبالأساليب المسلحة العنيفة . انهم بهـذا يعطون للجيش الاسرائيلى شـهادة الاثبات بأنه ينفـذ تعاليم الدين اليهودى» .

و ...

كانت هذه أيجابات مختلفة ، تقدمها السياسة والأدب والدين فى اسرائيل لسؤال واحد : من هو الاله الجديد فى اسرائيل ؟.

ان اسرائيل تحاول خلق جيل جديد يسميه بن جوريون «الصخرة» ويفتخر بن جوريون بأن هذا الجيل قد أدى الى أن «أصـبح الشـعب اليهودى هو تجمع المحاربين» .

ولكى يصبح الجيل اليهودى الجديد هو «الصخرة» .. ولكى تصبح أسرائيل هى «تجمع المحاربين» .. كان لابد من وجود غذاء يومى واحد للجيل الجديد فى أسرائيل . هـذا الغـذاء هو الروح العسكرية العنصرية . هـذه الروح هى الشرط الاول .. اللازم لتحقيق الهـدف الصهيونى الأساسى : من النيل الى الفرات .

ومرة ثالثة ... كان لابد أن ينعكس كل ذلك على طريقة تنظيم المجتمع الاسرائيلي ، ثم على التنظيم العسكرى فى اسرائيل .

لقد رأينا كيف يعمل هذا التنظيم فى الصفحات السابقة ، ورأينا النتيجة التى حققها خلال حرب ١٩٦٧ فى الكتاب الاسرائيلى الأول السابق لهذه الصفحات ــ ولكن تبقى بعد ذلك بعض التحفظات التى أود أن أسجلها مقدما قبل أن أناقش التفكير العسكرى الاسرائيلى :

أولا ــ بصرف النظر عن التفاصيل العسكرية الفنية ، التى لاتدخل فى مهمتنا وتهم العسكريين أساسا ، فان الذى يهمنا هنا أولا بعد أن قرأنا الكتب السابقة ... هو أن نتعرف على مدى الجدية التى يعطيها العدو لاهدافه العسكرية التوسعية فى المنطقة العربية . جدية لايعتمد فيها على اعتبارات عسكرية مؤقتة .. بل تعتمد على تأصيل وتعميق الروح العسكرية حتى بين الأطفال .

ثانيا ــ انه من المسائل الملفتة للنظر .. ان جميع المؤلفين الغربيين الذين كتبوا عن التكوين العسكرى الأسرائيلى .. يقررون أنه موجه أساسا للحرب الهجومية بالدرجة الأولى . وهذا يؤكد الطبيعة العدوانية للسياسة العسكرية الاسرائيلية .. ثم يؤكد أن الحسابات العسكرية الاسرائيلية تختل اختلالا شديدا ــ بل قد تنقلب رأسا على عقب ــ لو أنها خاضت حربا دفاعية ، أو حربا طويلة زمنيا .

ثالثا ــ أيضا مما يلفت النظر.. أن العدو الاسرائيلى حين يحاربنا.. فهو يعبىء كل موارده لخدمة المجهود الحربى .

رابعا ــ انه مع كل ذلك .. وبالرغم من هذه التعبئة العسكرية المطلقة ، فان اسرائيل لم تقم بمواجهة الجيش المصرى فى أى حرب واسعة النطاق ، بدون حسابات سابقة تضمن تحركا دوليا لمصلحتها . فقد أصبح معروفا مثلا أن بن «جوريون» رفض فى سنة ١٩٥٦ أن يتحرك الا بعد أن حصل على ضمان من بريطانيا وفرنسا بأنهما ستكفلان له مظلة جوية وحزاما بحريا ــ وفوق هذا كله ــ تدميرا كاملا لجميع المطارات المصرية فى الساعات الأولى للقتال . وبعد أن حصل على هذا الضمان ــ بعده فقط ــ وقع الاتفاقية السرية مع ممثلى بريطانيا وفرنسا .

ثم ــ بعد هذه التحفظات السرية ــ نعود الى العسكرية الاسرائيلية :

ان التفكير العسكرى الاسرائيلى يقوم أساسا ــ فى جانبه المدنى ــ على خلق روح عنصرية لدى الطفل الاسرائيلى منذ سن مبكرة . وهى روح عسكرية عنصرية يتم تنميتها لكى تخدم الاهداف التوسعية الواردة دائما فى جدول الأعمال الاسرائيلى .

ومادام التوسع الاسرائيلى الى ماتسميه اسرائيل (الأرض التاريخية) .. هو مسألة محل اتفاق بين مختلف الاجنحة الحزبية هناك.. فان تنمية الروح العسكرية العدوانية تصبح ضرورة مبدئية لتحقيق هذا الغرض .

وجميع الذين كتبوا عن التنظيم العسكرى الاسرائيلى ـ بما فيهم الاسرائيليون انفسهم ـ متفقون على أن التدريب العسكرى فى اسرائيل يعتمد أساسا على الهجوم . والهجوم هنا هو صيغة اسرائيلية للعدوان والعدوان جوهر التفكير العسكرى فى اسرائيل . ولقد كان قيام اسرائيل بالمبادرة بالهجوم ـ وهى دائما تبادر ـ واحدا من الأسباب الرئيسية التى كفلت عنصر المفاجأة فى حرب ١٩٦٧ .

ولكن المفاجأة لم تكن هى السبب الوحيد لانتصار اسرائيل وهزيمتنا ، كما أن الهزيمة كلها لايمكن تفسيرها بناء على ميزات موجودة فى الجانب الاسرائيلى .. ومخصومة من الجانب العربى . بالعكس . ربما كانت الأسباب الرئيسية للهزيمة هى قدرة اسرائيل على استغلال اخطاء وقعنا فيها نحن .. ولهذا مهدنا بها الطريق أمام عبقرية وهمية أضفاها العقل الاسرائيلى على نفسه .

ان معرفتنا بعدونا تقتضى منا اثارة عدة أسئلة فى وقت واحد . مثلا : هل كان انتصارنا مستحيلا ؟ هل كانت هزيمتنا حتمية ؟ هل كانت الأسباب الرئيسية للهزيمة ، أسبابا سياسية أم أسبابا عسكرية ؟ هل .. هل .. ثم : كيف نفسر الهزيمة ذاتها ؟.

ان مثل هذه الأسئلة لا تبدو نظرية على الاطلاق . ففى تفسير الهزيمة العسكرية مثلا.. هناك موقفان : موقف يفسر الهزيمة بأنها ترجع الى أخطاء فردية . بمعنى قصور فى ادراك أو تصورات عدد من الأفراد أو عدم قيامهم بواجبهم . وموقف يفسر الهزيمة بأنها ترجع لأسباب تتعلق بالكفاءة العسكرية للمقاتل العربى ـ وبالذات المقاتل المصرى .

والفارق بين التفسيرين هو فارق بين مايقوله الصديق .. ومايقوله العدو .

فعندما نقول مثلا.. انواحدا فى المائة من عمال مصنع معين يتغيبون عن عملهم ، فمعنى ذلك أن التغيب هو ظاهرة فردية نبحث عن أسبابها فى الحالة الشخصية لكل فرد . أما اذا قلنا ان ٩٩٪ من عمال المصنع يتغيبون ، فاننا نحكم مقدما بأن التغيب فى هذا المصنع أصبح ظاهرة تمس كل عماله مباشرة . فاذا أصبح ظاهرة عامة غير فردية .. فان علاجها لا يمكن أن يتم بتغيير أو تعديل أو حلول سريعة فى مدى قصير .

ومن الطبيعى أن نجد مصلحة العدو قائمة فى نشر التفسير الثانى. التفسير الذى يحول الهزيمة الى ظاهرة عامة لايجدى معها العلاج القصير

المدى . وهو على أى حال تفسير حرصت القوى الاستعمارية على زرعه فينا طوال التاريخ الحديث فى منطقة الشرق الأوسط .

وبالمقياس نفسه فاننا نجد أيضا أنهناك موقفين فى تبرير هزيمتنا الضخمة أمام اسرائيل . الموقف الأول يقول انها هزيمة حضارية . فعلى رمال سيناء لم يكن هناك جيش يواجه جيشا .. وانما كانت حضارة تواجه حضارة ، وغرب يواجه شرقا . فاذا كنا نريد أن ننتصر على اسرائيل ، فيجب أن تكون هذه هى نقطة البداية : التفوق الحضارى . والموقف الثانى يبرر الهزيمة بأنها هزيمة جيل بأكمله ، أو على الأقل هزيمة نظام سياسى هنا على يد نظام سياسى هناك . فاذا كنا نريد أن ننتصر على اسرائيل .. فيجب أن تكون هذه هى نقطة البداية : نظام يدافع عن نفسه .. وجيل يبرر وجوده .

اما نقطة الاتفاق بين الموقفين فانها تكمن فى ادانة أشياء كثيرة كانت موجودة فى مصر صباح الخامس من يونيو . ولكن بعد ذلك ــ فان الفجوة بين الموقفين واسعة وعميقة . فجوة نحتاج الى قرون لسدها .. طبقا لأصحاب الموقف الاول ، ونحتاج الى سنوات فقط ، طبقا لأصحاب الموقف الثانى .

* * *

وبالطبع ليس هذا مجال الحديث تفصيليا عن أسباب هزيمتنا فى سنة ١٩٦٧ . ولكن ــ بصفة عامة ــ نحن نخطىء كثيرا لو تصورنا أن أمامنا قائمة جاهزة ومنطقية من الأسباب التى كانت تبرر هزيمتنا الضخمة امام اسرائيل فى ١٩٦٧ . لم تكن هناك مبررات كافية . لا مبررات للهزيمة ولا مبررات لضخامة الهزيمة .

ان السياسة ليست سوى تاريخ لنسب القسوى . ان الذى يهزم فى ميدان يكون قد أخطأ الحساب ، أو انه ترك هذه القوى تنطق ضد مصلحته .

وماحدث فى ١٩٦٧ هو اننا ارتكبنا الخطأين معا : أخطأنا فى الحساب سياسيا ، وكذلك تركنا علاقات القوى العالمية تنطق ضد الخطأ الفادح ، أبان عصر محمد على ، وقتها كانت القوتان الكبيرتان فى العالم هما فرنسا وبريطانيا .. بدلا من الاتحاد السوفيتى وأمريكا .

ولكن الحسابات الخارجية لم تكن هى العامل الوحيد ضدنا فى صباح الخامس من يونيو ..

لقد كانت هناك عوامل تاريخية كثيرة .. تقيد عضلاتنا فى الداخل ،

حتى قبل ان نتجه الى ميدان القتال . ان النقطة الحاسمة هنا ليست هي : متى وأين بدأت هذه العوامل ؟ ان التاريخ هو نسيج غير متكامل ، وقرار اختيار النقطة التى بدأت عندها أسباب هزيمتنا سوف يكون دائما قرارا تعسفيا . ان من الممكن أن تكون الهزيمة قد بدأت عندما هددنا بالحرب ، دون أن نقصد الحرب . ويمكن أيضا أن تكون الهزيمة قد بدأت قبل ذلك بسنوات طويلة ، عندما نسينا اسرائيل كعدو رئيسى وخلقنا لأنفسنا أعداء وهميين بين صفوفنا . ويمكن ثالثا أن تكون الهزيمة قد بدأت : عندما أعفينا كل شىء هام فى حياتنا من النقد والمراجعة ، أو عندما أعطينا لبعض الأفراد شيكات على بياض ، يحصلون بمقتضاها على سلطات مطلقة .. انتهت الى كارثة مطلقة . كذلك يمكن أن تكون الهزيمة قد بدأت فى اللحظة التى أصبح الارتجال فيها قاعدة ــ وليس استثناء ــ فى سياستنا . يمكن .. ويمكن .. ويمكن ..

ولكن الذى لاشك فيه ، أن الهزيمة قد بدأت فى اللحظة التى أهملنا فيها معرفة العدو ، ووضعناها فى نقطة متأخرة من جدول الأولويات فى مجتمعنا .

ان الانتصار الاسرائيلى الحاسم فى الساعات الأولى من صباح ٥ يونيو ، اعتمد مثلا على معرفة دقيقة بمواقع مطاراتنا وأنواع طائراتنا وتشكيل قواتنا . انها بالطبع معلومات لم يجمعها العدو ، ولم نهمل نحن فيها ، قبل الحرب بخمس دقائق .

وعندما نشبت الحرب فجأة اكتشفنا نحن ــ فجأة أيضا ــ انه بينما كان العدو يركز مجهوده مثلا على معرفة تصميم طائرات الميج كانت مراكز القوى عندنا تفخر بأنها تعرف آخر نكتة يرددهـــا النـاس فى مجالسهم الخاصة ، وتعرف أين سهر عبد الصمد .. ومتى نامت نجوى خارج سريرها .. وماذا قالت ليلى فى التليفون أمس .

نعم ــ كانت التفاصيل الصغيرة فى حياتك وحياتى وحياتها وحياتنا هى من وجهة نظر الأمن أكثر أهمية من التفاصيل المطلوبة عن العدو .

ان هذا معناه ان الأجهزة عندنا كانت تخدم الأفراد .. ولاتخدم الأمة . كانت تسعى لتحقيق النزوات .. بدل أن تسعى لخوض الحرب. وعندما لم يتم تدارك هـذا الخطأ الفادح فى الوقت المناسب .. الخطأ تضخم ، الى ان اكتشفنا فى صباح الخامس من يونيو أنه لم يصبح خطأ . أصبح مرضا .

* * *

ميدان آخر أخطأنا فيه قبل ميدان القتال : ميدان الاعلام .

ان من كان يقرأ صحفنا ، أو يستمع الى اذاعتنا ، فى الفترة السابقة على ٥ يونيو ، كان يحس بالطمأنينة المطلقة ، والفخر المتزايد ،

ان الطمأنينة مطلوبة ــ طبعا ــ والفخر ضروري .. حقا .. ولكن بشرط الا تكون طمأنينة وهمية أو فخرا كاذبا . لقد كنا نحسب كل شيء ــ على ورق الصحف ــ بدقة متناهية . وطالما فعلنا ذلك على الورق .. فاننا كنا نتنفس الصعداء و .. نستريح .

نعم . كانت الشعارات المبهرة .. بديلا عن التطبيق المبهر ، وكانت الأقوال الضخمة .. بديلا عن الأعمال الضخمة .

لقد خلقنا لانفسنا ــ عن طريق أجهزة الأعلام عندنا ــ دنيا مثالية، نحن فيها أقوى الناس ، وصوتنا فيها أعلى الأصوات ، وحساباتنا أدق الحسابات . دنيا تكسب فيها الحروب بقرار .. وندخل فيها المعارك بهزة رأس .. ونحل فيها المشاكل في غمضة عين .

لقد كانت لأذاعتنا دنياها الخاصة بها ، وحقائقها الخاصة بها .. وهي دنيا وحقائق لا علاقة لها بالواقع .

لقد قلنا لأنفسنا ان الحرب نزهة ، والمعركة هي مجرد ست دقائق نصل فيها الى تل أبيب وبعدها ينتهي كل شيء . وعندما بدأت الحرب ، وعندما لم ينته كل شيء في ٦ دقائق ، فان خيبة الأمل بدأت في عقولنا من الدقيقة السابعة . ان الذين دفعوا ثمن هذه الدعاية الكاذبة هم نحن، وليس عدونا . لقد أصبحنا نحن الضحايا . ضحايا أوهام ومبالغات اخترعناها ، وبعد ذلك رددناها . وفي النهاية صدقناها .

لقد نظرنا الى الواقع فلم يعجبنا ، وحينئذ لجأنا الى خلق واقع آخر يعجبنا . واقع وهمي نقرأ عنه في صحفنا فقط ، ونسمع عنه في اذاعتنا فقط .

واذا كنا قد ارتكبنا أخطاء كثيرة بهذا الوضوح ــ واستغلتها اسرائيل الى الحد الاقصى ــ فان هناك أخطاء أخرى أساسية ارتكبناها ، وأن كانت أقل وضوحا مع أنها أكثر خطورة .

* من هذه الاخطاء أننا قلنا لأنفسنا مثلا ان تفوقنا العددي سيحسم في النهاية المسائل كلها . وطالما أن عدونا ٣ ملايين ، ونحن ١٠٠ مليون ، اذن فلابد بالحساب ــ ان المائة ستهزم الثلاثة . ان هذا ليس منطقا صالحا دائما ــ فمائة عصا لاتهزم بندقية واحدة ــ ولكن المنطق كان يغيب عنا أحيانا عندما نصل الى مناقشة المسائل الحاسمة في حياتنا .

ومثلما اعتقدنا من قبل أن الكلمات الضخمة هي بديل عن الأعمال الضخمة ، كذلك هنا ، اعتقدنا أن الاعداد الضخمة هي بديل عن الاستعدادات الضخمة .

* وقلنا لانفسنا أيضا ان الزمن هو بطبيعته ــ معنا ضد اسرائيل. لقد اعتمدت الاستراتيجية العربية طويلا على وجود افتراض قوي يقول

ان الوقت هو — فى المدى الطويل — معنا ضد اسرائيل . ولقد نبشنا فى التاريخ عن أمثلة تؤيد هذا الافتراض ، فقلنا ان الصليبيين استعمروا فلسطين ٨٠ سنة ، ثم خرجوا .

نعم . الصليبيون خرجوا . ولكنهم لم يخرجوا بحكم الأقدمية الزمنية ، ولابمضي المدة . ولم يخرجوا لان منطق التاريخ هو الذى أخرجهم . لقد أخرجتهم القوة ، والقوة وحدها .. بصرف النظر عن الزمن . وعندما خرجوا — بعد ٨٠ سنة — لم يكن معنى هذا أنه كان من الضرورى أن يظلوا فى فلسطين ٨٠ سنة . ولكن معناه ببساطة أننا لم نملك القوة اللازمة لاخراجهم الا بعد ٨٠ سنة . ولو توافرت لنا تلك القوة قبل ذلك .. لأصبحت مدة بقائهم ٥٠ سنة ، أو ١٠ سنوات ، أو حتى ١٠ أشهر .

اننا اذن لم نكن نلجأ الى التاريخ لكى نفهم معناه ، ولكن لكى نستنجد به فى دعم منطق مختل نردده لأنفسنا . منطق يسرى أن الزمن هو بطبيعته ومن تلقاء نفسه كفيل بحل المشكلة بيننا وبين اسرائيل . لقد نسينا ان الزمن بطبيعته هو عنصر محايد . ان الزمن لا يمكن ان يكون معنا تلقائيا .. أو ضدنا تلقائيا . ان عملنا نحن .. هو الذى يجعل الزمن معنا أو ضدنا .

ولكى يدخل الزمن عنصرا فى حسابات القوى بيننا وبين عدونا ، فلابد أن تكون باقى العناصر ثابتة أو — على الأقل — متساوية . لابد أن نتساوى نحن والعدو فى الأخذ بمنجزات الحضارة .. فى بناء الدولة العصرية ... فى الاعتماد على المؤسسات وليس الافراد .. الخ .

واذا كان هذا هو المفهوم الصحيح لاهمية الزمن ، واهمية الوقت ، فليس معنى هــذا أن علينــا — بغير حساب — أن ندخل فى الحرب مع اسرائيل الآن .. أو بعد ٥ دقائق . وليس معنى هذا أيضا أن ننظر الى عقارب الساعة فى أيدينا بخوف وفزع وقلق . ان الأمم لاتعيش حياتها وهى تحمل فى يدها كرونومتر ، أو مقياسا للوقت . ولكن معنى هذا ببساطة هو : أن عملنا وحده — مقارنا بعمل عدونا — هو الذى يستطيع أن يجعل الزمن سلاحا معنا أو سلاحا ضدنا .

* وقلنا لأنفسنا زمنا طويلا ان محاربة العدو تحتاج — أولا — الى الوحدة الوطنية . مضبوط . ولكن الخطأ بدأ حينما قصدنا بالوحــدة الوطنية : الصمت . الصمت على العيوب ، على الأخطاء ، بل على الخطايا من منا مثلا لم يكن يعرف بوجود مراكز القوة قبل ٥ يونيو ؟ من منا لم يكن يعلم بفساد أجهزة المخابرات ؟ من منا لم يكن يرى مايفعله أهل الثقة ضد الخبرة ؟ من .. من .. من .. من ..؟

كلنا كنا نرى وكلنا كنا نعلم ، واذا لم نكن نعلم على وجــه الدقة ، فقد كنا نحس . ربما لم يعرف بعضنا أن هناك تعفنا .. ولكن معظمنا

كان يتسم الرائحة . ومع ذلك لم يرتفع صوت واحد . انه لم يرتفع لاننا ــ قبل ٥ يونيو بوقت طويل ــ كنـا قد قضـينا على أى فرد ، أو أى مؤسسة ، يمكن أن تقول «لا» . لا .. لأهل الثقة ، لا .. للمحسوبية ، لا .. لفساد المخابرات ، لا .. للاخطاء السياسية . لقد تصرفنا دائما على أساس أن قمة السلطة هى قمة الحكمة ، وان الحكمة لها مفتاح سحرى واحد يملكه شخص واحد فى كل جهاز ، وجهاز واحد فى كل المجتمع . لقد أدى هذا الى اشاعة احساس عام بأنه ليس بالامكان أبدع مما كان . وفى النهاية كان اخطر مافى الأمر من وجهة النظر السيكلوجية هو التزايد السريع للأفكار المسبقة الجاهزة ، غير القابلة للمناقشة .. والتى أصبحت فالا سيئا للمستقبل . لقد وضعنا الناس أمام بديلين لا ثالث لهما : أما أن تقول نعم لكل شىء ــ صـواب أو خطأ ــ وأما أن تقول لا لكل شىء ــ صحيح أو عفن . ان الخلل فى هذه النقطـة تركز على مفهوم خاطىء زرعناه فى أنفسنا وتقبلناه لفترة طويلة ، مفهوم يقول أن الوقوف فى الصف معناه الصمت عن الأخطاء . معناه أن نقول جميعا الكلمات نفسها ونردد الشعارات نفسها ونصفق للجمل نفسها . لقد سينا أن التنوع هو نفسه قوة ، ونسينا أنه قد يكون من المستحيل أن نصحح كل خطأ .. ولكن لاخطأ يمكن تصحيحه الى ان نواجهه . نسينا أن قطعة القماش قد تتعدد فيها الالوان والخيوط .. ولكنها تبقى فى النهاية قطعة قماش واحدة متماسكة .

ان اسرائيل لو قدر لها الاختيار ــ لاختارت مصر الصـامتة على اخطائها ، قبل أن تختار مصر المهزومة فى ميدان القتال . ان مصر المهزومة فى الميدان لن تبقى مهزومة دائمـا ، ولكن مصر الصـامتة على أخطائها ــ المتعفنة من الداخل ــ لن تنتصر أبدا .

ان هذا يعيدنا من جديد الى مناقشة سؤال رئيسى .. ماهــو هدف اسرائيل من الحرب ؟ حرب وقعت فى الماضى .. أو حرب ستقع فى المستقبل .؟

* * *

ان الخبراء العسكريين يعلمون ، خصوصا بعـد الحرب العـالمية الأولى ، أن هناك درسا أساسيا هو : «ان هدف الحرب الحقيقى هو روح العدو .. وليس أجساد جنوده» .

فالمفهوم النهائى للنصر .. هو خلق حالة استعداد للاستسلام لدى العدو .. وتصبح العمليات العسكرية هنا مجرد وسيلة للوصول الى هذه النتيجة .

ومادامت اسرائيل لم تحقق هذا الهدف ، ومادمنا نحن متنبهين لهذا الهدف .. فان الكلمة الأخيرة لم يقلها أحد بعد .

ان الذين يتابعون العقل الاسرائيلى وهو يفكر (ونحن فعلنا شيئا من ذلك لو حللنا الكتب الاسرائيلية التى عرضـها هـذا الكتاب) فاننـا سنكتشف أن حرب يونيو ١٩٦٧ لم تكن اختراعا ... وانما كانت مجرد تطبيق لفن الحرب الذى عبر عنه « سان تسى » سنة ٥٠٠ قبل الميلاد حينما قال :

« ان الحيلة هى أسـاس فن الحرب . لذلك .. ينبغى التظاهر بالعجز عندما تزداد القـدرة على الهجوم ، والتظاهر بعدم العمل عند الرغبة فى استخدام الجيوش ، واقناع العدو بأننا بعيدون عنـه عندما تكون على مقربة منه ، وبأننا قريبون ونحن بعيدون عنه . استخدموا الفخ لجذب العدو ، وتظاهروا بالفوضى .. ثم حاربوه » .

ولعل شيئا من هذا كان يدور فى رأس «بن جوريون» عندما قال أكثر من مرة : «يجب أن نتكلم عن السلام كما لو كنا لم نحارب .. ونتكلم عن الحرب كما لو كنا لانريد السلام» . ولعله أيضا ــ بن جوريون ــ كان أكثر وضوحا عندما قال فى أعقاب حرب ١٩٤٨ : «نحن لم ننتصر لأننا اتينا بعجائب ، بل لأن الجيوش العربية لم تكن فى حالة جيدة» . وبعد ١٩٦٧ قال « ايجال آلون » نائب رئيس وزراء اسرائيل : « ان الانتصـار الاسرائيلى يرجع الفضل فيـه أولا الى الاخطاء الضـخمة التى ارتكبها العرب» .

* * *

ان الحركة الصهيونية كانت واضحة الأهداف منذ البداية .. واضحة الاهداف للجميع .. ماعدانا نحن .

فعندما انتهى المؤتمر الصهيوني الأول فى «بازل» سنة ١٨٩٧ كتب « تيودور هرتزل » يقول : « فى بازل ، تأسست الدولة اليهودية » .

وعندما صدر « وعد بلفور » فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، نشرته صحيفة «الديلى اكسبريس» البريطانية بعنوان : دولة لليهود ، ونشرته «التايمز» بعنوان : فلسطين لليهود ، ونشرته «الأوبزرفر» بعنوان : بعد جيل واحد تصبح فلسطين لليهود .

ومنذ البداية .. كانت الصورة التى قدمت بهـا الحركة الصهيونية نفسها الى العالم .. هى صورة الحركة القومية التى تريد العودة الى ارض سلبت منها . حركة قومية .. مثل كل الحركات القومية الأوربية التى بزغت فى القـرن التاسـع عشر . ومعظم الكتب الاسرائيلية التى قدمناها فى الصفحات السابقة .. كانت تعرض هذه الصورة بشكل أو بآخر .

وبالطبع لم يكن هذا صحيحا ، لا علميا .. ولا تاريخيا . وأى مقارنة سرعان ماتلغى الاساس القومى للحركة الصهيونية .

فالحركة القومية لتوحيد المانيا ، جمعت بين دول كاثوليكية مثل بافاريا .. ودول بروتستانتية مثل بروسيا .

والحركة القوميـة الايطالية اقترنت بحرب داميـة بين الايطاليين والنمسويين ، مع أن كليهما ينتمي للمذهب الكاثوليكي . واقترنت أيضا بتجريد البابا من سلطاته الزمنية ، ومن ممتلكاته الواسعة .

والحركة القومية اليوغسلافية ، وحدت « الصرب » الارثوذكس مع « الكروات » الكاثوليك مع « البوشناق » المسلمين .

وبصفة عامة .. فان الحركات القومية لم تجد أساسها فى الدين ولم يمثل الدين ولا المذهب فى أى منها دورا رئيسيا أو فرعيا .

ولايمكن ان تصبح اليهودية حركة قومية ، الا اذا أصبح الأرثوذكس مثلا .. قومية ، أو أصبح الكاثوليك قوميـة ، أو أصبح الشـيعة قومية ..

ان هدم هذا الاساس النظرى للصهيونية .. هو أمر ضرورى فى مخاطبة العالم الخارجي، لأنه المقدمة التى تستخدمها الصهيونية فى المطالبة بـ «أرض أسرائيل التاريخية» . ان هذا التعبير هو الهدف الأساسى للحركة الصهيونية من البداية . وبعد قيام اسرائيل أصبح هذا الهدف قائما وواردا فى جدول أعمال التفكير السياسى والعسكرى الاسرائيلى. انه هدف يريد الحصول على سيناء والاردن ومرتفعات سوريا وجنوب لبنان . وبالنسبة لهذا الهدف النهائى لايوجد يمين ويسار بين الاحزاب السـياسية فى اسرائيل . لايوجد معتدل ومتطرف . ان الاعتـدال والتطرف أمر يتعلق فقط بالاسلوب أو بالتوقيت .

مثلا ..

فى سنة ١٨٩٧ كان الصهيونى المتطرف يطالب بوطن قومى لليهود. والمعتدل يطالب بجمعية يهودية .

وفى سنة ١٩١٧ أصبح المعتدل يطالب بوطن قومى والمتطرف يطالب بدولة يهودية .

وفى سنة ١٩٤٧ كان الصهيونى المعتدل يطالب بدولة يهودية فى جزء من فلسطين والمتطرف يريد كل فلسطين .

وفى سنة ١٩٥٧ أصبح المعتدل يطالب بكل فلسطين والمتطرف يطالب بضم سيناء والعريش وعدم الانسحاب منهما .

وفى سنة ١٩٦٧ اصبح المتطرف يطالب بضـم سـيناء والعريش والاردن ومرتفعات سوريا .. اما المعتدل فيطالب بمعاهدة صلح نهائى مع العرب .

ان الهدف النهائى قائم دائمـا ، بالرغم من أن أهدافا بديلة قـد تحل محله من وقت لآخر ، أو بتعبير « تيودور هرتزل » مؤسس الحـركة الصهيونية الحديثة : «اننا فى حركتنا نحو الهدف النهائى .. يجب أن نكون كالقطار الذى يتوجه الى محطته النهائية . ان القطار قد يتوقف فى محطة هنا أو محطة هناك لكى يتزود بالوقود . لكنه يستأنف سـيره دائما نحو محطته المقصودة . فهو لايتراجع عنها ولايتراجع منهـا الى الوراء» .

* * *

هذا عن الهدف .

أما عن الأسلوب .. فان النتيجة التى نخرج بها من دراسة أسلوب العمل السياسى الصهيونى منذ بدايته تتركز فى :

● ان الحركة الصهيونية منذ بدايتها تضـع عينيها على القوتين الكبيرتين اللتين تتنازعان مناطق النفوذ فى العالم عادة . وفى مواجهة ذلك تحتفظ الحركة الصهيونية لنفسها دائما بجناحين . كل جنـاح منهما يعمل مع – وداخل – كل من القوتين الحاكمتين فى العالم .

ونحن نجد هذا الأسلوب قائما فعلا فى التطبيق ابتداء من الحرب العالمية الأولى بالذات . فعندما قامت الحرب فى سـنة ١٩١٤ واجهت المنظمة الصهيونية نفسها بسؤال : مع أى من الطرفين المتحاربين تقف ؟ مع المانيا وتركيا ؟ أو مع بريطانيا وفرنسا .

وقررت المنظمة وقتها الا تضع «كل البيض فى سلة واحدة» . قررت أن تقسم نفسها الى فرعين يعملان مع الطرفين المتحاربين . كان أحدهما يعمل مع المانيا وتركيا ، والثـانى يعمل مع بريطانيا وفرنسـا والولايات المتحدة . وعلى كل فرع من الاثنين أن يقنع الطرف الذى يعمل معه ومن داخله .. انه أكثر تحقيقا لمصالحه . وبهذا الاسلوب ضمنت المنظمة الصهيونية أن انتصار أى طـرف فى النهاية .. سـيؤدى الى تحقيق مطالبهم منه .

وفى جميع المراحل التالية ، نجد هذا واضـحا فى أسـلوب عمل المنظمة الصهيونية ، ثم اسرائيل بعد قيامها . فهى تحتفظ دائما تحت الطلب – بجناح موال لكل طرف من الطرفين المؤثرين فى العالم .

وحين يعمل كل جناح من أجنحة الصهيونية لحساب احدى القوى الدولية الكبرى فانه – فى الواقع – لاينتمى الى هذا الطرف أو ذاك . انه صهيونى أولا ، وصهيونى الى النهاية .. انه قد يعمل لحساب هـذه الكتلة فترة ، لكنه يعمل لحسابها بالقدرالذى يحقق له فى النهاية مكاسب جديدة .

وقد سمح هذا الاسلوب فى عمل الحركة الصهيونية .. بالا تقامر بمصيرها كله مع احدى الكتل الدولية ، وبأن أهدافها حين تتحقق فهى تتحقق بمناسبة ، وبحماية ، تحرك الكتلة الدولية التى تعمل معها .

ومنذ قيام اسرائيل وهي تطبق هــــذا الاسلوب تماما . بل ان الجيش الاسرائيلى نفســه ، بدأ أصـلا في عشرينات هذا القرن كقوة تعمل لحساب بريطانيا ، وعلى نفقتها . وفى الحرب العالمية الثانية قامت المنظمات الصهيونية فى فلسطين بالتجسس ضد المحور لصـالح قوات الحلفاء . وبهذا الاسلوب حصلت على التمويل والسلاح والخبرة لنفسها واستخدمت كل ذلك فيما بعد لمصلحتها الخاصة ، وأحيانا ضد الدول الموردة نفسها .

وقبل حرب ١٩٦٧ بفترة وجيزة ، أصدر «أبا ايبان» وزير خارجية اسرائيل الحالى كتابا بعنوان «صوت اسرائيل» . ان الكتاب هو مجموعة خطب ومحاضرات القاها ابا ايبان «٢٢ محـاضرة وخطبة» ، ابان عمله سفيرا لاسرائيل فى امريكا .

ولأن مادة اباايبان موجهة أصلا للرأى العام الامريكى ، فاننا نجد أن الفكرة الرئيسية التى لاتغيب مرة فى هذا الكتاب ، هى اصرار «ابا ايبان» على ربط مصير اسرائيل بمصير السياسة الامريكية بصـفة عامـة فى الشرق الاوسط . انه يقول : ان اسرائيل دولة صغيرة حديثة ، مسالمة ، ديموقراطية ، تريد العيش فى سلام .. بينما يحيط بها جيران كبار ، أقوياء ، عدائيون ، اقطاعيون . وازاء الرعب الذى تعيش فيه اسرائيل فانها أحيانا تجد نفسها مضطرة لان تهب الى الدفاع عن نفسها مثلما حدث فى ١٩٥٦ . واسرائيل بعملها هذا انما تدافع عن الحضارة الغربية نفسها .

هكذا يقدم «أبا ايبان» اسرائيل باعتبارها جزءا من المعذبين فى الارض ليس هذا هو المهم . ولكن المهم هو انه يستمر الى أن يصل الى السـطر الذى يؤجله ٢٩٩ صفحة : ان الصراع بين الدول العربية .. واسرائيل . هو فى جوهره صراع بين الشرق والغرب . صراع بين حضـــارة .. وحضارة .

يعني : اذا كان على الغرب أن يدافع عن نفسه فى الشرق الاوسط .. فليبدأ بالدفاع عن اسرائيل . واذا كان الغرب يعيش فى حالة عداء مع العرب فليست اسرائيل هى السبب . ان هذا العداء العربى نحــو الغرب هو عداء حتمى لادخل لاسرائيل فيه . انه عـداء له أسـبابه التاريخية الخاصة ، واسرائيل ليست واحدا من هذه الاسباب .

والمسألة التى لاشك فيها فعلا .. ان لدينا أسبابنا الخاصة لمعاداة الغرب . هذا صحيح . ولكن مساندة الغرب لاسرائيل هى رأس هـذه الاسباب . لقد اشتركت فرنسا فى العدوان على مصر سـنة ١٩٥٦ ،

وعاملها العرب بما تستحقه جزاء على هذا التواطؤ . لكن فرنسا الآن ـ أثناء وبعد حرب ١٩٦٧ ـ تقف موقف الحياد ، وبالتالى فان العرب اعلنوا لها عن تقديرهم لهذا الموقف . ولم يقف عربى واحد ليعلن : ان عداءنا نحو فرنسا هو مسألة « حتمية » . مسألة قدرية لا مفر منها ولا فكاك .

* * *

ان هذا يذكرنا بالاسطورة الشرقية القديمة التى تقول : ان ثعلبا ركب على ظهر فيل . وحينما كان الفيل يشق طريقه فى الغابة دافعا الاشجار جانبا ، فان الثعلب كان ينفخ صدره بعجب قائلا : كم أنا قوى ؟!

وقد لا تكون اسرائيل هى بالضبط الثعلب نفسه الذى تتحدث عنه الاسطورة ، ولكنها بالتأكيد تتحرك بمصاحبة الفيل الضخم الذى يتحرك طبقا للاسطورة . لهذا علينا أن نفهم كل القوى التى تحالفت معها اسرائيل أو « ركبتها » اسرائيل .

* * *

ان اسرائيل التى نراها اليوم .. هى ثمرة الحنظلة المرة التى غرست فى الارض العربية . ثمرة روتها قوى دولية عديدة تحالفت معها فى كل مرحلة . فى البدء كان التحالف الصهيونى الاول مع بريطانيا . فى النهاية كان التحالف الصهيونى الثانى مع أمريكا . وعلى الطريق بين البدء والنهاية كانت هناك تحالفات جانبية كثيرة امتدت لاكثر من ٧٠ سنة . فخلال تلك المدة وضعت الحركة الصهيونية على رأسها قبعات كثيرة ، كان آخرها القبعة الامريكية التى تضعها على رأسها الآن .

واذا كان الصراع بيننا وبين اسرائيل قد أصبح يحتاج أكثر من أى وقت مضى ، الى الحركة .. واذا كان التوازن الدولى وموقف القوى الكبرى قد وصل الآن الى اقصى ما يمكن الى درجات السكون والثبات . فان الامر أصبح يحتاج الى مجهود خارق من جانبنا لكى نفلت من وسط طرفى المقص ، الذى أصبحنا نقف فيه .

ان هذه هى المرة الثالثة فى هذا القرن ـ بعد الاتفاق الودى فى سنة ١٩٠٤ وحرب ١٩٤٨ ـ التى نقف فيها نحن وسط طرفى المقص ، بينما يعاد النظر الى خريطة الشرق الأوسط داخل اطار صراع دولى . لهذا فان النصر أو الهزيمة هذه المرة هو نصر ـ أو هزيمة ـ لفترة طويلة قادمة ، وربما لقرون طويلة قادمة .

لهذا السبب .. فاننا أمام معركة وطنية . معركة ، لن يكون الاختيار فيها بين موقف اليمين وموقف اليسار . انما الاختيار سوف يكون بين الوطنية والخيانة .. انها حرب لاعادة استقلال الشرق الاوسط . وهى حرب تولد فيها العروبة من جديد .

وليس هذا أول امتحان تدخله منطقتنا بروح الثورة .

لقد كنا ثوارا فى سنة ١١٨٧ ، يوم حارب الشعب بقيادة صلاح الدين ضد جحافل التعصب الصليبى القادم من أوربا .

وكنا ثوارا فى سنة ١٢٦٠ ، عندما رفضنا انذار « هولاكو» قائدجيش المغول ، وانتصرنا عليه فى عين جالوت ، وكانت أول هزيمة نزلت بالمغول فى عهد هولاكو .

وكنا ثوارا يوم أن نجحت المقاومة الشعبية المصرية فى طرد الفرنسيين سنة ١٨٠١ .

وكنا ثوارا فى سنة ١٨٠٧ ـ عندما ثارت رشيد ضد الحملة الانجليزية بقيادة « فريزر » ، وانتصرنا عليهم انتصارا حاسما فى قرية الحماد .

وكنا ثوارا سنة ١٨٨١ بقيادة أحمد عرابى .

وكنا ثوارا فى سنة ١٩١٩ ـ عندما وقفت روح الشعب ضد مدافع الانجليز .

* * *

و ... لا أريد أن أستطرد ، ففى كل مرة تعرضنا فيها لتآمر دولى ... كان الشعب الواحد الشجاع يصبح أغلبية .

وفى مواجهة حالة الميوعة والجمود فى الموقف الدولى بعد ١٩٦٧ ، فان رد الفعل الاساسى هو أن القوة أصبحت هى الحق وليس العكس . والقوة بالنسبة لازمتنا المعاصرة انما تعنى أساسا ـ وفقط ـ القوة العربية . فهى وحدها التى يجب أن تضرب المثل ، وهى وحدها التى ستصمد فى المواجهة مع اسرائيل . ولكى نكون الطرف الاقوى فى هذه المواجهة ، فلابد أن نفهم عدونا أولا : كيف يفكر ، كيف يتحرك ، كيف يعمل . فكلما زادت معرفتنا الآن .. قل أسفنا فى المستقبل . لأن الأقوياء فقط هم الذين يحرصون على هذه المعرفة . وفى النهاية نجد أن المعرفة هى أيضا .. قوة . وفى النهاية ، نقول مع الصينيين القدماء : اعرف نفسك مرة ، واعرف عدوك مرة ، ثم حاربه مائة مرة .

وفى صدامنا مع اسرائيل لم يقل أحد بعد .. الكلمة الأخيرة . والذى يصمم أكثر ، ويعد أكثر ، ويعرف أكثر .. هو الذى سيضحك فى النهاية أكثر .

ان هذا معناه.. ان أمامنا امتحانا قاسيا لصلابتنا ورجولتنا. ولابد أن يساعد بعضنا بعضا فى اجتياز هذا الامتحان .

- من يتقدم .. نتبعه .
- ومن يتأخر .. نشده .
- من يتقهقر .. ندفعه .
- من يسقط .. نرفعه .
- من يمت .. نثأر له .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٢/٣٨٤٣

● **المراسلات :**

التحرير : ٢٦ شارع منصور بالقاهرة

تليفون ٢٢٧٢١ — ٣٢٥٠٢

الادارة : ١٣ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) — ص . ب ١٣٢٨

تليفون ٢٤١٤٥

الاعلانات : يتفق عليها مع ادارة المجلة

تليفون ٢٤١٤٥

هـــــــذا
الـكتـاب

... فى حربنا ضد اسرائيل .. فان اول سلاح نعتمد عليه لابد أن يكون هو معرفتنا بهذا العـدو . معرفتنـا باسـاليبه وخططه وافكاره وتصوره لنفسه ، وتصوره للرأى العام العالمى ، وتصور الرأى العـام العالمى له . ان هذه المعرفة..هى التى ستمكننا بعد ذلك من مواجهته فى المكان الصحيح ، وبالأسلوب الصحيح ، وبالسلاح الصحيح .

لهذا .. كان لابد ان تعتمد السياسة الاعلامية الجديدة على تحويل شعار « اعرف عدوك » من مجرد شـعار الى تطبيق حى يمارسـه كل مواطن .

لقد اتخذنا فى هـذا الصـدد خطوات عديدة ، كان من أهمها رفع الحظر عن الـكتب الاسرائيليـة التى ظلت لسـنوات طويلة ممنوعة من التداول ، ثم اتاحتها أمام المعلقين والدارسين والباحثين فى بلادنا ، بغير نقض او تحريف .

وقد تبدو الأفكار، التىتتضمنها هذه الكتب الممنوعة، مثيرة للمرارة أو مجافية للحقيقة . ولكن ، هل نحن نتوقع من عدونا غير ذلك ؟!

من مقدمة
الدكتور محمد عبد القادر حاتم
نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة وال...

مطابع الهيئة المصرية العامة للك...

١٠ قـــروش